

الكاتب المصري جمال الغيطاني احد اكبر الكتاب العرب المعاصرين ،  
نتاج جمال الغيطاني يطرح نوعاً من القطيعة مع الرواية الكلاسيكية العربية في  
اعتماده على شكل روائي مفتوح . يأخذ ذرائعه من الواقع ولا يتقيد بالواقع .  
يشطح ، يمزج بين الخيالي والمعاش تغيب عنه الحكمة والعقدة والحل . تغيب  
وحدة الزمان والمكان يقترب النثر من الشعر ليتكون نص مغاير للصيغة التقليدية  
في الكتابة العربية . نص يصعب تصنيفه .. ولئن كان الواقع المصري هو المنطلق  
الذي تتشرنق حوله اعمال الغيطاني الا ان هذه الحكايات ليست حكايات  
تروى . بل هي انعكاس لتجارب وخبرات تولد مناخاً عاماً مشرعاً على  
احتمالات تفسير عديدة .

عيسى مخلوف  
مجلة اليوم السابع

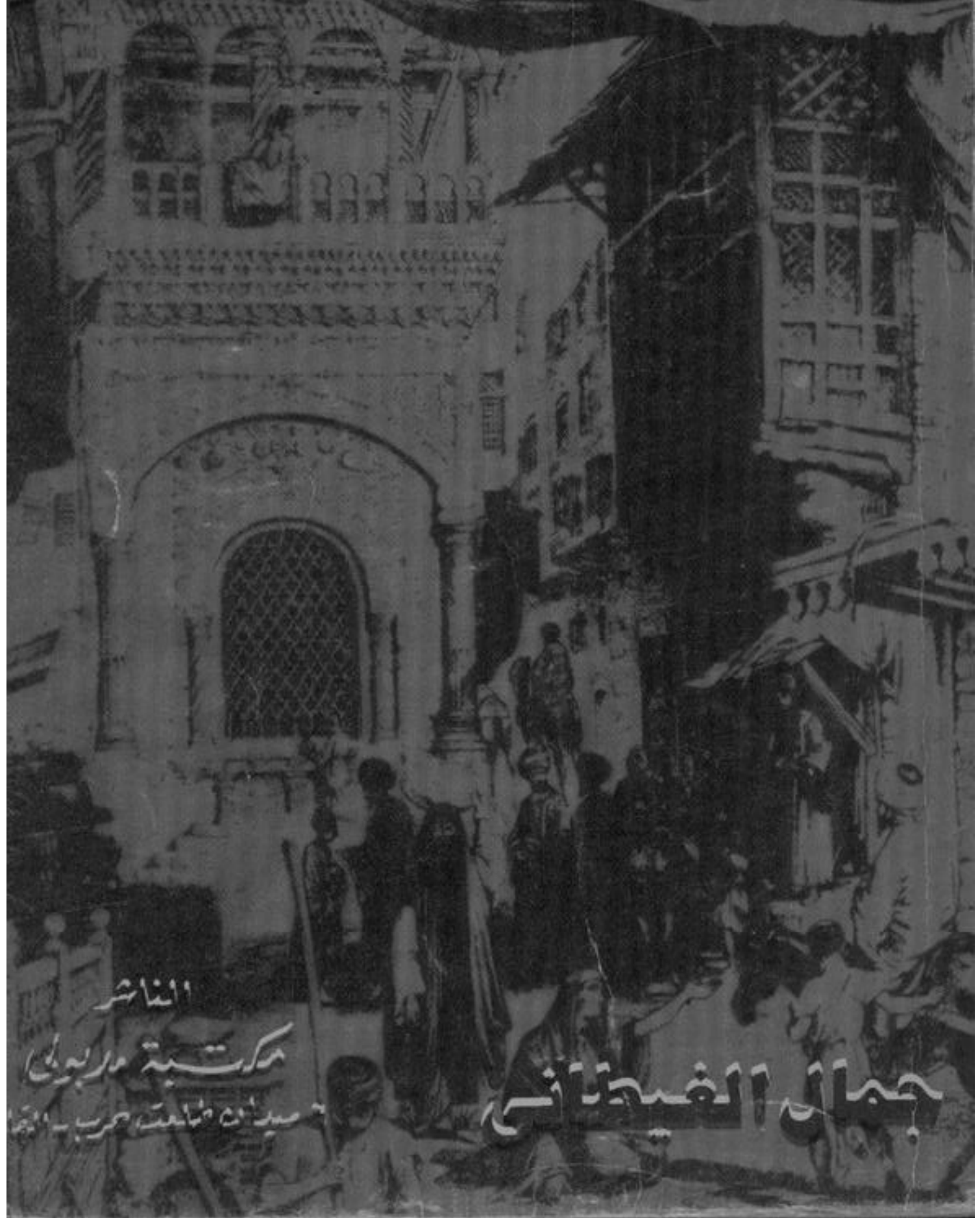
بدو جمال الغيطاني بسخريته الحادة وكأنه اورو يل الشرق

مجلة ليغيمو الفرنسية

جمال الغيطاني معلم ، استاذ بحق . واحد خلاصة الروائيين الكبار في عصرنا .

مجلة كانار اونشيفيه الفرنسية

# وقائع حارة الزعفران



الناشر

مكتبة دار بيروت

صيدان شارع حرب - بيروت

## جمال الفيضاني

الى أمي

وقائع حارة الزعفراني  
الطبعة الثانية - مايو ١٩٨٥  
مكتبة مدبولي

---

بَا فَارِجِ الْكُرْبِ الْعِظَامِ

---



.. مساء السبت أول شعبان . وبعد انتهاء الأسطى عبده مراد من صلاة العشاء بمسجد الحسين . وحضور الاحتفال الدينى الذى تقيمه الإذاعة بمناسبة غرة شعبان ، حسم أمراً طال تردده فيه .. أسرع الخطى متوجهاً إلى حجرة الشيخ عطية بأسفل المنزل رقم «٧» بجارة الزعفرانى . يعمل الأسطى عبده سائقاً بمؤسسة النقل لعموم مدينة القاهرة ، وقبل التحاقه بالعمل مارس قيادة عربات الأجرة ، وفى هذا المجال عمل بالأشغال التالية .

(أ) عام ١٩٤٩ وبعد تسريحه من الخدمة العسكرية عقب انتهاء حرب فلسطين ، عمل سائقاً على سيارة أجرة تنقل الركاب بين القاهرة والإسكندرية ، طراز فورد ١٩٤١ ، سعة سبعة راكب ، يملكها تاجر خيش بالخرنفس اسمه الحاج أبو اليزيد ، حدث أن دب خلاف بينها فعاد متعطلاً ..

(ب) بعد ثلاثة شهور من البطالة ، عاد إلى العمل سائقاً على عربة تعمل داخل القاهرة ، لمدة عشرة أعوام لم يختلف مع صاحب السيارة ، وهو حاج طيب يعمل مقاولاً للأدوات الصحية ، يتحدث دائماً عن الحظ فى الحياة ، كيف هجر بلده فى أقصى الصعيد ثم جاء إلى القاهرة ماشياً على قدميه . أعطاه الله حتى أصبح من القلائل الذين يقومون بتجارة وتركيب الأدوات الصحية من أحواض ومراحيض وخلافه . كما امتلك سيارة نقل ، وعدداً من سيارات الأجرة ، أحب الأسطى عبده عمله لتنوع زبائنه وتبادل الحديث معهم ، يقص دائماً حادثاً جرى له فى الحرب عندما خاض معركة حامية ضد اليهود فى بلدة فلسطينية اسمها ( المجدل ) ، أسفل ركبته جرح يحمل آثاره حتى الآن ، يقص مشاعره لحظة نفاذ الشظية عبر جلده ، كيف ظن أنه مات ، كيف حرك أطرافه ؟ كيف أفاق ؟ مرة واحدة كشف عن مكان الجرح عندما ركب معه شابان من مصر الجديدة إلى ساقية مكى وأبديا تجاوباً معه . بل أن أحدهما انتقل إلى جواره مما سره كثيراً .

« .. ملف (أ) يضم بعض الشخصيات من سكان حارة الزعفرانى ، معلومات مستقاة عنهم من مصادر شديدة العلم بما يجرى فى الحارة ..

(ج) اعتباراً من ١٩٥٧ ، انتقل الأسطى عبده للعمل بإحدى شركات الأوتوبيس الأهلوية . عمل على خط يصل ميدان السكاكيني بالقلعة ، لم يقطع علاقته بالتاكسي ، يعمل به ساعات بعد انتهاء ودرسته ، لا يعرف بالضبط متى ارتبط بالست بثينة . لكن الثابت بين الأهالي في حارة الزعفراني أنه تعرف إليها من التاكسي ! ، عندما تقول النسوة هذا يخفضن أصواتهن ويبدو على وجوههن اشمزاز من التاكسي « يعني لم يطلها من عائلة » يتناولن جانباً آخر من حياة الست بثينة وهو عملها كراقصة أثناء الحرب العالمية الثانية وجمعها ثروة تقدر بحوالي أربعمائة جنيه أغرت الأسطى عبده على الاقتران بها . اشترت له - قبل زواجها - حلة كاملة وثلاثة بنطلونات ، وخمسة قصان وعدداً من الجوارب . وملابس داخلية ، يقول البعض - وهؤلاء قلة - أنه تزوجها قبل حرب فلسطين ، ثم طلقها ، بعد عودته ويعيش معها الآن في الحرام ، ويرد آخرون بأنه لم يطلقها ، العصمة في يدها . وهي تعتدى عليه كثيراً بالضرب ، ويبدو خائفاً منها حتى في مشيه عند عودته من عمله في الظهيرة هادئاً مطرق الرأس لا ينظر حوله ولا يسمع له حس كأنه يود عبور الحارة بسرعة ، استهدفه صببية الحارة أحياناً ، صاحوا عليه ، أخرجوا ألسنتهم ، لم ينهرهم ، لم يحرك ساكناً ، بدا خائفاً منهم ولم يشك صببياً منهم إلى أمه أو أبيه ، في هذه الليلة ، أول شعبان ، لم يدخل بيته ، قطع الحارة حتى نهايتها ، يلاحظ أن الحارة سد لا تؤدي إلى حارة أخرى . يقوم في آخرها المنزل رقم « ٧ » ، تحت سلمه حجرة ضيقة يقوم بها الشيخ عطية ، دخل الأسطى عبده ، تربع أمام الشيخ الذي أوشك رأسه أن يلامس السقف المائل ، عبث بجبات المسبحة المعلقة على صدره ، قال « خيراً » ، قال الأسطى بسرعة وإيجاز - كما أوصته امرأته بثينة - أن حياته الزوجية مهددة وبيته سيخرب ، ولا يدري ما يفعل ، لم يعد قادراً على القيام بواجباته الزوجية منذ أسبوع ، عندما تزوج امرأته سألته قبل العقد ، هل بإمكانك سقى الأرض يومياً ؟ لم تصدقه عندما أوماً مجيباً إنما أختبرته جيداً ، منذ هذه السنوات البعيدة لم ينقطع عنها إلا في أيام الخيض .

إنها تمرض ، يدركها هزال إذا لم يأتها يومياً ، ومرور أسبوع جاف مجذب فترة فظيغه خاصة أن أحواله لا تتحسن وأعضابه تتوتر ، بحيث يتردد مرات قبل ذهابه إلى البيت ، يخشى عليها من الفتنة لأن طبيعتها حامى ، لن تستطيع صبراً مع هذه الحال . قال أنه استعمل وصفات بلدية واشترى أعشاباً من الحمزاوى ، وطبق نصائح سائق تاكسي عجوزاً خير الدنيا بالطول وبالعرض ، برقت عينها الشيخ عطية فى السواد . سمع صوت أوراق تقلب ، أجرى حسابات ، لفظ متمات بصوت يشبه صوت طفل ، لم يستطع الأسطى ، رفع البصر ، لكن خيل له أن الشيخ لا ينتبه له ، الأوراق تقلب بطريقة غامضة ، همس منكسراً : أنه إذا لم يشف فستطرده ، بعد صمت قال الشيخ .. « تعال إلى صباح الجمعة الذى يلي صباح الجمعة المقبل قبل طلوع الشمس

.. يعمل سيد أفندى التكرلى موظفاً بمؤسسة الأمانات العامة ، يدخل الحارة ومعه أفندية يرتدون نظارات طبية . وزيرير مذهبة فى أطراف قصانهم وأحذية غير متسخة ، بعضهم يمسك حقائب سوداء أنيقة ، عدد من أهالي الزعفراني يقولون أن ثمن الحقيقية الواحدة عشرون جنيهاً . ثور تساؤلات عديدة حولهم ، هل هم أقاربه ؟ أو معارفه من ذوى النفوذ ؟ بعضهم يشغل وظائف هامه فى الوزارات والمصالح ذات الصفة الخاصة . علاقاته بهم سهلت الكثير من أمور الأهالي ، لم يتأخر عندما لجأت إليه الست وجيدة تطلب منه الوساطه لخدمة ابنها أسامة الذى أنهى المرحلة الابتدائية وإدخاله أحد مراكز التدريب المهني ليقتضى فترة بسيطة يتخرج بعدها متقناً لصناعة أو حرفة مما يوفر على عائلته مصاريف طائلة ، ويساعدهم فى مواجهة أعباء الحياة ، وعندما تفجر البالوعة يقوم بالاتصال الفورى ويجيء أثره عدد كبير من العمال ليزيلوا جميع الآثار القذرة وتنظيف الحارة تماماً ، وعندما لدغ عقرب « عليه » ابنة الست خديجة

الصعيدية ذهب معها إلى المستشفى ، عادت لتروى كيف كلم الأطباء ، كيف تحدث إلى المرضى والمرضات ، كأنه وزير أو مدير ، إنه الوحيد الذى يستطيع إعادة التيار الكهربائى إلى الحارة بعد انقطاعه بدقائق ، كثيرون يتحدثون عن الطريقة التى يديرها قرص التليفون ، إيقاع صوته وهو يصيح « آلو » إنه الوحيد الذى يستطيع الحديث فى أى وقت من تليفون مقهى المعلم الداورى ، وعلى الرغم من خدماته العديدة لأهالى الزعفرانى فإنه لا يختلط بهم ، لا يعرف أحد شكل بيته من الداخل ، أكد البعض امتلاكه ثلاجة وسخانا وريكوردر كاسيت ، لم تستطع إحدى النساء التصنت عليه لأن مسكنه يقع فى الطابق الأخير من بيت أم كوثر الخامس إلى يمين الداخل من حارة الزعفرانى ، فى مواجهته بيت الحاج عبد العليم المنخفض ذو الطابقين ، هكذا يقوم فراغ فسيح فى مواجهة شقة سيد أفندى ، وبتاريخ ٤ / ٨ / ١٩٧١ ، نقلت أم صبرى إلى الست بثينة خيراً هاماً ، رأت سيد أفندى يدخل بصحبة رجل أسمر يرتدى جلباباً أبيض وعقالاً ويتكلم قائلًا « إيش .. مادرى .. أختى » مصمصة بثينة شفيتها ، قالت أنه رجل محير وامرأته الحلوة مستمرة فى تجاهلها لنساء الزعفرانى ، لو وقفت قليلاً فى شرفتها لا تومىء لجارة ، تبدو مشمثة ، قالت أم صبرى ، البيوت أسرار ، ومادامت متعالية هكذا ، ولا تلقى على جاراتها السلام فما الذى يبقيا فى الحارة ، لماذا لا تنتقل إلى حى أكثر رقياً ؟ تجد فيه نديداً ومن يزرنها وتزورهن ؟ إن نساء الحارة يرصدنها ، يلاحظن حركاتها عندما تقف فى الشرفة أحياناً ، أو تنشر غسيلاً ، أو تطل ممسكة بجردل ماء ، تنتظر خلو الزعفرانى من المارة لتسكبه . بعد قطعها للمسافة القصيرة الواقعة بين البيت ومدخل الحارة تتحدث النساء عن ثيابها ، يحاولن تخمين أسعارها ، من قامت بتفصيلها ؟ عطورها الفواحة ، كما تحظى تسريحة شعرها باهتمام كبير ، غير أن قوامها الطويل كعود النبات الأخضر المرتوى ، وطريقة خطوها تجعل الجميع يرمقونها بإعجاب ، حدث فى العام الماضى أن عويس الفرن أقسم يميناً أثناء استعداده لنقل طاولات العجين من

منزل حسن أفندى أنور أنه رأى عربة طويلة تقف فى ميدان الحسين ويركبها سيد أفندى وامرأته . تذكرت امرأة حسن أفندى ما نقله إليها ابنها حسن ، أثناء عودته متأخراً من السينما رأها ينزلان من عربة لونها أحمر . عويس أخبرها أن لون العربة أبيض ، نقلت ما سمعته إلى زوجها لكنه نهرها ، أنها فى حالها ولا علاقة لها بما يركبه سيد أو غيره ، طلب من حسان ابنه ألا يعود إلى نقل مثل هذه الأخبار . أما الست أم نبيلة فأصغت إلى ما يتردد بحذر ، لا تحب الخوض فى سيرة أحد لأنها تخشى سوء العاقبة التى قد تحل بابنتها ، ونبيلة لم تتزوج حتى الآن ، لكنها لم تستطع السكوت عن نقل ملاحظة ، إذ أنها رأت زجاجات خر فارغة ملقاة فى الزباله التى يزيلها عبده الواحشى الكناس ، سألته ، قال أن مصدرها شقة سيد أفندى ، قالت أنه رجل « سيور » يسمح لمعارفه بالسهر فى بيته . ولم يحدث أى بادرة منهم تضايق الجيران ، لكن طرأت عدة ظواهر لوحظت خلال الأيام الأخيرة ، ربما بدا بعضها عادياً بالنسبة لواقع الحياة فى الزعفرانى ، كثيراً ما تستيقظ الحارة فى ساعات الليل المتأخرة بسبب شجار يدور بين أسرة واحدة ، ربما يقف أحد الأفراد ويهدد برمى نفسه ، أو يلفظ سباباً فى الحارة مع أنه موجه ضد أحد المقيمين معه بين جدران أربعة ، اشتهرت بهذا أسر بعينها . وحناقات معينة ، منها مثلاً سلسلة المشاجرات الحادة التى نشبت بين زنوبة الممرضة وزوجها عمر الذى عمل كمسارياً فترة من الزمن ثم فصل لسبب لا يعلمه أحد . وحناقات عائلة أم صبرى . وزعيق فريدة البيضاء ضد زوجها حسين رأس الفجلة . ويتميز زعيقها بطبيعته الفكهة مما جعله يحظى بترحيب الأهالى فلا ضرر منه ، ويصبح مسلياً عندما ترفض مداعبات زوجها القزم . وإذا احتج وخرج من البيت تقف فى الشرفة وتخرج لسانها ثم ترش المياه عليه ، بمجرد اختفائه عند المنحنى تبدأ حواراً مع إحدى جاراتها كان شيئاً لم يحدث . والحارة ترهب شجار الست بثينة ، لأنها تعرف أكبر قدر من الشتائم والأوصاف البذيئة ، ولها قدرة على لفظها بكلمات كبيرة فى أقصر وقت . وأحياناً تعتدى على غريمها



بطرحتها أرضاً ثم ضربها بالشيشب فوق أدق أجزاء جسمها حساسية، أن الأهالي لا يتركون الشجار محتدماً، كثيراً ما يذهب الجيران إلى الأسرة المتصارعة، يقضون الساعات، كل فرد من الأسرة يعرض ما يضايقه بصوت عال، أحياناً يهدد البعض بالانتحار، يشروعون فعلاً في سكب البترول، أو إلقاء أنفسهم من الشوافذ، هنا يسرع الجميع، يتعالى الصراخ، وهكذا عرفت أدق أسرار حارة الزعفرانى، تلك أمور عادية. لكن أن يصدر زعيق من بيت التكرلى فهذا يثير اهتماماً مضاعفاً، فى اللحظات الأولى ظن الداطورى أن الأصوات صادرة من بيت الموسيقىار «قرقر» لكن طبيعة الأصوات بدت مختلفة، طريفة الزعيق نفسها اضطرتة إلى نقل جسده الضخم وفتح النافذة محاولاً تتبع مصدر الصوت كدهشته البالغة فوجيء أنه التكرلى، أما عاطف الجامعى ساكن الطابق الثالث بنفس المنزل، والمهتم بإكرام امرأة التكرلى فقال، أنه عندما سمع ارتفاع الأصوات، وتكبير الأطباف، أطل من نافذة المنور الداخلية حيث يمكنه سماع أقل حركة فى البيت، الصمت الليلي فى الزعفرانى ثقيل جداً، لا توجد طرق قريبة تجرى فيها سيارات أو ترامويات، الأطفال يأوون إلى بيوتهم مع نزول الليل، تختفى صيحاتهم و يضع ضجيجهم، بدأ صوت التكرلى واضحاً أثناء رده على شخص آخر يتكلم بسرعة، لهذا لم يستطع عاطف تمييز ألفاظه خاصة أن لهجته غريبة، وفيما يلى بعض ما فاه به التكرلى .. «أنا لست مسئولاً»، «لن أرد ملياً» .. «العيب فيك أنت»، فى الأيام التالية تكررت المشاجرات وبدأ طلوع الحس من بيت التكرلى، وفى اليوم الرابع سمع عاطف، والمعلم الداطورى، وحسان بن حسن أفندى أنور، وأم سهير، كلهم أصغوا إلى صوت إكرام الناعم الباكي «احتملت كثيراً. لم أعد أطيق .. لم أعد ...» .

الاسم : حسين الحارونى ، الشهر برأس الفجلة ..  
 المهنة : يقال ، يعمل مسحراتيا للحاراة والحارات المجاورة ، ورث المهنة عن أبيه .  
 محل الميلاد : حارة الزعفرانى رقم « ٣ »  
 محل الإقامة : حارة الزعفرانى رقم « ٣ »  
 الملامح المميزة : طوله ١٢٧ سم ، رأسه منبجج إلى أعلى بميل . مسحوب كقمع السكر أو رأس الفجلة ، عينان مستديرتان كالبلى . سوادهما متجه إلى أسفل دائماً كأنه ينظر هلعاً . شفتاه منفرجتان ، أحياناً يرى خيط رفيع جداً من لعاب يصل ما بين فمه وذقنه .

### الحالة الاجتماعية وبعض ماجرى فيها :

فى أواخر ديسمبر عام ١٩٥٧ ، جلس حسين رأس الفجلة أمام مقهى الداطورى صباح يوم أحد مشمس خلت فيه الشوارع من المارة توقفت فتاة بيضاء تمسك صفيحة ممثلة بالكيروسين ( فيما بعد عرف أنها تشتري حاجات البيت ) . ضحكت لفتاة أخرى جاءت من الاتجاه المقابل وسألها عن الحياطة التى فصلت فستانها الجديد ، اضطر رأس الفجلة إلى الميل قليلاً ليرى الفتاة البيضاء ، ملأ عينيه منها حتى رأى حبات نمش متناثرة على وجنتها ، مال على المعلم الداطورى ، «إبنة من هذه ؟» ، بعد نظرة متثاقلة قال المعلم «تزوجها ؟» إتسعت إنفراجه فمه ، قبض على مبسم الشيشة ، هز رأسه متمنياً بصوت عال لو حدث هذا ، عندئذ أدلى المعلم ببعض المعلومات ، قال ان فريدة هذه إبنة الأومباشى « حدقة » من أحباب الحسين لم يؤذ أحداً ولم يش بانسان ولا يتعاطى المخدرات برغم عمله فى قسم الدرب الاحمر الذى تتبعه الباطنية المزدهجة بتجار

الحشيش والأفيون مما يتيح له فرصة الكيف المجانى ، أب لسبعة ، ثلاثة ذكوره وأربع فتيات . قال الداطورى انه لن يرفض له طلبا ، سيرحب لأن فريده فرحة عمره الأولى ، فى اليوم نفسه وقبل بداية المساعى ، صعد رأس الفجلة إلى سطح البيت حيث تقيم والدته أم الخير فى غرفة بنتها بنفسها ، لا يدري أحد عمرها الحقيقى ، جسدها محنى حتى ليكاد رأسها يلامس قدميها ، يزعم البعض أنها تجاوزت المائة عام وأن الأسنان الخضراء نبتت لها . لا تتصل بأحد ، لا تقف مع النساء ، أحيانا تعبر الحارة على مهل شديد ، تقصد زيارة أحد الأولياء . يتدلى من عنقها كيس من القماش المتين لا يدري إنسان محتوياته الحقيقية ، تغيب أياما عن الظهور ، لا يلفت اختفاءها نظر أحد ، لكن يحدث أحيانا أثناء وقوف الأهالى فى الشرفات أن يدركهم إحساس غريب ، أنهم مراقبون ، يرفعون رؤوسهم إلى أعلى ، تدركهم رعدة إذ تلتقى عيونهم بنظرات أم الخير التى يبدو رأسها مطلا على الحارة كلها ، يخفى السور جسدها فكان دماغها مقطوع الصلة به . لا يتصل بشيء ، يحار البعض ، كيف انتصب جسدها المنحنى ، لا تلفظ كلمة ، لا تومئ بتحية ، تظل ساعات ناظرة فى اتجاه واحد ، يخيل للجميع أنها ترقبهم ، كل إنسان يظن أنها تنظر إليه هو شخصياً ، يضطر البعض إلى إغلاق النوافذ والشرفات ، إذا ما أطلوا بعد فترة يجدونها على نفس الوضع ، ثم تختفى أياما ، أحيانا تتوقف أثناء سيرها البطيء فى الشارع تنظر من أسفل إلى شخص مما يجعله يولى بعيداً ، هى كل عائلة رأس الفجلة ، لا يقدم على عمل إلا إذا أخطرها ، لا ترد عليه ولا تجيبه ، ربما يدرك من ملامحها أو حركاتها أو يحس علامات معينة تعنى لديها الرفض أو القبول . لم تتحرك عندما أخبرها . لكنه مضى متحمساً إلى الداطورى وقال إن أمه قد وافقت ، عندما شاع خبر زواجه قوبل بردود فعل مختلفة ، بعض النسوة أبدين إمتعاضا ، خاصة أم صبرى ، وأم حمادة ( توفيت منذ أربع سنوات ) ، كلتاها أم لفتاة أو أكثر ، هيئته غير مشجعة لكن المعروف أنه يرقد فوق ثروة ومع بخله الشديد ، لا يرى طوال السنة إلا

بجلباب واحد ، يقال انه لو خلعه فسيف الجلباب منتصبا لكثرة ما يحمل من قذارة ، ورث عن أبيه بيتاً بأكمله فى حارة الزعفرانى ، وبيتاً آخر فى درب الفراخة . وترددت الشائعات : أنه ينوى هدمه وإقامة عمارة ضخمة مكانه ، ورث أيضاً دكان البقالة الواقع أمام حارة درب المسط ، أهم ما فيه وعاء زجاجى مستطيل ، ملىء بالليمون المخلل الضخم الذى تشقق لقدمه ولانت بذوره ، يبيع الليمونة الواحدة فى أيام الرخص بثلاثة قروش ، أما الآن فثمناها خمسة ، يبذل فى إعدادة جهداً كبيراً ، يعتبر تحليله سراً لا يجوز البوح به ، لكن أخطر ما يمتلكه مخزن ضخم كبير يقع تحت بيته فى الزعفرانى ويمتد إلى ما لا يعلمه إلا الله ، مدخله أشبه بالقبر ، يقال انه مسكون ، يتفرع الى عدة مخازن كلها تحت الأرض ، رأس الفجلة يدخله فى أى وقت ليلا أو نهاراً ، يمتلىء المخزن بقطع أثاث ، وسجاد . وقبعات ، وإطارات صور قديمة ، ومرايا ، وكتب بلغات مجهولة ، واسطوانات ، وعلب خشب ثمين مطعمم بعاج وصدف ، وآلات حديدية ، ومصاعد كهربائية ، ومطابخ تدار بالفحم ، فى إحدى الصفقات أخرج رأس الفجلة من المخزن موتور سيارة ضخما وقبض ثمنه أربعمائة جنيه من أحد التجار ، يقال ان المخزن به عربات كاملة تنتمى إلى طرز مختلفة ، أول أوتوموبيل دخل مصر يوجد لديه ، كما رآه الأهالى يحضر جسما معدانيا هائلا ، سئل عنه فقال انه مدخنة قطار ، رأس الفجلة يغلق البقالة يومى الأحد والجمعة ، يمضى إلى المزارات ، ينتقى منها . يعرفه جميع أصحاب الصالات الأهلية والحكومية فى البلد . كل ما يشتره يأتى به إلى المخزن ، حدث فى عام ١٩٥٤ أن أرسل أحد الخبثاء عريضة إلى قسم بوليس الجمالية مضمونها أنه يشك فى وجود مومياء فرعونية ، وحلى ذهبية أثرية وجثث موتى لدراسة الطب فى مخزن رأس الفجلة ، حولت الشكوى لسبب ما إلى مديرية البوليس السياسى الذى هاجم المخزن ليلة الخميس ، أحضروا رأس الفجلة ، فك الأقفال الغليظة والعوارض الحديدية الضخمة المشبته ، أبدى كربا هائلا ، عجزوا عن إيجاد أى أثر لمومياءات أو جثث ، ذكر

قائد القوة المهاجمة وجود كثير من الآثار الفرعونية لكن بالكشف عليها وجد أنها مقلدة ومسموح تداولها. ترددت أقوال كثيرة بخصوص واقعة تفتيش المخزن، بعضهم أكد أن رأس الفجلة تمكن بوسيلة ما من اغلاق أقسام كاملة من مخزن، بحيث لا يستطيع أدق الباحثين الشك في وجود منافذ أو حجرات أخرى. (يؤكد بعض الأهالي وجود ممر تحت القاهرة كلها يبدأ من المخزن وينتهي في صحراء دهشور)، قيل ان رأس الفجلة رشا قائد القوة بمبلغ هائل ليدلى بتقريره المضلل، وقيل ان للمخزن رسدا من الجن يحجب ما فيه عن البشر عدا رأس الفجلة، لكن البعض قالوا ان الدولة علمت بوجود كميات كبيرة من الذهب في القبو، لهذا رفضت لفت الأنظار إليه. مع إبقاء رأس الفجلة تحت رقابة صارمة ودائمة حتى لا يهرب الذهب إلى الخارج، واعتبرت هذه الكميات من الاحتياطي الاستراتيجي لاقتصاد البلاد. انعكس هذا على ميزانية عام ١٩٥٥، والمصانع التي أنشئت فيما بعد بفضل هذا الغطاء النقدي الغريب، بعد هجوم البوليس السياسي أغلق محل البقالة سبعة أيام متصلة. قضاها رأس الفجلة في المخزن يرتب مقتنياته، لم يره أحد لمدة أسبوع، وهذا يعنى وجود مصادر الاكل والمياه بالداخل والافن أين أكل وشرب طوال هذه المدة؟ يشاع عنه أيضاً هواية جمع النقود. لديه حساب في البنك الأهلى فرع الأزهر ولأن البنك يحتفظ بسرية حسابات عملائه لم يستطع أحد الإطلاع على مقداره، يقول دائماً للمقربين منه انه لا يدخر أبداً. والجميع يتحدثون عن كميات نقد سائلة في بيته، لكنه على حق فهو يجمع النقود ولا يدخرها. يحتفظ بكل ما يصله من قروش معدنية مستديرة أو مثقوبة، يضعها في صفحية كبيرة حتى تمتلئ، في بعض الليالي يحضر طشتا يقلب فيه القروش، يصغى إلى صوت اصطدامها المعدني، يرتبها صفوفًا، يعدل وضعها، يكتب بها حروفاً وكلمات، ينظم منها أشكالاً هندسية غامضة، فيما بعد عرف من فريدة أنه يحتفظ بصفيحة ممتلئة بعملة فضية فئه القرشين المسدسة المصنوعة من الفضة الخالصة والتي احتفت من السوق تماماً لأن القيمة الحقيقية للقطعة الواحدة

تسعدى الخمسين قرشاً بالنظر إلى ما تحويه من فضة. لديه صفيحة أخرى تحوى عملات ذهبية مستديرة يحصيا كل خمسة عشر يوماً مرة و يغسلها بماء الورد، لديه عملات من زمن الدولة العثمانية، والمماليك، وعملات هندية، ونقود حبشية، وأخرى صينية، وكلها اما من الذهب أو الفضة، نساء الحارة كلها يدركن هذا، تمنين لو تقدم إلى إحدى بناتهن، أم صبرى دعتة الى بيتها، أولت له فهو يحب أن يدعى الى غداء أو عشاء لأن هذا يوفر ثمن وجبة وهو غير ملزم برد هذه الدعوات لأنه بلا زوجة، تندررت عليه أم عليه فقالت للست بثينة، ربما يتخوف من الزواج لضيق حاجته فى عدم رد الدعوات، فجأة، دخل الحارة ثلاث عربات كارو وتحمل أثاثاً، عربة تحمل مقاعد ودولاباً منصوباً صففت بداخله جلابيب وفساتين زاهية، أخرى تحمل وسائد وأغطية وردية اللون، وصينية بها ثلاث قفل مملوءة بالمياه ومغطاة، ظهر رأس الفجلة، بدأ يشرف على طلوع الأثاث، وعندما انتهى الحمالون قامت مشاجرة بين سائقي العربات ورأس الفجلة حول الأجور، والحقيقة أنه لم يتجن عليهم كثيراً، العربات لم تمش مسافة كبيرة، لكن العريجه أصروا على بتشيش مضاعف لأنهم لا ينقلون أثاث عرس كل يوم، لم تستمر المشاجرة كثيراً، إذ أن رأس الفجلة تنازل ومنحهم ما طلبوا وهذا يحدث نادراً فى حياته. ويعتبر وصول الأثاث مصحوباً بالزغاريد والظبول نهاية لمرحلة مناقشات طويلة مع أهل العروس، فى البداية عرض رأس الفجلة إعداد الجهاز من مخزنه فى مقابل ألا يدفع مهراً، رحب الشاوش « حدقة » بالفكرة فلو قبض مائة جنيه مهراً لا يضطر إلى إضافة ضعفها وهذا أصعب بالنسبة له، لكن أم العروس رفضت الاقتراح لأن أول فرحتها يجب ألا تبدأ حياتها على أثاث قديم، وهنا قال رأس الفجلة أنه سيدفع فى العروس خمسين جنيها ورقة واحدة، أبدت الأم انزعاجاً، قالت ان ابنتها تساوى أكثر من ذلك، بعد أخذ ورد ومناقشات تدخل فيها المعلم الداطورى استقر الرأى على أن يدفع رأس الفجلة ثمانين جنيها ويلزم باعداد المطبخ وأكواب الشاى والستائر وطقم صينى



كامل والشوك والملاعق والسكاكين ومرتبة واحدة ، قال للمعلم الداطوري إن لديه سريراً مطليا بماء الذهب ، لسنوات طويلة تمدد فوقه أحد أغوات القصر الملكي ، يعنى لم تضاجع فوقه امرأة . منذ حصوله عليه صمم ألا يفرط فيه برغم الأثمان العالية التى عرضها تجار التحف . سينصبه وسينام فوقه ليلة وفوق السرير الآخر ليلة ، وهنا قال الداطوري افعل ما تشاء لكن لا تتحدث كثيراً عن أمور بيتك . أوما رأس الفجلة مطيعاً ، قبل عقد القران بيومين وقعت مشكلة ، فريدة لم يتجاوز عمرها أربع عشرة سنة ، لكن الداطوري توجه إلى طبيب ودفع له خمسة جنيهات أضيف مقابلها ثلاث سنوات إلى عمر فريدة ، هكذا أصبحت عروساً فى السابعة عشرة ، بعد اسبوع من الدخلة تهامس نساء الحارة بأن فريدة لا تزال عذراء ، لا يعرف كيف انتشرت هذه الأنباء ، أضاف الشبان تفاصيل عديدة ، ذكروا خوف البنت من الرقاد إلى جواره بسبب لمعان عينيه فى العتمه ، واشتمزازها من لعبه ، تحدثوا عن كرهها له من أول ليلة لأنه عندما خلا بها بدأ يتفحصها ، يتحسس ذراعها . يعد أسنانها ، يحصى أصابع قدميها . يطرق مفاصلها . بلغت الداطوري بعض الهمسات . استدعاه وأطلعه على ما يقال ، قال رأس الفجلة إن البنت لا تزال صغيرة ، لا تدرى شيئاً عن هذه الأمور ، كلما اقترب منها تبكى فيبتعد مرتبكاً . هنا ضربه المعلم على ركبته ، البكاء علامة الرضا ، عليه ألا يضيع دقيقة واحدة ويأتى بما يخرس الألسنة ، قال إنه لم يسع فى زيجة وفشلت أبداً ، يجب أن يستر ماء وجهه ، فى اليوم التالى لم تفتح نوافذ العروسين ، لم يفتح دكان البقالة لم ترفع العوارض الحديدية لأبواب المخزن ، تهامس الأهالى ، رأس الفجلة يصفى حسابيه ، بعد ثلاثة أيام مضى إلى دكانه ، جاءت بعض السيدات يزرن الجارة الجديدة ، قدمت هن الشرابات . بدت حلوة نضرة ، لكن أم صبرى قالت لأم سهير مساء اليوم نفسه ، انها طفلة لم تنضج بعد . انها خفيفة وبها طيش ، قالت أم سهير صحيح انها بيضاء وعيناها خضراوان كورق الخنس ، لكن النمش يغطى رقبتها ، أشارت أم نبيلة إلى نحافتها ورقة جسدها ومثلها لا يجدى

معها وصفات العطارين ولا أدوية التسمين ، ونهت أم عليّة الى أنفها الحاد الطويل ، وافقت الست وجيدة وامرأة البنان وروض وامرأة حسن أفندى أنور أن ساقها نحيفتان ، ولاحظت زنوبة الممرضة ما غاب على الجميع . فالمشروب الذى قدم ينقصه السكر وهذا يعنى عدم اتقانها لشئون البيت ، وهنا أجمع كلهن على ملاحظة واحدة هى صغر سنها مما يجعل قيامها بواجباتها الزوجية من كئس وطبخ أمراً مشكوكاً فيه ، أكدن أنها لن تعمر طويلاً ، ثم لاحظن فى الأيام التالية عدة ظواهر : إبتعاد فريدة عن مخالطة جاراتها حتى أنها لم توجه التحية إلى أم سهير المواجهة لها تماماً والتى لا يفصلها عنها إلا عرض الحارة الضيقة ، مما استفز أم سهير وصاحت تنادى ابنتها (عمرها أربع سنوات وقتئذ) . « ياسهير . يا بنت العسكرى » وبتنا التحرش واضحاً لأن والد سهير نجار وليس جندياً . لوحظ أيضاً اقبال فريدة على مصاحبة البنات الصغيرات ، حدث فى ظهيرة يوم الثلاثاء أن سمعت أم يوسف ضجة فوق السلم ، وعدداً من الصبية يتصايحن ، فتحت باب الشقة ، رُفعت لتطرد العيال الذين يحدثون ضجة تهدد بازعاج عمهم طاحون أفندى غريب الذى يشقى طوال الليل ولا يذوق النوم فى هذه الحارة القذرة ، ثم دعت إلى الله كالعادة أن يتوب عليهم من الزعفرانى ، لم تكمل أم يوسف كلامها ، فوجئت بفريدة تجرى وراء الأطفال ، تلهو معهم . من ناحية أخرى أجرت أم عليّة استجاباً دقيقاً لابنتها التى اعترفت باستدعاء فريدة لها ، أعطتها قطعة (مداغة) طلعتا فوق السطح وعلى مرأى من الأم العجوز خططا الأرض بطباشير أبيض ، وأحضرت فريدة علبة ورنيش قديمة ، بدأت فى الوثب على ساق واحدة . ودفع علبة الورنيش عبر المربعات المرسومة فوق الأرض ، لعبتا « الأولى » ، مع مرور الأيام . زارت فريدة بعض البيوت ، بدت مرحة ، ضاحكة ، لا تعول هما ، لا تقلق من غد ، لا تشكو نقصاً فى زيت أو سكر ، ولا تميل هامسة لتقترض خمسة قروش ، لا تتردد فى خوض أى حديث ، حتى ان أم سهير سألتها عن أحوال زوجها ، لم يتخل عنها مرحها الطفولى وهى تصف

أحواله . أدلت بمعلومات قيمة تناقلتها الألسنة ، بسرعة ، ساهمت في تغيير الصورة الشائعة ، قال الحاج حنفي عساس البهائم ان الله عوضه خيراً ، بل أحسن إليه العطاء ، قالت أم سهر ان ما وصفته فريدة يفوق كل التقديرات ، ونهت إلى طريقة مشيها بعد الزواج ، قالت أم صبرى انها قابلت فريدة عند محمد الخضرى ولاحظت امتلاء حافظتها بالنقود ، وبدا واضحاً من المتابعة الدقيقة التى قامت بها أم سهر بحكم موقعها القريب لما ينشر من ثياب على الحبل الغسيل أن عدد الأطقم الداخلية الشفافة الغالية تجاوز العشرين ، جميعها وارد الخارج والفساتين لا حصر لها ، أبدت الست بثينة قلقاً بالغاً عندما رأت صباح أربعاء عربية صغيرة تدخل الحارة ، يدفعها رجل يرتدى قيصاً وبنطلونا وصندلا ، تحمل غسالة كهربائية ، أبدت غيظاً مكتوماً ، ستصبح الغسالة محوراً لأحداث النساء ، سيذهبن للاطلاع على طريقة تشغيلها ، الست بثينة حريصة على سبقها الى شراء الأجهزة الحديثة ، مها طال الزمن بحارة الزعفرانى لن ينسى سكانها أول راديو دخل الحارة عام ١٩٥١ . أثناء حفلات أم كلثوم الشهيرة تضعه على حافة النافذة المطلة على الحارة بعد استدعائها لأبى غزالة الكهربائى وتركيبه فيشة بجوار النافذة ، يصغى الرجال والنساء ، إذا حدث أن تشاجرت احدهن مع الست بثينه تعلن غضبها ، ليس من المعقول أن تفتح الراديو لتستمع إحدى عدواتها ، هنا يتساءل الرجال عن ذنبهم ، يقول حسن أفندى أنور « انت الخير والبركة » . . تشعر برضاء لأن ما يقال لها بصوت عال يعتبر تعريضا بغريمتها ، تعلن أنها من أجل الناس الأصدقاء فى الحارة من أجل الكرام وليس من أجل الدخلاء الذين ابتليت بهم الزعفرانى على آخر الزمن ، الذين طفحتهم الأحياء القذرة . من أجل الذين بنوا الحارة طوبة طوبة وحرصوا على بعضهم البعض ، من أجل الطيبين ستفتح الراديو ، لا تنسى الحارة أيضاً أنها أول من أدخلت البوتاجاز . يوم أحضرته زفه الأطفال ، وقفت أمام كل بيت تشرح للنساء مزاياه وطريقة تشغيله ، وعندما يحين ميعاد تغيير الأنوية تزعق من النافذة منادية أحد

الأولاد ليستعجل الرجل ، أثناء تبادلها الحديث مع إحدى جارئاتها يعلو صوتها فجأة ، « صينية البطاطس فى الفرن ولا بد أن تدخل لتلاحظها » . عموماً لم تصبر الست بثينة طويلاً ، بعد شهر واحد من وصول الغسالة إلى بيت رأس الفجلة دخلت الحارة عربية يد تحمل غسالة مختلفة الطراز ، أعلنت فى حديث لها مع الست أطفاف أن غسالتها لا مثيل لها وأنها غالية الثمن ولا يوجد منها فى مصر الا أربع . ثلاث فى قصور الحكام والرابعة فى بيتها هى . تعمدت الحديث بصوت عال أثناء وقوف فريدة فى الشرفة ، لكن امرأة رأس الفجلة لم تلق بالاً إلى الاستفزاز المتعمد . فى المساء قال قرقر الموسيقار لطاحون إن الأربعمائة جنيه مدخرات الست بثينة نقصت بعد شرائها الغسالة ، فى الصيف التالى لزواج رأس الفجلة فوجئت الحارة بسابقة ذات شأن ، إذ رأت أم سهر فى صباح باكر عند نزولها لتشتري الفول والحليب ، رأس الفجلة يرتدى معطفاً جديداً ويمشى بجوار امرأته وخلفها رجل يحمل حقيبتين ، أومأت إليهما أم سهر بتحية صباحية ، تساءلت عن وجهتهما ، قالت فريدة بلهجة صيبانية أنها مسافران لقضاء أسبوعين فى المصيف ، سرعان ما انتشر الخبر فى الزعفرانى كلها ، أصبح المحتوى الرئيسى للحديث الصباحى المتبادل عبر الشرفات وفوق السلام ، قيل إن هذا من علامات الساعة لأن رأس الفجلة لم يذهب إلى سينما أو مسرح أو مدينة ملاء فى حياته ، كيف هان عليه السفر ومصاريف المصيف ، قال الداطورى « الحب يصنع المعجزات » لاقى الخبر انزعاجاً شديداً لدى الست بثينة ، ألفت اللائمة فوراً على الأسطى عبده زوجها . ذكرته باقتراحها منذ عامين للسفر إلى المصيف أسبوعاً لراحة بدنها ، لم يرد ، لم يقسم أنها لم تقترح عليه هذا أبداً . طلبت منه حكى هذه الواقعة لكل من يقابله ، فكرت فى الذهاب معه إلى إحدى قريباتها ، تختفى أسبوعين وترجع لتقول انها سافرت إلى رأس البر ، بدا لها الأمر مكشوفاً ، سيقولون انها غارت من امرأة رأس الفجلة ، لم تنم ، فى اليوم التالى قامت بعدة زيارات سرية إلى جارئاتها ، هاجمت فريدة التى أدخلت بدعاً جديدة إلى الحارة ،

أكدت أن الذهاب إلى المصيف عار لأن النساء يكشفن صدورهن وأفخاذهن ،  
وفوق الرمال تحدث أمور منكرة وذنبيّة ، خفضت صوتها عندما قالت إن البنت  
لعبت برأس الفجلة وأغرته على السفر . هناك ستفرد به ويسهل عليها خداعه مع  
الشبان ، في الحارة ترقبها عيون الأهالي الأحرار ، والأطهار ، لكن هناك يحدث  
كل شيء تحت عيون أعتى الأزواج ، قالت لو أنها ابنة حلال لاصطحبت الأم  
العجوز معها لم يكفها تسبها في الجفوة بين رأس الفجلة والعجوز ، انما تركتها  
وحيدة تنوء بثقل أعوامها المائة ، أكدت أن رأس الفجلة رجا فريده لتوافق على  
سفر أمه ، قال لو تركاها فرما تموت وحيدة ، تأكلها القطط والفران ، رفضت  
فريده تماماً ، لماذا ؟ لتسرح في المصيف بدون رقيب ، فجر أمس أنت العجوز  
طويلا وأشفتت عليها الست بثينة ، يجب على نساء الحارة الوقوف يداً واحدة في  
مواجهة هذه المسخرة ، يكفى افلات رأس الفجلة وزواجه من حارة أخرى ،  
ردت أم عليّة غاضبة ، لوجاءها مثله في كفة وثقله ذهباً في كفة أخرى فلن  
تقبله زوجاً لابنتها ، قالت الست بثينة لنفسها ، المرأة تبدي الرفض الآن لكنها  
حقيقت في الجري وراءه لتزوجه عليّة حتى أنها اقترضت ثلاثة جنيهات لتشتري  
أوزة وسمنا وخضاراً عندما أولت له ، قامت الست بثينة بعدة زيارات يومية  
متعاقبة لجاراتها لدرجة أنها نسيت وزارات أم يوسف مرتين في يوم واحد وقالت  
نفس الكلام وعندما انتهت إلى ذلك أدركت الضرر الذي قد يلحق بهدفاً .  
لكنها أبدت حرارة وغيره لا نهاية لها طوال الأيام التالية حتى تقاطع الحارة  
الفاسقة الصغيرة ، وأمام دكان محمد الخضري قالت أم نبيلة لأم يوسف ان الست  
بثينة آخر من يغار على الحارة وذلك لماضيها في الرقص وفجورها المعروف ، لم  
تكمل وطلبت من أم يوسف ألا تذكر شيئاً على لسانها مما قالته تجنباً لوجع  
الرأس ، بعد أربعة عشر يوماً سمعت أم سهير ضجة وحركة في الزعفراني ، أطلت  
والصباح باكر ، نوافذ بيت رأس الفجلة مفتوحة ، صاحت تستفسر عن بداخل  
الشقة ، من يدري ؟ ربما دخل بعض اللصوص ، اصغت إلى وقع خطوات سريرة

فوق بلاط الشقة ، فريده تطل مبتسمة . جلدها الأبيض اكتسى لونا برونزياً .  
أبدت أم سهير ترحيباً فائقاً ، وصلت الأنباء الى الست بثينة حوالى العاشرة فهي  
لا تستيقظ من النوم أول النهار كنساء الحارة و يقال هذه عاداتها منذ عملها  
كراقصة أيام الحرب ، علمت بترحيب أم سهير الحار وقولها بالحرف الواحد ، ان  
الحارة أظلمت بسفر فريده ، وأضاءت بعودتها ، علمت أيضاً بزياره فريده لأم  
يوسف وامتدادها ثلاث ساعات ، لم تعرف ما جرى خلالها ، والحقيقة أن فريده  
حملت كيساً مليئاً بحب العزير وآخر به حلوى سمسمة وحمصية ، قدمتها إلى  
جارتها ، حكّت عن المصيف ، كيف نزلا البحر في مكان قصي ، لم يتوغلا إلا  
لموضع غطت فيه المياه ثديها ، ضحكّت ، قالت ، إنها ضغطت رأس زوجها في الماء  
مرات ، تحبب بيديه كسمكة لم تفارقها الروح ، لكنه تجرباً وفعل مالا يجب فعله في  
الماء ، أبدت أم يوسف دهشة ، قالت فريده انه تساءل عن إمكانية حدوث هذا  
أصر عليه ، جلساً متواجهين على مقربة من الشاطئ الضحل ثم اقترب منها ،  
رأسها يبدوان للناظر من الشاطئ منفصلين ، لكن جسدهما ملتحمان تماماً ،  
قالت أن هذا مثير للغاية ، وتلك أجل مرة ، اشترى لها كل ما اشتهت ، أكلت  
جلاس اسمه كلوكو وجميري سويسى مشوى ، تعرضا لمضايقات أثناء مشيها في  
الغروب ، أضحكها بعض ما أطلقت الشبان على زوجها ، تساءل أحدهم ،  
كيف ينجب هذا القرد تلك الحورية ؟ هنا ضحكّت فريده دفعت أم يوسف في  
ركبتها ، قالت « ظنوني ابنته » في المساء لا ينزلان ، دائماً يجذبها إليه أول الليل ،  
لا يتركها حتى الفجر ، تضحك فريده بخجل طفولي ، تساءلت أم يوسف ، هل  
حدث هذا كل يوم في المصيف ؟ قالت فريده هذا يحدث يومياً منذ زواجهما ،  
في البداية بدا لها الأمر بلا معنى لدرجة أنه كثيراً ما غمره العرق وارتفع صوت  
تنفسه أثناء نومه معها بينما تتسلى بمص قطعة حلوى ، أو تضربه على ظهره معاتبه  
بين الحين والحين ، أو تطلب منه أن يروي لها نكتة ، والغريب أنه يلبى كل ما  
تطلبه لكنه لا يتوقف أبداً ، تعودت ذلك ، تصغى أم يوسف متعجبة للبسطة التي



تحكى بها محدثتها وتتحيل ما تسمعه وتقول لنفسها ، يا سلام ، يضع سره فى أضعف خلقه ، قالت فريدة إن زوجها ابتهج جداً ، لو رغبت السفر فى أى وقت فسيغلق البقالة ويصحبها ، ضحكت أم يوسف ، قالت إن سفرها لم يعجب البعض ، أبدت فريدة دهشة ، بعض نساء الحارة لا يضمرن الحب للناس ، لا يتركن الخلق فى حالهم ، من هؤلاء بثينة الراقصة ، لا ينجوا أحد من كلامها ، عجربة تفرش الملاءة ولا تتورع عن خلع ثيابها كاملة فى أى مشاجرة تخوضها ، منذ سفر فريدة لم تكف عن التشنيع ضدها ، ترددت أم يوسف عندما لاحظت عدم اهتمام فريدة ، قالت إنها تطلق اسماً لا يليق على سى حسين ... زمت شفيتها ، قالت إنها لا يمكنها لفظه فهى تحترم سى حسين وتراه رجلا يفتى بكل ما يحتاج إليه بيته ، قاطعتها بمركات سريعة هزت جسدها ، كأنها طفل يجذب ذراع والده ليشتري له الحلوى « والنبي قولى والنبي قولى » ، استغفرت أم يوسف ، قالت « تسميه رأس الفجلة » ، لمدة لحظة بدا على فريدة تعجب ثم علا ضحكها مرحاً ، قالت أم يوسف إن الأمر لا يضحك ولو سمعت من يصف زوجها بمثل هذه الكلمات لفتحت كرشه ، تخيلت فريدة لحظة دخول زوجها ، عيناه المحملقتان إلى الأرض ، رآته بعينى عقلها إذ يستيقظ فى الليل ، يتأمل نقوده ، أحياناً أثناء إنهماكه تقرصه ، تدفع أصابعها تحت إبطيه ، تدغدغه ، لا يتمالك نفسه ، يتلوى ضاحكاً ، ما أدق الوصف . فى العصر نادتها أم سهر ، بدا ذهابها إلى الحرم مسلياً ، تصغى إلى حكايات وتسمع أخباراً ، أخذت معها بعض الحلوى ، قالت أم سهر إن هذه تكاليف لا داعى لها ، لم ترد فريدة إلا بكلمتين « خذى .. خذى .. والنبي خذى » صاحت أم سهر أثناء تناولها لأقراص السمسمية والحمصية ، اللهم صلى على النبي ، اللهم أحرصها اللهم نجها ، يابركة السيد ، بعد حديث قصير قالت إن لديها ما تود إطلاعها عليه ، مرة أخرى أصغت فريدة إلى ما قالته بثينة عنها ، ما أدهش أم سهر أن فريدة لم تبد إنفعالا إنما قامت فجأة بحجة انتظارها لبعض صديقاتها ، فى الحارة وقف ثلاث فتيات

يرتدين الزى المدرسى ، صحن مرحبات عندما رأين فريدة ، علمت الست بثينة أن كل ما قالته وصل إلى فريدة مضافاً إليه ما لم تتفوه به ، كتمت غيظاً، أرجأت إنتقامها منهن إلى فترة أخرى ، تمنى لو أبدت البنت المفجوعة أى بادرة عدوانيه عندئذ ترها عجباً ، تفجر كل ضيقها . تخوض معركة من أعنف معاركها ، خناقة تؤرخ بها الحارة لسنين مقبلة ، فريدة لم يهملها من الأمر كله إلا وصف ، « رأس الفجلة » ، وعندما صادفت بثينة فى الحارة وتذكرت أنها صاحبة الوصف سرت روح مرح عابث داخلها ، أحنى رأسها محيية ، لكن بثينة تجاهلتها ومطت شفيتها احتقاراً ، ما غاظها تجاهل البنت لاستفزازها مما جعلها تعتبر ذلك تحدياً يجب ردعه ، لم تعد فريدة تنادى زوجها إلا « يا رأس الفجلة » ، فى ليلة قالت له « أحبك يا رأس الفجلة » ، صفق بيديه ، حرك ساقيه عالياً ، قال مبتهجاً ، « قولى مرة ثانية » ، كررت « أحبك يا رأس الفجلة » وهو يبدى مزيداً من السرور مع أنه خاض فى اليوم نفسه مشكلة بسبب هذا الوصف ، إذ صاح عليه بعض الأولاد ، « هل هلالك يا رأس الفجلة » . أبدى غضباً ، طار وراءهم لم يلحقهم ، حدث أن انفصل أحد الخبثاء من الصبية واسمه حمدى عن رفاقه ، اقترب قائلاً إن زعيم الأولاد هو « مرزوق » ابن أم مرزوق ، اتجه رأس الفجلة فوراً إلى قسم الجمالية ، طلب من الضابط النوبتجى فتح محضر ليدلى بأقواله ، أرسل الضابط يستدعى مرزوق ، عندما رأت أمه العسكرية ويده ورقة صاحت ، « يا خرابى » ، ذهبت إلى القسم ليأخذوها بدلا من ابنها ، بكت ، اسعفت رأس الفجلة ، ذكرته بأولاده المقبلين ، أصر على شكواه وضرورة المضى فى الإجراءات وإرسال الصبى الى الإصلاحية لأنه كاد يفقد حياته بسببه ، فى هذه اللحظة دخل عسكري ممسكاً بمرزوق من ياقة جلبابه ، صرخت أمه « وحياة الست فريدة » ، اضطرب رأس الفجلة قليلاً ، لحظ الضابط تردده ، سأله « هل ترغب فى التنازل عن شكوكك ؟ أوماً موافقاً ، هنا التفت الضابط الى مرزوق طالباً منه تقبيل رأس عمه ، تقدم الصبى خائفاً ، لم يشب على قدميه كثيراً لأنها

متقاربان في الطول، أقسم فيما بعد لأصحابه أن ملمس دماغ رأس الفجلة كشمز اللفت، احتج بعض الأهالي، يعرض مستقبل صبي صغير للخطر؟ على الأقل يتسبب في ضربه بالقسم مما يصيبه برعب لا تزول آثاره مهما عاش، وربما سبب هذا مرضاً، شجعت هذه الأقوال «مرزوق»، تربص منتظراً مرور رأس الفجلة تحت الشرفة، وألقى الماء المتجمع في صينية القلل، تصادف وقوف امرأته، رآته مبتلا، شبت على قدميها، غمزت بعينيها عندما رآته يرتجف برداً، أصرت متخابثة على استحمامه فوراً بالماء البارد الطاهر، تمتت وجود صاحباتها لينظرن سرواله وخوفه كصبي من المياه الشتوية، بعد يومين رماه مرزوق برأس كرنبة، اتجه إلى الداطوري طالباً منه التدخل لحمايته، هنا استدعى المعلم أم مرزوق وطالها بوضع حد للاعتداءات المتكررة والتي يمكن أن تستفز رأس الفجلة. وتعهدت أم مرزوق بمنع ابنها فهي وحيدة بلا سند، وزوجها يعيش بعيداً عنها، ولا تستطيع الذهاب إلى القسم مرة أخرى ورؤية الضابط «أبونجوم» فيما تلا هذا من شهور وأعوام نضجت فريدة. أصبحت أنثى فاخرة وأما لفتاتين، نشوة وميرفت، إنها لا تحملان من أيها أي شبه، عندما تخرج الأسرة تبدو الأم وابنتاها كشقيقات متقاربات السن، أما أبوهم فغريب أرسل لمصاحبتين، لم تتخل فريدة عن هجتها الصبيانية، شاركت ابنتها اللعب واللهو لتشبع رغبتها في العبث الصبياني، الثابت أن الفتاتين لا يكتان احتراماً لوالدهما. إذا ما نشب نزاع طفيف تنحازان فوراً إلى جانب أمهما ضد رأس الفجلة، من يراه الآن لا يلمح آثار مرور الزمن، شعر رأسه أسود كما هو، خطواته، حجم جسمه لم يزد، لم ينقص عيناه تطلان على العالم بتعبير لم يغيره تعاقب السنين، غير أن أهالي الزعفراني يمكنهم القسم غير حائثين إن واحداً لم ير رأس الفجلة يخرج من بيته خلال الأيام الثلاثة الأخيرة: الثابت أيضاً أن أي واحد من الأهالي لم يستفسر عن غيبة رأس الفجلة، لم تسأل عنه أم سهير التي تسكن في مواجهته، لم تذكر أم يوسف كلمة، بل إن عدداً من نوافذ الزعفراني لم يفتح خلال الأيام الأخيرة،

حتى نافذة الأستاذ عاطف الأعزب الذي تعودت الحارة وقوفه قبيل الغروب مرتدياً حلته الكاملة صيفاً وشتاء، يبدو أن بعض الهموم غير العادية شغلت الأهالي عن بعضهم البعض، الثابت بالدليل القاطع، وبالرجوع إلى عدة مصادر تاريخية، وإلى حكايات المعمرين الشفهية، أن هذه سابقة لم تحدث قط في تاريخ الزعفراني. في اليوم الرابع لاختفاء رأس الفجلة خرج من باب بيته، اتجه إلى داخل الحارة، لم يطأ هذا الجزء طوال حياته إلا مرتين. الأولى للغناء في وفاة جد حسن أفندي والثانية لمعاينة شيزلونج قديم أرادت صاحبته المرحومة أمينة بيعه بعد أن ضاق بها الحال، توقف قليلاً أمام البيت الأخير. عبر الباب المظلم، جاءه الصوت غامضاً كأنه قادم من تحت الأرض:

«أدخل بسلام الله»:

مع خطوه إلى داخل الحجره سمع الشيخ عطية يقول إنه يعرف كل ما جاء حسين الحاروني ليقصه، لن يخبره بشيء إلا يوم الجمعة المقبل. بشرط مجيئه قبل طلوع الشمس على الدنيا بسبع دقائق...

الساعة الثامنة مساء اليوم، الأربعاء، ساعة حاسمة بالنسبة لعاطف الأعزب، الموظف بالهيئة العامة لزراعة الخضراوات، خريج الحقوق، الجامعي الوحيد بالزعفراني، الساكن بمفرده في شقة ثلاث حجرات وصالة بالطابق الثالث، منزل رقم ٥، أو كما يعرفه الأهالي بيت أم محمد مع أنها ليست مالكته، نسب إليها لأنها أقدم ساكنة، وجلوسها الدائم أمام بابه ترى الضوء، تشم الهواء، أحياناً تتبادل الحديث مع النساء، أما صاحبة المنزل فهي أم كوثر الاسكندرانية المقيمة بجارة بير جوان، لا تجيء إلا مرة واحدة في الخامس من كل

شهر لتحصل الايجار، الآن ينظر عاطف الأعزب من بين فرجات المصراع الخشبي للنافذة، يبدو جزء من أرض الحارة والبيت المواجه له، يضيق بضوء الفانوس، يودلو اعتمت الحارة كمعظم لياليها مع أنه تبرع كثيراً لشراء مصباح كى يبقى الفانوس مضاء، الأولاد لا يبقونه سليماً يومين متتاليين، أثناء لعبهم يشوط أحدهم الكرة فتتطمم اللمبة، يسرعون بالجرى مع أن أحداً لن ينال منهم . ربما زعق عليهم البعض لاعنين جدودهم وأبائهم وأمهاتهم اللواتى يدفعنهم إلى الحوارى تخلصاً من زحامهم وضوضائهم، يود الآن لو تحطمت اللمبة، يلمح قشر بطيخ، بقايا خضراوات، حطام سلة ملقاة، منذ سنوات أضيئت الفوانيس بالغاز، يذكر رجلاً يحمل سلماً طويلاً يسنده الى الجدار. يشعل المصباح، يتغيب أحياناً فيطفى الليل بلا مقاومة . الآن يخفق قلب عاطف، يتطلع لعابه، «روض» تعبر الحارة، يتجه إلى باب الشقة، يفتحه على مهل، يصغى إلى وقع الشبشب فوق السلام . لا يسمع حساً مما يدل على صعودها بخذر، إذا استوقفتها امرأة فلديها الحجج والأعذار، عندما تطرق الباب ستدخل معه إلى حجرة النوم فوراً، الغرفة الأولى لا يوجد بها إلا مكتب وثلاثة كراسى ورف يحمل كتباً قليلة، دخولها غرفة النوم مباشرة سيوفر عليه مرحلة الانتقال من غرفة المكتب، سيدعوها للجلوس فوق السرير . فى لحظات قصار يستدعى مراحل تعرفه بروض، فى خروجه ودخوله يعرف أن حركاته مرصودة . أقل نظرة تحسب عليه فهو الأعزب الوحيد . فى الشهور الأولى التى تلت بدء إقامته، جاءه الحاج حنقى عساس البهائم، تحدث إليه، اقترح عليه إحضار والدته من البلدة لتقيم معه، تخدمه وتؤنسه، أجابه بجفاء، لم يتحدث إليه أحد بعدها . عندما عرف الأهالى أنه موظف محترم وجامعى أظهروا له احتراماً، لم يبد منه ما يضايقهم، مع مرور الأيام لاحظ أن نساء الحارة يرقبنه باهتمام لحظة خروجه اليومى قبل الغروب، يرتدى حلته ونظارته ويلمع شعره فى ضوء النهار الخافت الراحل، يمشى متمهلاً حتى يختنفى عند المنحنى، فى هذه الفترة—رحيل النهار—تطل

النساء، يتبادلن الحديث أو يطلن النظر إلى الحارة حيث لا تتجدد الحركة ويندر ظهوهم الغريب فيها لأنها حارة سد، تدور تخمينات كثيرة حول مقصده، قالت الست بثينة إن زوجها أثناء عمله بالتاكسى بعد الظهر، أوقفه ثلاثة شبان وامرأتان، فوجيء أن أحد الثلاثة هو عاطف، من الحديث المتبادل عرف أنهم يقصدون بيت أحدهم، لخبرته الطويلة فى التاكسى أدرك نوعية السهرة التى سيقضونها، لم يعرفه عاطف، بدا أكثرهم مرحاً، وأفدحهم مجوناً، لشدة دهشته ظنه شخصاً آخر لكنه رأى وجهه جيداً فى المرآة المعلقة أمامه، فى رواية أخرى قالت أم يوسف إنه شوهد مع بنت كالكمر فى شارع فؤاد، علقت أم سهير قائلة إن هذا طبيعى بالنسبة لشاب فى سنه، ليفعل ما يشاء خارج الزعفرانى مادام يحافظ على حرمة جيرانه ولا يجرح مشاعرهم، ثم قالت أم يوسف بعد فترة إنها رأتها يقبل البنت المريضة فى مستوصف الشهداء، لم يفث الست بثينة السؤال عن الظروف التى رأتها فيها أم يوسف؟ قالت إنها ذهبت لتأخذ حقنة بنسلين فى العضل بسبب التهاب لوزتيها، عندما دخلت المستوصف حوالى الثالثة والنصف وجدته خالياً . المفروض أنه يغلق من الثالثة حتى الخامسة لكن فكرة المريضة تسكن شبرا، وبدلاً من ذهابها وعودتها فإنها تفضل البقاء فى المستوصف، إذا جاءها أحد ومعه حقنة تستفيد بالقرشين إذا أعطت الحقنة فى العضل . وثلاثة إذا حقنت فى الوريد، عندما دخلت لم تجد فكرية فى الصالة، ولأنها تتردد كثيراً على المستوصف عرفت أنها موجودة فى غرفة الغيارات، لأن حجرتى الكشف مغلقتان ومفاتيحها لدى الطبيب، قطعت الممر القصير الموصل لحجرة الغيارات التى هى فى الأصل مطبخ الشقة . هنا كاد قلبها «ينط» من صدرها . رأت سى عاطف منحنياً على فكرية يعصرها فى أحضانه، يقبلها كما يحدث فى السينما، يمص شفها السفلى بينما تمص هى شفته العليا، شهقت الست بثينة، «يابن اللثيمة»! قامت لتقص الحكاية على أم سهير، أضافت موقفاً عرت خلاله صدر فكرية المريضة وأحاطت ثديها الأيمن بيد عاطف، لم يفثها أيضاً



إدراك لهجة الإعجاب التي تتحدث بها أم يوسف عن سى عاطف ، بعض النساء أدركهن حنق خفى لعدم التفاته إلى ما تحويه الزعفرانى من كنوز ، فى البداية قلن لأنفسهن إنه تعلم فى الجامعة ومن الطبيعى أن يرافق فتيات جميلات ، لكن فكرية سمراء وقبيحة وممرضة ، والحقيقة أن عاطف حر يص جداً ألا يشوه سمعته برغم تعرضه لضغوط من أصحابه . حدث أن اصطحبوا بعض الفتيات ، حاروا فى التوجه بهن إلى شقة ، رفض بشدة التوجه إلى بيته ، منذ حوالى ستة شهور وأثناء خروجه الصباحى قابل شابة بيضاء ، واسعة العينين ، تحمل طبقاً مليئاً بالفول ، تجاوزته ، قاوم رغبة خفية فى النظر إلى الخلف ، قضى يوماً مشعباً بالنظرة المحملية الأسيانة . شبه خفى يجمعها مع « رحمة » لم يحدده بالضبط ، أهى طريقة المشى ،؟ أم طبيعة النظرة ؟ إنه يرقب نساء الحارة من عزلته ، لم يرها من قبل ، من هى ؟ فى اليوم التالى قابلها عند جامع سيدى مرزوق ، الحركة هادئة فى الطريق ، صبيبة مدارس ، رجل يبدو أنه يعمل كمسارياً إذ يسك حافظة جلدية تحوى تذاكر ، تمهل قليلاً بجوارها ، تسرب إليه وجودها الأثوى ، بعد خمسة أيام من اللقاءات الصامتة توقفت أمامه . فتحت ملاءتها ، لمح ثوبها المنزلى القصير ، على مهل بدأت تحكم لف الملاءة ، هل تشبه رحمة فى نظراتها ؟ تشابكت عيناهما ، قالت بوهن ، صباح الخير ياسى عاطف ، وسرت حرارة فى دمه ، مشت أمامه ، تجاوزت بانع الفول ، ودكان الحليب وبوابة بيت القاضى . مالت إلى حارة قرمز ، قال صباح الخير ، قالت صباح الهنا ياسى عاطف ، زرع صوتها شوكا فى جسده ، إلى نخاعه نفذ هذا التعب الذى يطل خفيفاً من عينيها ، قالت إن اسمها روض ، ابنة أم صبرى ، لم يرها من قبل لإقامتها فى بيتها بالدرب الأحمر ، لم يعد بيتها الآن ، طلقت من زوجها عبد الرسول عامل المصبغة ، تكررت اللقاءات خاطفة ، سريعة فى قبو قرمز ، فى احدى المرات أمسك ذراعها حتى انحسرت الملاءة عن كتفها ورجته إتقاء الفضيحة ، هى تحت أمره لكن فى السر ، كيف والعيون مفتوحة ؟ لاحظ أهدأ أوقات الحارة ، بعد الغروب اليومى ،

تخلو الشرفات ، يمكن لروض الخروج حتى شارع الجمالية ثم العودة بخطى سريرة إلى بيته . أم محمد تنام مع مجيء الليل ، على المكوجى لا يأتى مبكراً وامراته الريفية تغلق الباب خوفاً من المدينة ، الآن يفتح عاطف أفندى باب الشقة ، بقدر ما يرغب ضمها ، بقدر ما يود التطلع إلى عينيها طويلاً ، باحثاً عن الشبه الخفى والمعنى الغامض المستعصى عليه ، يشدها إلى صدره ، تهمس « أنا مشتاقة .. مشتاقة قوى » . تلقى ملاءتها فوق السرير ، يبدو ثوبها المنزلى القصير . يكشف عن طلائع فخزين ، مرمرين ، قوين ، لم يترهلاً ، تتحرك حتى تفسح له مكاناً ، عندما ألقمته شفها السفلى بدأ قلبه يثب . ماذا جرى ؟ فى المرات السابقة مع الأخريات لم يتأخر حتى هذه اللحظة ، مغامرات عابرة ليس من صفاتها الاستمرار . نساء يجهلن ، لا تخصص واحدة منهن ، كاديتهاور و يعرض سمعته للخطر تحت القبو مقابل ضمة أو قبلة . لا ينقصه الآن إلا أن يبدأ ، حرارة جسدها تصله ، لكن ... ربما حدث هذا بعد التصاقه بها ، يقبل رموش عينيها ، يسك طرف الثوب ، تحرك جسدها لتساعده فى خلعه . تدفع نهديا المستيقظين إلى صدره ، ماذا جرى ؟ إبتعد . يواجه أوضاعاً لم يعرفها من قبل . « مالك .. مالك ياسى عاطف ؟ » ، صوتها مشوب بالرغبة ، يقول ، « أفضل لو تكلمنا قليلاً » ، بدا له قطار بلا جرار ، وجه بلا أنف ، يصغى إلى ارتعاشاتها وتأججاتها ، حتى الآن لا يستطيع معالجة هذا اللهب ، تدرك روض صعوبة الأمر ، عليها بالانتظار قليلاً رغم خدر جسمها المصحوب بدفء أنفاسها التى تفقد السيطرة عليها فتتحول إلى ما يشبه الشخير الخفيف غير المنتظم . منذ مجيئها إلى الزعفرانى لم يقرها ذكر . من السهل عليها الذهاب إلى المعلم فرغلى الفاكهي ، ترددت عليه كثيراً أثناء إقامتها مع زوجها ، منذ لقائهما بالأستاذ لا تفكر فى المعلم ، لم تستجب لمداعبات الحاج نصيف صاحب الخبز ، ملأ عليها الأستاذ عقلها وقلها . بعد تحية الصباح الأولى مريومها حلماً طويلاً ، تعيش خطوه المتأنى ، أصبحه عندما يزيح النظارة إلى أعلى . تنظر من النافذة وسرور

خصب يملؤها . هذا الأفندي يخصصها بنظراته ، بأحاديثه ، بلامستها في القبو ، كثيراً ما حسدت البنات اللواتي يتعلقن بأذرع الأفندية ، بنات الثانوى المشيات بجوارفتيانهن ، وجناتهن المحمرة خجلا ونشوة ، عندما مرت بأعمارهن رأيت الشقاء كله والغلب كله ، تذكر مرورها أمام حديقة ، غطاء خضرة ، يجلس فوقه شاب وفتاة ، تذكر لون حقيبتها البيضاء التي اسندتها الى جوارها ، تمنيت لو خرجت إلى حديقة مع رجل ، ليس المعلم فرغلى ولا الحاج نصيف إنما إنسان آخر لم تستطع تحديده ملامحه وقتئذ ، حنون ، يهمس إليها بكلمات وتحمخ ججلا ، تمنحه نفسها راغبة ، لا يفك رباط سرواله الطويل بمجرد اختلاته بها ثم يخور فوقها ، هل يقبل عاطف أفندي مصاحبها يوماً إلى حديقة ؟ ألن يججل من ملاءتها اللف ؟ تود عندئذ لو أخبرت زوجها السابق عبد الرسول الصباغ ، أذاقها الهوان ، إنتقلت معه عبر حجرات مظلمة ، زعيقة الصباحى ، يرمى إليها قروشاً عشرة ، عندما تتساءل .. كيف تدبر أمرها بهذه القروش القليلة ؟ يزعق ، إن يوميته سبعة عشر قرشاً ، هل يضرب الأرض فتطرح بطيحاً ؟ هل يصنع الفلوس ؟ يكفى أنه لا يفطر ولا يتناول غدائه معها ، لتدبر نفسها وتحمد رها ، لولا المعلم فرغلى وبعض زياراتها القليلة لمحمد الكتبى الساكن خلف الجامع الأزهر لتعفن فيها من الجوع ولحف اللبن من ثديها ومات ابنها سيد . محمد الكتبى يحلو له تأملها عارية ، يطلب منها الوقوف ، يربلسانه على ظهرها ، يأسى ، هل مثل هذا الجمال يلقي الإهانة ؟ أما المعلم فرغلى فيقول بعد أن يدس فى يديها ربالا إنه لم ير امرأة أمتعتة كما تمتعه روض ، ويتبع كلامه بتجشؤ تقشعر منه ، تود لو تقول هذا لعاطف ، كلهم إبدوا إعجابهم بأنوثتها . إنه صامت ، يرقد بجوارها هامداً ، عريه يسعدها ، الآن اجتازت لحظة أدركت معها أن لا أمل . بدأت تشعر براحة ، بعد أن تجرد من ثيابه لم تر الهالة التي تحيط به لحظة خروجه ، بدا جسمه نحيلاً وساقاه رفيعتان جداً ، لكن من الآن يمكنها التباهى بينها وبين نفسها بأنها رفيقة عاطف ، خريج الجامعة ، لم تدرك طبيعة عمله ولا اسم الوزارة أو الهيئه التي

يعمل بها ، أو نوعية التعليم الذى تلقاه ، يكفى شهادته العاليه ، صحيح أنها لن تستطيع إعلان علاقتها ، لكن مجرد ترديدها التفاصيل بينها وبين نفسها سيرضيها جداً ، إذا قابلها محمد الكتبى أو المعلم فرغلى فستعذر عن صحبتها ، ستقول أنها تعرفت إلى شاب طيب معه شهادة عاليه وموظف ، إنه يغار عليها جداً ، وعدها بصحبته إلى حديقة ، لا ، ستقول أنه يخرج معها يومياً إلى الحدائق ، يجلسان على شاطئ النيل ، يمسك يدها وهمس لها ، ربما يسخر المعلم فرغلى ، يبدو حزن فى عينى محمد الكتبى ، ستقول بسرعة أنه سيتزوجها ، لقد عرفها بأمه والترتيباب تجرى كالمعتاد فى أى زيجة محترمة ، ودت لو تقول لها هذا ، كأن مجرد نطقها يحققه فعلا ، أما الآن فعلها بذل جهد مضاعف لترضيه ، ظهر اليوم ، أذابت نصف صابونه معطاة اقترضتها من فريده امرأة رأس الفجلة ، ينظر إليها وفى عينيه كرب هائل ، يود لو تقدم ، تموت فى مخيلته لحظات تمنى لو تحققت ، يود لو تكف عن احتكا كهابه وتمرير أناملها على ظهره ، يهمس « قومي .. البسى » ، يرى خصرها الرقيق ، استدارة ردفها ، إنبساط فخذيها ، صدرها النافر لم تبلة مداعبات زوج غشوم وآخرين لا يدري عنهم شيئاً وفقر مدقع ، ماذا جرى ؟ ماذا لو عرف أصحابه ؟ كيف يذكر الموقف بعد إنصرافها ؟ كيف يعبر الزعفرانى ؟ قالت أنها ستجىء مرة أخرى ، صاح .. انتظرى .. قام ، ستر جسمه بملاءة السرير ، دس يده فى جيب جاكته ، مد إليها جنياً كاملاً ، اتسعت عينها ، فيها عتاب وذلك التعب ، قالت « .. لا يصح ياسى عاطف » ...

.. طلب الشيخ عطية من عويس الفران أن يحدثه عن أمرين ، الاول تفاصيل أحواله ، ما جرى له منذ نزوله القاهرة ، الثانى ، اسم أمه ، بدا لعويس سهولة الطلب الثانى ، أوشك على التفوه بالرد ، لكن نظرات الشيخ إتقدت فى عتمة الغرفة ، خيل لعويس أنه رأى حبتى مسبحة مستديرتين توهجتا فى الظلام

موضع العينين ، طلب سماعه أولاً ، قال عويس — ورهبة تغشاه — أنه خلال الأيام الأخيرة وقع له عارض يمنعه من رزق جاءه في الشهور الماضية ، هذا العارض يساوي بينه وبين النساء ، هنا جاء صوت الشيخ غريباً كأنه صادر من غرفة شديدة الاتساع يتخللها دخان كثيف منتظم . ولم يستطع عويس تسديد البصر إلى الأمام . تساءل الشيخ عطية عن عدد الأيام التي تعطل فيها كرجل ؟ . قال عويس ، سبعة ، قال إنه تلطم طويلاً ، ومارس مهناً صعبة منذ مغادرته قريته في الصعيد وهو ابن ست عشرة سنة ، جاء إلى مصر ماشياً ، في طريقه جنى قطناً وحصد غلة وتسلق النخيل مربوطاً بجبل ليجمع محصول البلح . عزق أراضي . نقل المياه بالشادوف . حمل الحجارة من فوق الشاطيء إلى القوارب الكبيرة . كبس القطن بقدمية واستنشق الشعيرات . حتى نزل القاهرة فضى إلى مقهى السلام بالحسين حيث يتوافد بلدياته . في البلدة قالوا له ، أبواب الرزق مفتوحة في مصر ، ربما ضرب معه الحظ فيمتلك ثروة كبعض أهالي البلدة الذين فارقوها حفاة ثم أصبحوا تجاراً كباراً ، بل أن أحدهم وهو إبراهيم بك يقوم ببناء العمارات الحكومية . يسكن بيتاً حوله حديقة في منيل الروضة ، من الصعب مقابليته لانشغاله وسفره المستمر . على بابه خفيران يمنعان الداخل إليه . عنده طبخ وأخصائي في عمل نوع معين من الحلوى يحبه و يشناق إليه كثيراً ، حول اصبعه خاتم بألف جنيه ، قال عويس إنه لازم المقهى طويلاً والمعلم لا يأخذ ثمن المشاريب ، هكذا يعامل بلدياته ، ينتظر إلحاقهم بعمل ، عندئذ يحصل ديونه ، يقولون إن إبراهيم بك مدين له حتى الآن بعشرة قروش ، يقول إنه لن يسدد « البريزة » ، ستبقى ديناً عليه حتى يتعظ ويتقى ، إبراهيم بك يجيء إلى المقهى كلما زار الحسين ، يجلس فوق الدكة المفروشة بالحصير ويدخن النرجيلة ويتحسر على أيام زمان البسيطة الخالية من الهموم الكبيرة . قال عويس إن المعلم يستوجب القادمين من البلدة ، يستطلع أخبارها . من مات ؟ من ولد من تزوج ؟ من قتل ؟ هل أقيمت بيوت جديدة ؟ والطرق .. ألا تزال كما هي ؟ عندما ذكر

عويس خبراً عن الدار الجديدة التي شيدها الحاج أبو الفضل سأل المعلم عن عدد أدوارها ، لون طلائها . شكل مدخلها ، سمك جدرانها ، دورة المياه ، هل أقيمت خارج الدار كبقية بيوت البلدة ، أو أن البيت له دورة خاصة به ؟ عويس لم يدخل الدار ، أمثاله يترجلون إذا تصادف مرورهم راكبين أمام الحاج . لكنه وصف الدار وصفا تفصيلياً ، علل هذا برؤيته الدار قبل سكنائها عندما دخلها حاملاً صندوقاً خشبياً كبيراً يحوى مالا يعلمه ، أبدى المعلم تأثراً ، هز رأسه حزناً ، قال أنه لن يعرف ملامح البلدة عندما يسافر إليها ، كل شيء يتغير ، كل شيء لا يبقى كما هو ، في الأيام التالية طلب المعلم من عويس أن يكرر وصفه للبيت الجديد ، استفسر عن كيفية إمداده بالمياه ، وشكل صوامع القمح داخله ، وكيف يبدو إذا نظر من بيت عائلة عمران المجاورة ، استمر عويس يصف البيت يومياً حتى جاء المعلم صنيبر صاحب الفرن القائم عند مدخل الزعفراني ، طلب رجلاً يعمل عنده لنقل الخبز ، لحسن حظ عويس أن شخصاً آخر وصل منذ أيام إلى المقهى قادماً من البلدة مما جعل المعلم يتخلى عنه بسهولة و يقدمه إلى الحاج صنيبر ، هكذا تجاوز حدود المقهى الذي لم يعرف مكاناً غيره ، لم يعد يتخذ رصيف الحسين مستقراً لجسده في الليل ، يأوى الآن إلى الفرن ، في الصباح يفتح الباب فيدخل الهواء البارد مبدداً من صدره رائحة الهباب والسقف المنخفض وبقايا العجين المتخمر والردة ونشارة الخشب . يجيء الأولاد يطلبون عدداً من طاولات العجين ، في البداية يطلب من الأطفال الإنتظار ليصحبوه ، بعد أسبوعين عرف البيوت السكان بالاسم ، وعدداً من سكان الحواري المجاورة المتعاملين مع الفرن ، يكفى مجيء طفل ، يطلب عدداً من طاولات العجين عند الست كوثر في درب الرصاص مثلاً ليوميء عويس برأسه ، يقول له سألحق بك بعد تخمر العجين ، في منتصف النهار يمضي بالأرغفة الساخنة الشهية فوق قفص ، يمنحه الزبون تعريفة أو رغيفاً طازجاً على سبيل البقشيش ، يحدث أحياناً أن يقلق في رقادته . يسمع دقات مكتومة صادرة من أحد بيوت



الزعرفاني، يعرف فوراً أن الست أم سهير أو أم يوسف — تبعاً لقوة أو ضعف الدقات — ستخيز اليوم، تعود النوم بالفرن، لم يعد يزعجه اظلامها المغم، زحف الحشرات طرية الملمس، جرى الفئران الضخمة، ولا أقوال السكان عن العفاريات التي تسكن الفرن بالذات، في ليلة نام بمحفل بطيخ، في الصباح أحس بشيء متكور في سرواله، مديده، وجد ثعباناً غليظاً، آوى إلى الدفء بين ساقيه، سألت أم يوسف أكثر من مرة عن حالته أثناء نومه بالفرن، قالت إن عفر يتأ سد طريق زوجها، أما ابنها يوسف فقابله عسكري سأله عن حارة الزعرفاني، قال له أنت بها. ضحك العسكري وأدار ظهره مولياً، هلع يوسف إذ رأى ساقيه عاريتين لها حوافر كالمعيز، لجأت إلى الشيخ عطية ليعدها حجاباً يزيل أثر الصدمة من ابنها، ولولاه لجن يوسف، قال عويس إن حديثه مع أم يوسف أثاره، وقوفها في قيص النوم وثديها الصلبان خاصة عندما تميل لتساعده في رفع الطاوات الخشبية، عندما أرسلت له مع ابنها طبقاً من البطيخ التهب مرقده، تذكراً أحاديث بلدته عن نساء مصر، ضعفهن أمام الصعاب، مرة التقى بالصبي يوسف يشتري أرغفة، انزعج، سأله، هل كفوا عن الخبز؟ قال يوسف إن الأرغفة البيئية خلصت، سيخبزون غداً، أم يوسف تعجن مرتين في الأسبوع. انقضت أيام، يتوقع لحظة تستدعيه إلى داخل الشقة، يطبق عليها. يصغى إلى تأوهات، تجول أصابعها في شعر صدره، لكنه لم يتجاوز عتبة الباب حتى أيقن أن طبق البطيخ لم يعن شيئاً، عندما ذهب إلى كريمة في حارة موسى داعبته، دفعته في صدره، قرر ألا يدع الفرصة تفلت، عندما دعت للدخول ليلتقط أنفاسه ارتجفت ساقاه، رمى نفسه عليها، انخلع قلبه عندما صرخت، استمر محاولاً احتضانها، استدعى مشهداً من فيلم رآه في سينا الكواكب عندما احتضن البطل امرأة قاومته، عند لحظة معينة ارتخت يداها فجأة وأغمضت عينها بينما راح الجمهور يزعق معبراً عن إعجابه بألفاظ السباب، عاد عويس إلى الفرن مضروباً، متورم الرأس، صفعه الحاج صنيبر، طرده، أثناء خروجه سمع إحدى

النساء تتساءل .. من يتصور يوماً أن عويس .. وقال البعض أنه كثيراً ما أصطحب الساقطات إلى الفرن، جاءه الليل بلا مأوى، في ساعة متأخرة دخل الزعرفاني، الفرن يقع عند مدخل الحارة ولا يحتل إلا جزءاً ضيقاً من الأرض بينما يمتد عمقه إلى حارة المسمط مما يجعله منفصلاً عن الزعرفاني، اعتلى الطاوات المرصوصة، بكى عندما تذكر أن يدا غيره رصت الطاوات، نام فوقها حتى الصباح. أهالي بلدته أوصوه بادخار جزء مما سيكسبه للأيام السوداء. اقتطع مقدارا من دخله، ثلاثة جنيهات وضعها في مندبل، عقده، ربطه أعلى ذراعه، اضطر إلى سحب قروش من المبلغ الذي ود لوغناه بحيث يصل إلى عشرين جنيهاً، عندئذ يحقق حلمه، يشتري عربة يد مطنية بلونين. أحمر وأبيض. يرسم عليها شكوكو ونساء يرتدين ملاءات لف وعلى مقدمتها يكتب الله أكبر بخط كبير ويرسم علم البلاد. يبيع الآيس كرم صيفاً وحمص الشام شتاء، يلتف الأولاد حوله. يطلب منهم الانتظام في الدور، يخصص ركناً لعرض البسكويت الأحمر المغلق على البخت، عربة تمكنه من استئجار غرفة وسفره إلى البلدة شهراً واحداً يعود بعده مع إحدى بنات عمه. في اليوم السابع لطرده اشترى بثلاثين قرشاً كيزان ذرة شامية. شواها في فرن بعيد بحارة الجوانية، تذكر الرجل العربي الذي يجيء من نزلة السمان بالهرم راكباً جملاً، على جانبيه جوالان مليان بالذرة النيئة. يشوى الكيزان في فرن الحاج صنيبر، يلف الحواري مبتدئاً بالزعرفاني، قبيل الغروب يعبر ميدان الحسين عائداً، راقبه طويلاً، عرف أنه يبيع ما يشويه في أقل من ساعة، هذا ما أغراه بشراء الذرة. قال عيسى إنه راح ينادى «الكوز بقشرش»، باع حتى تزول الليل عشرين كوزاً، مع مرور الوقت تبرد الذرة، يمد يديه، يتحسسها داخل الخيش، بعد صلاة العشاء نادى «الكوز بتعريفة»، في هذه الليلة رأى رعباً، فيما بعد عرف أن الرجل العربي يتردد على الحى منذ أربعين عاماً. المناداة على البضاعة تستلزم مراناً وقدرة. لا يكفي الزعيق، عاد إلى قهوة المعلم أبي الغيط، رآه في نفس موضعه فوق الدكة الخشبية، يدخن

النرجيلة، يتابع الزبائن، ينادى الجرسون ليلبي طلباً هنا أو ليرد على زبون هناك. حارس على متعة زبائنه، قال عويس إن المرأة راودته عن نفسها ولما رفض صرخت «ولت» عليه الخلق. عانى مصاعب شديدة مما اضطره إلى السفر، قال كاذباً إنه رجع منها لتوه، أبدى المعلم سروراً، وقال إن عوض جاء منذ يومين لكنه عبيط لا يعي، وصف عويس البيوت والطرق كما رآها منذ عام، إذا تذكر قولاً ببناء بيت بعد ستة شهور يقول أنه شيد فعلاً، عندما بدأ وصف الطريق المؤدى من الجسر إلى البلدة وقال إن القناة الموصلة إلى حوض الماكينة باقية، أبدى المعلم تعجباً، أخبره البعض منذ شهرين أن القناة ردمت وشق بدلا منها ترعة أعرض يعوم فيها الأطفال، أكد عويس بقاء القناة على وضعها، هذا ما رآه قبل سفره صباح اليوم، غبار السفر مازال عالقاً بجلبابه، طلب من المعلم النظر ليتأكد بنفسه، سرح المعلم قليلاً، سأل باهتمام عن رائحة التين عند المنحنى القريب من الجسر، وسرعة تدفق المياه في حوض الماكينة، قال عويس إن رائحة التين عفية خاصة في الليل وتشم من بعيد، المياه تجري كعادتها، هنر المعلم رأسه، لكن الزمن يمضي والأحوال في تغير مستمر، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، راح يرددتها عندما أخبره عويس عن قدوم بائع غريب يبيع السكر الأحمر عند الجسر، أبدى المعلم جزعاً، من أين جاء الغريب؟ ما هي بلدته؟ ما اسمه، قال عويس إنه مجهول للجميع، أبدى المعلم تأثراً، هل استباح البلدة الأعراب، لكنه الزمان الذي لا يرحم! بعد يومين أرسل عويس إلى وكالة بازرعة القرية، عمل حمالاً ينقل صناديق الصابون، يدحرج براميل الزيت عبر الشارع من المخزن حتى المعمل القريب من باب النصر، في الطريق يناديه أطفال من الزعفراني «عم عويس»، يقول لنفسه، هؤلاء زبائني عندما أبيع الذرة وحمص الشام، يدركه حنين إلى جسد أم يوسف عندما يدخل الجلباب بين مفرق ردفها، طردوه من الوكالة بعد فترة بدون سبب. عمل بأحد دكاكين الورق يحزم الصحف القديمة وينتزع أغلفة الكتب، ثم خادماً بنطعم، عمل

مساعداً لنجار يصنع البراميل في شارع أمير الجيوش، ثم في محل لتبييض النحاس ومصغياً إلى شكواوى صاحبه من قلة العمل بعد انتشار الألومنيوم ومتجاوباً مع سخطه على الزمن، ثم غاسلاً للصحن بمطعم جلال في شارع بيت المال، وعاملاً في مصبغة الخرنفش القديمة يقبل النيلة في الأحواض، يحمل الخيوط إلى السطح ينشرها فوق الأعمدة، تسول أحياناً في مولد سيدى البيومى، ومولد سيدى مرزوق تراحم حول الرجال الذين يجيئون إلى أبواب الحسين حاملين أرغفة الفول النبات، جرى خلف السيارات التي تحمل عرسانا عقدوا زواجهم فى مسجد الحسين (لم يزد ما يدخره عن ستة جنهات)، بدا المبلغ ضئيلاً عندما سأل نجار العربات الخشبية فوجد أن السعر تجاوز الخمسين جنهات، لم يفقد أمله فى امتلاك عربة ذات يوم، قال عويس إن الله شاء له الراحة بعد أربع سنوات داخ فيها، حدث أثناء جلوسه بالمقهى أن اقترب منه رجل نظيف الثياب، قال إنه المعلم ضانى صاحب حمام الأحرار الشهير، توسم خيراً فى عويس وعرض عليه عملاً يتمناه الكثيرون، سيصبح نظيفاً، سياًكل لحماً يومياً، وسيقيم مجاناً بشرط تواجده طوال الليل فى الحمام. سياًخذ مرتباً كالموظفين، ما سيؤديه سهل ولذيذ سيلتقى كل ليلة بعدد من الأفندية المحترمين، بعضهم يحتل مراكز مرموقة فى المجتمع ويمتلك مصائر العديد من الناس. وبعضهم مشاهير يظهرون فى التلفزيون ويسألهم المذيعون فى الراديو وهذا يجعل مجيئهم سريراً للغاية، إذا أمتع الواحد منهم جيداً ربما منحة بقشيشاً كبيراً، جنهات مثلاً، أبدى عويس موافقته الفورية) أكل زوجاً من الحمام، فرك جلده فى الماء الساخن، فى المساء خلا إلى أفندى أبيض املس الجسد، لم يلفظ كلمة واحدة عدا تأوهات منغمة، بعد أسبوع عرف أن حجرة خلعت فى بيت الأسطى رمانة السياسى وإيجارها ثلاثون قرشاً، ذهب فوراً واستأجرها من صاحب البيت الصول سلام، لم يبد عليه أنه تذكر عويس أو فضيحتة مع كريمة، دفع ستين قرشاً، إيجار شهر وشهر تأميناً. امتلك مفتاحاً لسكن يخصه، أول الشهر فوجيء بضآلة راتبه، أعطاه المعلم ضانى

جنبها واحداً ، عرف أن الزبائن المحترمين يقدمون مبالغ طائلة لهذا يندردفح  
بقشيش إليه ، اضطر إلى إبداء الرضى ، كثيرون على استعداد للمجيء مكانه ،  
الجننيه مبلغ ضئيل فعلا لكنه يضمن تسديد الإيجار . والذهاب إلى السينما مرتين  
شهرياً وأكل قطعة بسبوسة أسبوعياً وطبق كشرى ، حرص على هذين الصنفين  
لاستمتاعه الخالص بهما مع أن المعلم ضانى لم ييخل عليه ، فى البداية استجوبه  
بدقة ، أى أنواع الطعام يشعر بعده بالرغبة العنيفة ، قال إنها الكوارع ، أما السمك  
الذى أصر المعلم على تقديمه إليه فيدفع بالنوم الى جفنيه ، سمع المعلم ضانى  
يقول لأحد زبائنه أن عويس يكلفه كثيراً لارتفاع أسعار اللحم ، خاصة كوارع  
الضأن التى يفضلها ، لكن لا بد من الإغداق عليه حتى يرضى زبائنه الكرام ،  
قال عويس إنه أثناء دخوله الزعفرانى قابلته أم يوسف ، سألته عن أحواله ، هل  
تزوج ؟ قالت إنها سمعت بما جرى مع البنت كريمة « المسلوعة » ، دفعته فى  
صدره ، أدركه العمى ، الثمار أمامه لكنه لم يقطع ، ضحك ، تبدد من جفنيه  
ظمأه الكاوى إلى النوم والراحة ، قال إن عينيه لم تغمضا أبداً عن رؤية التفاح ،  
ضحكت « والله وعرفت تتكلم يا صعيدى » ، همست « أنتظرك فى الساعة  
الحادية عشرة ليلا » . تذكر انحناءها والبروز المحدد الذى يحدثه حواف سروالها  
تحت ثوبها الرهيف ، تمنى طويلا احتواء جسدها ، هى بالذات ، لم يذهب ،  
باستطاعته التغييب عن الحمام ساعة أو ساعتين لكنه لم يمضى إليها ، عندما تمدد  
فى حجرته ثنى ثوبه عدة مرات تحت رأسه ليستخدمه كوسادة ، شىء ما قبض  
صدره ، منعه عن التفكير فى أم يوسف ، لم تأخذه النشوة ، هل يعجزه عمله عن  
معاشرة النساء ؟ خاف ، هل ينقلب حاله بعد حين فيصبح كأحد زبائنه ، فى  
اليوم التالى صحب زبوناً يقال إنه صاحب منصب كبير فى أحد الجرائد ، بعد  
أول مرة قال للمعلم ضانى ، هذا من بحثت عنه طويلا ، لم يمتعه شخص  
كعويس . قال المعلم إنه تعب كثيراً حتى انتقى عويس من بين العديدين ليخلو  
بسعادته . سيحرص عليه حتى لا يستهلك نفسه مع الآخرين ، سيمنعه من

مضاجعه أى زبون ، قال الزبون ، إذن هورجلى منذ الآن ، قال المعلم ، وجب  
ياسعادة البك ، عويس يعرف أن المعلم يقول نفس الكلام لجميع الزبائن  
مستغلا قدرة عويس على المضاجعة الجيدة سبع مرات يومياً . فى ليلة العجز  
الأولى أبدى البك الصحفى ضيقاً . سأل عويس ، أما من أمل ؟ أجهد عويس  
نفسه بدون جدوى . استدعى البك الصحفى المعلم ضانى غاضباً ، أقسم المعلم  
أيماناً عديدة أنه لم يقدم عويس إلى أى زبون برغم ما عرضه الآخرون من  
مغريات ، خاصة فى هذه الليلة . تكرر الأمر فى يومين متعاقبين ، مما دفع المعلم  
إلى الزعيق وصفع عويس صارخاً ، « أنت أكلت كارع كامل وكيلو لحمه  
اليوم .. كيلو لحمه أنا لم آكل مثله » فى اليوم الثالث طرده ، ذهب عويس إلى  
مستشفى الحسين الجامعى ، كشف بثلاثة قروش ، قرر الطبيب سلامة أعضائه ،  
ربما عملت له أم يوسف عملاً بسبب عدم استجابته لها ، نسى مره قطعة قماش  
عندها اعتاد وضعها فوق رأسه أثناء حمله الطاولات الخشبية ، لديها أثر منه . لهذا  
جاء إلى الشيخ عطيه ليأتى له بالفرج ، قال إنه تعب من الجرى وراء رزقه ، مصر  
هرسته منذ مجيئه إليها . لم يبق إلا القليل ويكتمل ثمن العربة ، عندئذ يترك  
الحمام إلى الأبد ، يسرح وراء رزقه .

سكت ، عيننا الشيخ تبرقان ، أصوات الزعفرانى لاتصل إلى داخل  
الحجرة .

قال الشيخ ، استمر ..

قال عويس إنه يطلب الستر . شخص واحد من الزعفرانى تردد على  
الحمام وهو شاب صغير اسمه سمير ، أكثر من ضاجعهم خلاعة وإتيانا للحركات  
والأصوات ، قال عويس إنه اشتاق إلى البلدة ، يود ركوب قطار الثامنة صباحاً ،  
أيام سوداء مرت عليه فى القرية أحياناً يصحب بعض الرجال ، لا يقوم ، ينتظر



تناولهم الشاي ليشرّب كوباً ، أيام البلدة الصعبة لا تعادل يوماً واحداً من الأسبوع الأخير ، إنه يريد العيش في هدوء والعربة ستحقق له هذا ، قال إن امرأة أخرى بادلته صباح اليوم نظرة ذات معنى في الحارة .

توقف عويس لحظة ، تساءل .. هل يذكر اسم أمه ؟ قال الشيخ .. استمر ..

قال إنه لكثرة ما رأى في الحمام يظن كل من يراهم في الطريق إما قادمين إلى حمام أو خارجين من حمام ، قال إنه ينجل الآن من التردد على مقهى أبى الغيط ، سكت عويس ، كأن أمراً خفياً صدر أسكته ، لم يستطع التطلع ورؤية الملامح الغريبة ، صوت الطفل المتبعث من جسد شيخ ، هل يتحدث أحد الجان من خلاله ؟ قال الشيخ عطية .. أجب عن سؤالى الثانى .. ، قال بسرعة إنه مستعد لخدمة الشيخ ، شراء حاجاته ، حمله فوق ظهره إذا أراد الانتقال من مكان إلى مكان ..

« أجب عن سؤالى »

قال عويس بصوت عال كأنه بوغت فجأة ، « اسم أمى تحية .. »

طلب منه الشيخ الانصراف والمجيء لحظة طلوع الشمس يوم الجمعة ..

« تقرير مبدئى عن أحوال حسن أفندى أنور » :

يفخر حسن أفندى أنور بأمرين يردد هما دائماً ، أنه لم يدخل قسم بوليس طول حياته كشاك أو مشتك منه ، وأنه لم يقترض ، ولم يقرض ، وعندما يتوجه إلى سيدنا الحسين لصلاة الفجر فى رمضان أو يوم الجمعة يدعو بالنجاح لولديه وهما حصاد عمره ، سمير وحسان ، ويستنزل اللعنات على بعض من كادوا له فى

المصلحة ، أو ضايقه فى الطريق العام ، أو أفلقوا راحته أثناء نومه ، أحياناً يذكر اسم شخص معين فى يوم واحد مرتين ، يغضب عليه فى الدعاء الأول ثم يتحدث أن يلتقى به ، تزول العكارة من نفسه إزاء هذا الشخص فيدعو الله ألا يقبل دعاءه الأول ، حدث أن التقى بسيد أبو المعاطى مدير الإدارة التى يعمل بها ، نطق بصوت مسموع ، « صباح الخير يا أفندم » ، لم يتوقف سيد بك ، لم يرد التحية ، غمره حزن قائم لم يبدهه أربعة فناجين قهوة سادة مع أن هذا أمر نادر إذ اعتاد شرب فنجان واحد بعد وصوله ، وآخر قبل انصرافه ، لماذا لم يرد سيد بك تحيته ؟ هو الموظف المنتظم الذى لم يأخذ أجازة عارضة إطلاقاً طوال خدمته ، لم يتأخر دقيقة واحدة يوماً عن التوقيع فى دفتر الحضور ، لم يتحایل للاستئذان قبل ميعاد الانصراف الرسمى ، ملفه يضرب به المثل فى نظافته ، هل تم عليه أحد ؟ هل وصلته فرية ؟ أم لأنه مؤهل متوسط ؟؟ بالضبط .. سيد بك خريج كلية التجارة وهو خريج المدارس الثانوية التجارية ، عند هذا الحد يوشك على الاحتناق ، يقرر الذهاب إلى عبد العظيم أفندى زميله فى الدراسة ، ثم الوظيفة ، يمسك ملفاً به بعض الأوراق الرسمية حتى يوحى لمن يراه فى الطريقة أو فوق السلم أنه ينتقل من مكتب إلى مكتب لينهى أموراً معلقة ، يقف بباب المكتب فبعد كفاح طويل ومكائد متقنة تمكن عبد العظيم أفندى من الاستقلال بمكتبه فى حجرة خصصت كمطبخ قبل استيلاء الحكومة على المبنى ، ثم حقق انتصاراً ساحقاً عندما تمكن من إدخال تليفون يضعه فوق نسختين ضخمتين من القاموس التجارى الموحد ، يومها لم يشعر حسن أفندى بالغيرة إنما صرح أمام عاشور وجابر حفظى وحسنى دسوقى أن ما أحرزه عبد العظيم أفندى يعتبر مكسباً لحملة الشهادات المتوسطة القدامى الذين خدموا الحكومة سنيناً طويلاً ، قال إن خريج الجامعة بمجرد استلامه العمل يمنحونه مكتباً فوقه بنورة وأحياناً تليفوناً خاصاً ، عندما تلقى عبد العظيم أفندى التهانى صرح أن باله لن يهدأ وأن عينيه لن تقرا إلا إذا حصل على تليفون بقرص يمكنه به طلب أى رقم مباشرة وبدون الحاجة إلى السويتش ، فى

نفس اليوم كتب حسن أفندي عدة مذكرات يرجو فيها الموافقة على تركيب تليفون بقرص نظراً لحاجة العمل الملحة إليه ، فكر وقتئذ أن الحظ ربما أتاه فيجيبه تليفون بقرص . هنا يحقق خطوة متقدمة على عبد العظيم أفندي ، وإن لم يتحقق هذا فأقل ما سيحدث أن يأتي تليفون عادي ، عندئذ يقف مع عبد العظيم على أرضية واحدة ، مضت فترات متعاقبة وحتى الآن لم يصل التليفون برغم تكراره الطلب مرات وحرصه كل مرة على ذكر رقم المكاتب السابقة بخط بارز أعلى الخطاب ، في نفس الوقت تقدم بطلب إلى مصلحة التليفونات لتركيب جهاز بمنزله ، قيل له إن الزحام شديد ولا بد وساطة ، ذهب إلى مدير أمن سابق من بلده ؟ أخذ منه بطاقة إلى أحد أقاربه الذي أرسله بدوره إلى صديق له يعرف موظفاً كبيراً بوزارة المواصلات ، بعد سنة من تقديم الطلب تم تركيب التليفون ، وعد هذا انتصاراً له ، فن ناحية هو صاحب التليفون الوحيد بالزعفراني أما المصلحة فينفرد بامتلاكه تليفوناً في المنزل بين حملة المؤهلات المتوسطة . طبع بطاقات جديدة تحمل اسمه وفي الركن رقم تليفونه باللغتين العربية والإنجليزية ، وزع البطاقات على أصحابه وزملائه ، طلب منهم أن يتحدثوا إليه في أي وقت ، بمجرد وصوله إلى المصلحة يتصل بالبيت ، أثناء جلوسه مع زملائه يرفع السماعه ، يتحدث إلى البيت ليعرف أي طعام طبخوا ؟ مع إنه هو الذي يشتري الخضار واللحمة والسمن والزيت وسائر مستلزمات الأسرة ، وفي صباح عيد الفطر اتصل بسيد بك في بيته ، قال إنه يهنئ سعادته بقدوم العيد ، وإنه يتحدث من البيت ، جاء صوت سيد بك بارداً خالياً من الحرارة ، لم تستغرق المكالمة دقائق ، لكنه ظل منفصلاً طوال اليوم ، ولاحظت امرأته ارتعاش يديه إذا يتناول كوباً أو ملعقة ، خطوة خطيرة أن يتحدث إلى سيد بك في بيته ، هل يسبب له حرجاً ، هل يلفت نظره ؟ لكن ما يشفع له أن اليوم عيد ، الآن يجلس أمام عبد العظيم أفندي ، يسأل عن أحوال زميله ثم يقول إن الإنسان يحار في فهم أحوال بعض المديرين ، يرفع عبد العظيم أفندي عينيه ، ماذا جرى ؟ يقول حسن

أفندي إن عدداً منهم لا يكن احتراماً للخبرة الطويلة التي اكتسبها بعمله في الحكومة ، يهز عبد العظيم أفندي رأسه ، يقول إنه يرى العجب العجيب من بعضهم ، فوجيء الأسبوع الماضي بجرس التليفون يدق ، قال آلو ، فوجيء بصوت من الطرف الآخر « يا عبد العظيم » ، عرف على الفور صوت أحد المديرين الشبان فجهاز التليفون المخصص له من نوع جيد يوضح الأصوات تماماً ، رد عليه ، « عبد العظيم أفندي من فضلك » تساءل الشاب « ما الفرق » ؟ قال إن الفرق كبير ، عليه تعلم مخاطبة من هم في مثل سنه ومركزه قبل رفع السماعه ، أغلق التليفون في وجهه ، قال حسن أفندي وهو واثق تماماً من كذب زميله « أحسنت » ، تنهد راجياً إصلاح الأحوال ، قال حسن أفندي « يا عبد العظيم بك ، أربعة لا تأمن لهم ، المال لو كثر ، والحاكم ولو قرب منك ، والمرأة وإن طالت عشرتها ، والدهر ولو صفا » ، انصرف مقتنعاً بمشاركة زميل له ضد سيد بك مع إنها لم يذكر اسمه ، يعرف حذر عبد العظيم أفندي تعرف المصلحة إنه يمسك عدداً من الورق الأبيض بمجرد وصوله المكتب ، وقلم رصاص ، واستيكة ، يكتب في الركن الأيمن من كل ورقة أربعة سطور متعاقبة ، ( وزارة الإنتاج مصلحة الكفاية والعناية بالمنتجات ، إدارة التكاليف — قسم الوارد ) ثم يصنع بعض الردود بعناية فائقة ، عرف عنه اتقانه لصياغة المكاتبات الرسمية ، حتى استدعاه مدير عام المصلحة يوماً وكلفه بكتابة مذكرة على ورق أزرق لرفعها إلى سيادة الوزير ، قضى في إعدادها ثماني ساعات كاملة مما يحق له الحصول على أجر إضافي — لم يطالب به — حتى الآن لم يبح لأى مخلوق بمضمون هذه المذكرة الهامة برغم محاولات العديد من زملائه ، عاد حسن أفندي إلى مكتبه وغصة حلقه أقل تحجراً ، في العصر دخل الى مأوى الحسين ، دعا كثيراً على سيد بك ، رجاً من حبيبه وشفيعه سيد شباب أهل الجنة أن يحقق رغبته ولو مرة ، أن يرسل وكيل الوزارة في طلبه ، أن يستدعيه مدير عموم المصلحة ، يكلفه أحدهما بكتابة مذكرة كما حدث مع عبد العظيم أفندي ، أو يوجهها إليه شكراً ، حكى ما جرى

لامراته مع بعض الاضافات ، كزعيقه فى وجه المديرين ، صياحه إنه أحسن منهم ، أمره العيال الجدد خريجو الجامعة بالخروج من مكتبه ، رفعت الست سنوية يديها ، استنزلت اللعنات على سيد بك برغم حديث زوجها عن وقفته الصلبة واحتقاره له . حتى اضطر سيد بك إلى الميل على عبد العظيم افندى طالباً منه رجاء زميله بضرورة احترامه أمام الموظفين ، أثناء الطعام يسألها عن سمير وحسان ، تلاحظ فخره الدائم بهما ، لا يخرجان إلا ياذنه ، يقبلان يده فى الطريق إذ يللمحانه ، لم يلعبا فى الحارة أبداً ، لم يذهبا لتسلق جبل الدراسة ، كما علق اسم سمير على لوحة الشرف فى مدرسته الاعدادية ، فى حفل مجلس الآباء سلمه الناظر ميدالية تذكارية ، كثيراً ما ينتبه أثناء حديثه عنها فيخشى العين خاصة عند جلوسه إلى عبده البرتقانى وعض الرماح بمقهى الكلوب العصرى ، لكل منها ابن لم يفلح فى التعليم ، الأول هرب ابنه من البيت وعمل ممثلاً فى جوقه تطوف بالموالد ، أما الثانى فغوى ركوب العجل حتى استدرجه عجلا تى للعمل عنده ، يستدرك حسن أفندى فيحكى حادثة عن عصيان سمير أو حسان ، وعدم انتظام سمير فى الصلاة مما اضطره إلى ضربه أكثر من مرة ، والحقيقة أن هذه الواقعة صحيحة ، سمير لا يصلى بانتظام ، استدعاه والده ، أغلق باب الحجرة ، قال إنه لا يتصور سمير الهادى الذى يحمر خجلاً إذا تكلم بصوت عال ، يخالف أوامر ربه ، هنا اعترف سمير بأن ثيابه أحياناً ... ، أطرق ، فهم الأب ، لم يقبل العذر ، طلب منه الاستحمام المستمر ، فى اليوم التالى ذهب إلى الشيخ عطية ، رجاء إعداد حجاب لسمير ولده لظنه يتمكن عين منه ، إنه يسأل بدقة عن أحوال سمير وحسان ، هل أخذ كل منها حقيبة كتبه كاملة ؟ هل وصلتها خطابات ؟ منذ عامين لمح فوق الراديو مظروفا كتب فوقه ( السيد المحترم الأخ سمير حسن ) ، ذعر ليجىء خطاب خاص إلى ابنه ، قرأ مضمونه ، ارتعشت أطرافه ، يطلب كاتبه نسخ البسملة ألف مرة ، أوشك لحظتها على الاختناق ، استفسر من امرأته عن تاريخ وصول الخطاب ، هل قرأه سمير ؟ قالت إن الخطاب لم يفتح فكيف

يقرأه ؟ بجذر أغلق النوافذ ، أحضر موقد السبرتو الصغير ، أشعله ، جمع الرماد ، ألقاه فى دورة المياه ، شد السيوف عدة مرات ، من يدري ، ربما تسعى إحدى الجمعيات السرية لتجنيد ابنه ، فكر فى حبس ولده شهراً فى البيت ، تصرف كهذا سيلفت النظر ، تحدث إلى عبده البرتقانى عن خطاب وصل إلى نجل أحد زملائه بالمصلحة ، لجأ إليه حائراً ، أبدى البرتقانى مخاوف ، تلك طريقة معروفة ، تتوالى الخطابات ، يرتفع حجم التكاليفات حتى يجد الابن نفسه عضواً فى جمعية أو تنظيم يحارب الدولة والمجتمع ، ارتعش قلب حسن افندى كفرخ الحمام المبلول ، مرت عليه ليالى سوداء ، كل خطوة فى الحارة بعد الواحدة صباحاً يظنها لبعض الذين يقصدون اعتقال سمير ، يحمل مصباحاً ، يدخل به إلى سرير ابنه ليتأكد من تمدده فى السرير ، ربما وضعوا شخصاً آخر ، سارع الى كتبه ونقلها إلى حجرة نومه . خط فوق كل منها بوضوح « هذا الكتاب يخص حسن أفندى أنور الموظف الحكومى الرسمى » ، هذه الكتب موزعه بين التصوف وعلم الحرب ، لكن وجود كتب عن الحرب قد يثير التساؤلات ، ينتمى الأمر من بعيد إلى الانقلابات العسكرية ، أضاف سطرأ إلى ما كتب فوق الكتب العسكرية ، « اشتريت هذا الكتاب لهوايتى الخاصة بمعرفة تاريخ الحروب — نمت لدى هذه الهواية مع الحرب العالمية الثانية » ، يومياً يسأل امرأته ، ألم تصل خطابات ؟ تنفى ، يطلب منها أن تقسم ، تقسم ، يصمت ، تبدأ امرأته فى قص أخبار الحارة ، ما شاهدته عند دخول عربة الخضار ، تذكر أسعار الكوسة ، البصل ، الغلاء المستفحل ، تقص حديثاً أجرته مع إحدى النساء ، هنا يقول إنه يفضل الابتعاد عن نساء الزعفرانى فالاختصار عبادة ، ثم أن الحارة لمت من جميع الأصناف ، ولأول مرة يسكنها أعزب يمكنه استضافة امرأة فى أى وقت لولا يقظة الأصدقاء من أبناء الزعفرانى ، قالت امرأته إن عاطف مهذب وخريج الجامعة ، انتفض حسن افندى كأن ماء مغلياً صب فوقه ، زعق قائلاً إن أفسد خلق الله هم خريجو الجامعات ، لا يفقهون شيئاً ، حامل الابتدائية القديمة متبحر فى العلوم أكثر



من دكتور هذه الأيام ، قامت امرأته تهدئه ، بعد لحظات خفض صوته ، لم يعتد الأهل على طلوع الحس من بيته . هنا يجب الإشارة إلى أن حسن أفندي يسكن بيتاً من طابقيين . إنه الثالث إلى يمين الداخل إذا لم تحسب فرن الحاج صغير ، ولد حسن أفندي بالحارة ، في البيت المجاور المغلق منذ شهر بعد اخلائه تمهيداً لهدمه وترحيل سكانه إلى مدينة نصر ، فيه استقرت عائلة حسن أفندي زمناً ، ترك له والده نصف فدان في البلدة ، وقطعة أرض مجاورة للبيت يقال إن والده اشتراها بجنيه واحد منذ عشرات السنين ، اقترح عليه أصحابه بيع نصف الفدان واستثمار ثمنه في بناء بيت من طابقيين فوق قطعة الأرض الخربة ، أبدى امتعاضاً ، نصف الفدان لا قيمة له لكنه يذكر الناس به في البلدة ، به يعتبر نفسه من أصحاب الأطنان بين الموظفين الذين لا يمتلكون إلا رواتبهم ، بعد فترة سمع الأطفال يصيحون ، « هيا نلعب في خرابة حسن أفندي » ، تشاءم وقرر بناء الأرض ، لكن كيف وقلبه لا يطاوعه على بيع نصف الفدان ، يدعوا ان الحسين استجاب لدعائه ، بعد أيام التقى بعبده المقاول بلدياته ، قال إن كل ما يملكه مائة جنيه في البوستة ، أبدى المقاول ترحيباً ، قال إنه سيقسط الباقي على عشرين سنة بفوائد بسيطة ، لم يحسم الأمر فوراً ، حكى ما جرى لامرأته ، لأصحابه ، لعبد العظيم أفندي ، لبعض المصلين الذين يجاورونه في الحسين ، بعد شهر أربعة عزم أمره ، بعد سنة انتقل إلى البيت الجديد الذي يقيم به الآن ويؤجر الطابق العلوي للدائري ، تفاعل به إذ أنه أنجب حسان بعد تسعة شهور من الإقامة فيه ، بعد زواجه تردد طويلاً على الأطباء المختصين أكدوا إن العيب به هو ، يبدو أن العلاج أثمر ، بعد مجيء سمير كفت الست سنوية عن الانجاب ، حمد الله ، تعهدما بعنايته ، كثيراً ما غادر عمله إلى بيته خلسة ليطمئن عليها في صغرها ثم يعود ليوقع في دفتر الانصراف ، وضع خطة دقيقة لتربيتها والبعث بها عن أولاد الحرام ، يلاحظ برضا عدم خروجها من البيت كثيراً ، لم يزرهما أحد من زملائها ، لم يصفر لها أحد من تحت الشرفة ، لم يقف عند الناصية ، الآن وصل

سمير إلى المرحلة الثانوية أما حسان فبعد شهور يحصل على الثانوية العامة ، وصوبها إلى الجامعة هدف أساسى ، عرف بنفسه أوضاع حملة الشهادات المتوسطة ، كثيراً ما يغمض عينيه على لافتة كبيرة تحمل بخط بارز اسم الدكتور حسان حسن أنور — دكتوراه في الطب — زميل بكلية الدراسات الطبية بلندن ، عندما يرى اسم ابنه معلقاً هنا .. هنا في ميدان الأزهار ، سيعرف الراحة الحقيقية ، لو تألم أحد معارفه يذكر له عنوان الدكتور حسان حسن أنور ، يجيب على تساؤل محدثه « نعم .. ابني » ، بتأن يخرج بطاقته يقول ، « عندما يرى حسان الكارت سيبدل عناية خاصة و يقدم ميعاد الحجز » ، يطلب منه سيد بك توصية ، سينسى كل شيء بينها فلا شماتة في المرض ، يدير رقم التليفون ، يتحدث إلى .. ، يوصى خيراً بسيد بك وحرمة وأولاده ، إنه يرى نفسه متجهاً إلى مكتب مدير عموم المصلحة ، يطلب التغيب لمدة يوم واحد ، سيوافق المدير لكنه سيبدى دهشة ، سيقول إن طلبه أجازة خبر يستحق النشر ، عندئذ يطرق خجلاً ، يقول بصوت متواضع ، « ابني الدكتور حسان سيسافر إلى إنجلترا لمدة عامين » ، يهنئه المدير ، يمضى مع امرأته وسمير إلى المطار ، يلوح لهم حسان ، تعلق به الطائرة ، لن يحتمل لحظة الفراق ، يعول همها منذ الآن ، لا يدري لماذا يتخيل ضرورة اتصاله جنسياً بامرأته يوم سفر حسان ، إنه يقرأ أخبار المجتمع في الصحف ، « سيد بك يشكر الطبيب الانسان الدكتور حسان حسن أنور » ، « عبد العظيم أفندي يشيد بفضل الدكتور حسان حسن أنور صاحب الفضل بعد الله في شفائه » ، أما سمير فلم يستقر حتى الآن على اختيار مهنة محددة له ، سأله عما يود دراسته ، أهر وجه الفتى كبت ، أجاب بليون « (أى حاجة يا بابا) » ، سمير يقلقه ، منذ شهور مال عليه المعلم الدائري ، قال بلهجة الناعسة إن سمير شوهد في حارة أم الغلام بصحبة شخص سبى السمعة اسمه مهدي ، بكى سمير طويلاً ، أقسم انه لا يعرف شخصاً بهذا الاسم ، في اليوم التالي اشترى أبوه ملابس داخلية من مقاسين مختلفين ، أبدت امرأته دهشة ، ما الحاجة إلى هذه

الشياب والأولاد عندهم ما يكفيهم ، قال إن أحد الموظفين وزعها عليهم ، يساعد نفسه ببيع البضاعة ، اشترى منه السراويل القصيرة لسفير والطويلة لحسان ، بعد أسبوع قام إلى المطبخ ، أضاء النور ، بدأ يقلب سبت الغسيل القذر ، قلب سروال سمير ، عرضه للنور ، رأى البقع الصفراء المتجمدة ، عاد إلى نومه هادئاً ، مطمئناً إلى رجولة ابنه ، الآن ، بأوى إلى فراشه والليل ينتصف ، ينظر مفتوح العينين إلى السقف المعتم ، يستعيد أحداث يومه من خلال صياغة صحفية ، جديدة تخصه ، يرى المانشيت أحمر اللون .. « اعتداء صارخ على حسن أفندي انور » .

« أحداث خطيرة في مصلحة الكفافية » .

« حسن أفندي يتحرك بسرعة في مواجهة سيد بك ، عبد العظيم أفندي يبدى تعاطفاً تاماً ، ويعلن تأييده لموقف حسن أفندي » .

« مقابلات هامة » .

استقبل حسن أفندي مساء اليوم بمقر منزله الدائم المعلم الداخوري ، صرح المعلم عقب الاجتماع إن المقابلة تمت بناء على طلبه وذلك لبحث الاضطرابات التي تجرى في الزعفراني ، وظاهرة تشاجر الأزواج خلال الأيام الأخيرة ، ثم تبادل وجهات النظر مع حسن أفندي واتفقا على ان زمان الهدوء ولى وفات ، وانتهاء زمن أهل الخير والمودة .. » .

ثم يذكر حالة الطقس ، يؤلف المقالات ، حتى يتسرب النعاس إلى مواد صحيفته ، من الثابت إنه وجه جهده منذ سنوات لتربية الأولاد ، أما امرأته فهتمة بولديها ، زهدت في واجباتها الزوجية ، ناسب هذا أحواله تماماً ، صحته لم تعد كأيام زمان ، الأمر يكلف الآن جهداً ، مستحضرات من الحمزاوى ، وصفات بلدية ، إنها تبدى اهتماماً به ، تحنو عليه ، تحرص على نظافته ، تغضب

كطفلة إذا شمت رائحة دخان من فمه ، لم يتم حسن أفندي الليلة مباشرة ، يسمع زعيقاً ، بكاء متصلاً ، يضع عنواناً كبيراً ..

« قلائل واضطرابات في الزعفراني » ..

— ٧ —

كل المعلومات المعروفة عن الشيخ عطية غير مؤكدة ، ثمة حوادث تروى عنه لكنها منقولة عن أشخاص آخرين ، لا يستطيع أحد أن يحدد عدة أمور تدور حول تاريخ مولد الشيخ . يذكره المسنون أمثال الشاويش سلام ، وأبو حافظ المحال إلى المعاش منذ عشرين سنة وعم عبده بائع غزل البنات ، باعتباره أحد صور طفولتهم البعيدة ، يذكر الصول سلام إن أخته لم تنجب بعد زواجها ، انقضى عامان ، أظهر زوجها قلقه خاصة انه تعرض لمتاعب جسام مع أسرته ، راح والده يسأله بعد شهرين من زواجه « ها .. ما الحالة » وهذا من عادات الأسر حتى إذا ثبت عقم الزوجة طلقت بغير نقاش ، لكن الزوج تمسك بها ، بذل جهداً كبيراً عند الأطباء ولم يفلح ، حتى قالت أم سلام إنها ستلجأ إلى شيخ مبروك يقيم في الزعفراني — وقتها أقامت الأسرة بحارة الدرب الأصفر — اصطحبت الأم ابنتها ومندبلاً للزوج ، جاء معها وعمره وقتئذ ثمانى سنوات ، يذكر الآن دخول أمه وشقيقته على الشيخ عطية في حجرتة المعتمة ، بريق عينيه المستديرين ، لا يستطيع استدعاء أى حادث سابق لهذا الموقف إلى ذاكرته ، إنها أقدم صور عمره ، يبدو له الأمر بعيداً منتمياً إلى زمن ناء ، ما يثق منه انه رأى الشيخ عطية رجلاً مسناً وقتئذ ، لهذا يؤكد إنه تجاوز المائة وخمسين عاماً ، يذكره برهبة ، بفضلته أنجبت المرحومة أخته أربعة كلهم ذكور ، مات منهم ثلاثة والوحيد المتبقى أنجب ذرية وفيرة العدد ، يقول البنان إنه لم ير الشيخ عطية يخرج من بيته ، لكنه عندما لجأ إليه منذ سبعة أعوام ليعده له عملاً يلين به قلب ابنه الوحيد

الذى رحل إلى أوربا ونسى والديه تماماً رآه عجوزاً مسناً له لحية يتخللها بياض ، أرسل ابنه خطاباً بعد سبعة شهور ، وعلل البعض طول المدة المنقضية بين كتابة الحجاب ووصول الخطاب إلى بعد المسافة بين الأب وابنه ، مما يؤثر على قوة الحجاب ، استمر الابن يرسل خطاباً كل سنة أو سنتين يرفق به حوالة على أحد البنوك بمبلغ بسيط ، لكنه لم يكتب عنواناً أو رداً ، علل البعض هذا إنه يعيش متنقلاً ، أكد هذا اختلاف طوابع البريد الملصقة على كل مظروف ، تؤمن أمه إن بركة الشيخ ستعيده يوماً ، سيطرق الباب وعندما تفتحه ستجد ابنها بلحمه ودمه ، سيرسوفى أحضانها ، يصيح « أمى » ، تقبله ، يهمس « الغربية أرهقتنى » وبعد انصراف الجيران يسند رأسه إلى ركبته ويحكى لها ، أم رأس الفجلة شوهدت تتجه إلى غرفة الشيخ ، منذ سنوات قالت للست وجيدة إن الشيخ باركها وهى طفلة ، يومها انتهزت الست وجيدة فرصة نطق العجوز الصامته دائماً ، سألتها ، هل تعين على الشيخ ؟ قالت ، وكيف لا .. وهو البركة كلها ؟ إنها تذكر ما جرى للشيخ حسين صاحب البيت الذى يقيم فيه مولانا الآن ، رفض منحه سكناً فى البداية مما اضطره إلى المبيت يومين متتاليين فى الخرابة التى يقوم فوقها الآن بين أم نبيلة المدرسة ، قام الشيخ حسين .. فجأة سكتت العجوز ، نظرت غاضبة ، لم تتحدث إلى الست وجيدة حتى الآن ..

فى مولد الحسين يجيء الصوفية وأرباب الطرق ، ينزلون عند بعض السكان ، يفتشون الحارة ، الشيخ يحتجب خلال الموالد ، يتردد اسمه فى قرى مصر وكفورها ونجوعها ، بل إن ركاب الدرجة الثالثة فى قطارات الصعيد يعرفون عجوزاً يمر بين المقاعد يتلو شعراً يتضمن أسماء جميع أصحاب المقامات والمشايخ وأولياء الله الصالحين بمصر ، يذكر بينهم الشيخ عطية ساكن الزعفرانى ، يؤكد الأهالى إنه سيرى القيامة بعينه ، ولد من بطن أمه نابت اللحية ، تكلم بالقرآن قبل خروجه من الرحم ، ماتت أمه بمجرد ولادته ، البعض يقول إنه رأى الدنيا فى

الزعفرانى ، آخرون يقولون إنه استقر فى الحارة بعد طواف عظيم ، سيقوم الناس ذات يوم فلن يجدوه بينهم ، سمع البعض صوته يتلو الآيات البيئات فى ليالى المطر الشتوية ، ورآه عدد من الأهالى يخرج إلى الزعفرانى فى أشد الليالى برداً ، معارفه من أجناس مختلفة ، يجيء إليه المغاربة أثناء اتجاههم إلى مكة للحج ، زنوبية المطلقة ساكنة الطابق الوحيد المتبقى فوق غرفة الشيخ سمعت ضحكات وقوراً تتردد أثناء زيارات هؤلاء ، رأت هنوداً وسمعت الشيخ يقول لهم « أهلا بأبناء العمومة » ، جاء زنوج ورجال ملامحهم صينية لكنهم يتحدثون العربية ، لم ير الأهالى طعاماً يجيء إليه أو بقايا تخرج من عنده ، يقولون إن الجن يخدمونه ، يطيرون إلى السماء ، يتصننون على مايتهاشم به الملائكة بخصوص مصائر الناس ، فى عام ١٩٤٤ قال للست أم سامية إن شمس يوم الجمعة القادم لن تشرق على إبنك ، وفعلاً صعدت روحه إلى السماء قبل شروقها بساعة .. يذكر أحفاد الشيخ حسين إن فقيهاً كسيحاً جاء محمولاً على كتفى نوبى طالب فى الأزهر ، فى هذا الزمن البعيد لم توجد أزمة مساكن ، لهذا لم يفكر صاحب البيت فى تأجير هذه الغرفة الواقعة تحت السلم والتي جاءت زائدة كنتيجة لتقسيم البناء ، وموقعها ، إذ أن السلم يعتبر سقفها ، لكن فراغها يمتد إلى ما دون مستوى الأرض بحوالى مترين ، عند دخولها لا بد من نزول خمس درجات ، خالية من النوافذ ، شبه مثلثة ، يتسع جدارها القبلى حتى ليبلغ طوله أربعة أمتار ونصف ثم تضيق حتى لا يتجاوز جدارها البحرى متراً إلا رباعاً ، بلاطها من حجر مصقول يماثل تماماً أرضية الزعفرانى ، رفض الشيخ حسين تأجيرها ، قال إنه أقسم ألا يأوى أعزب فى بيته ، إنصرف الشيخ وصاحبه النوبى الذى يحمله ، فى اليوم التالى جاء تجار بخور وعطور ، رجوه تأجير الغرفة لهذا الكسيح الزاهد ، قالوا إنهم يبذلون جهداً حتى يقبل دخول متاجرهم والبقاء فيها لحظات ، قال الشيخ حسين إنه أقسم ألا يؤجر لأعزب ، ثم لماذا الإصرار على هذه الغرفة بالذات ؟ قال بالنسبة لعزوبيته فلا ضرر منه ولا نفع ، أما اختيار الحجره فن اسراره التى لا



يسأل فيها ، طلب منهم مهلة حتى اليوم التالي ، فى المساء وبعد صلاة العشاء ومصافحة جاريه فوجيء بأحدهما يخاطبه باسمه، شيخ وقور، أشيب اللحية ، رجا الشيخ حسين أن يمنح غرفته لعطية الصالح العابد ، ثم همس ، ما هكذا يجب معاملة الواصلين ، فى اليوم التالي جاء ، الطالب النوبى وهو، طلعا إلى صاحب البيت ، خلا به الشيخ عطية ، ومنذ هذه الليلة لم يخرج من الزعفرانى ، فى الصباح التالي جاء الطالب النوبى بعربة يد ، تجمع عدد من أطفال الحارة يرقبون ما ينقله النوبى ، عدد من كتب قديمة ، صندوق كبير بنى اللون .

أحيانا يتحدث عنه الناس ، يتساءلون ، يطرحون الاستفسارات ، يسكتون فجأة ، يمتد صمتهم شهورا حتى يقع أمر ربما شديد الضآلة ، ينمو الحديث عنه ، لكن فى جميع الأحوال لا يفارق الأهالى شعور بأنه على مقربة منهم ، يرقبهم ، يعرف ما يدور بينهم ، نساء الزعفرانى مغرمات بنسب الخوارق إليه ، يقلن إنه متزوج من جنية رائعة الحسن ، يرحل إلى أماكن مختلفة من العالم ممتطيا ظهر أحد المردة، تؤكد إحداهن إنها فتحت باب حجرته فلم تجده ، قادر على اتخاذ هيئات مختلفة ، ربما يتخفى فى تلك القطة السوداء المارة الآن ، ينتهبن فجأة إلى تجاوزهن الحد فى الحديث ، بعضهن يتذكرون السلام المظلمة التى سيصعدنها أثناء عودتهن ، يهمسن « والله كله بركة » ، ينتقلن إلى موضوع آخر .

يرهبه الأهالى بلا شك ، لا ينسون المصائب التى تعرض لها بعض من حاولوا النيل منه ، فى سنة ١٩٤٢ ، أثناء اشتداد الغارات الجوية على القاهرة ، انتشر عدد من اللصوص يتسترون بالظلام ، يبدو أن أفوايل وصلتهم حول محتويات حجرته من مجوهرات و يواقيت ، زمرد ومرجان ، لم يرهبهم ما تردد عن وجود ققم يضم عفر يتا محبوسا عنده ، ربما انطلق لاصطدام أحدهم به أو بأمر من الشيخ نفسه ، حاول ثلاثة منهم الهجوم على الغرفة ، وقف اثنان بالخارج ، خطا ثالث الى داخل الحجرة ، لم يقرب بابها ، قبل أربع خطوات زعق ، ارتمى ممسكا

بطننه ، هرع زميلاه ، شىء ما أخافهما ، طبيعة الأصوات التى يصدرها ، صراخه الممدود كالعويل ، ربما غموض الليلة ، هربا ، فى الصباح وجد السكان شخصا مشوه الملامح كأن يدا ضخمة لوته بعنف ، بيده خنجر ومفاتيح وز كيبه قماشها مخطط بالأحمر والأصفر ، حاولوا تحريكه لكنهم عجزوا ، نقله جنود البوليس متخشبا ، تبين أنه هارب من عقوبات لا حصر لها ، ثمة حوادث أخرى جرت شكلت جوا من الحذر والخشية تجاه الشيخ ، تكثف هذا منذ سبع سنوات عندما احتجب الشيخ ، انقطع زواره الأعراب ، أغلق بابها ، قبل اختفائه قال لمن جاءوا إليه أنه سينقطع لأن عملا جليلا وعظيما سيستغرقه ، فى البداية دارت تكهنات ، قيل أنه سيقلب حجارة البيوت ذهبيا ، سيوزع على أهالى الزعفرانى جرعات من ماء عين الحياة فلن يموت أحدهم أبدا ، سيملا البيوت عسلا مصفى وخيزا وجبنا ولن يجوع أحد أبدا ، أبدى عدد قليل مخاوف ، كيف ينتظر خير من كسيح ، مقعد ؟ ، لامهم السامعون وطلبوا سحب ما قالوه ، بمضى الزمن نسى الأهالى ما قيل عن عمله الجليل ، زنوبة المطلقة ترى بابه مغلقا باستمرار ، بعض الأطفال يدخلون الفناء للتقاط كرة أفلتت منهم أثناء اللعب ، يرمقون الباب بسرعة ويخرجون ، تجنب بعضهم الاختفاء فى الفناء أثناء لعبهم عسكر وحراميه ، صحيح أن الباب موصد ، لا صوت يسمع للشيخ ، لكن احساسا غامضا يثقل فوق الكبار والصغار كلما التفتوا ناحية البيت أو تذكروه ، منذ شهر واحد ظهر شخص نوبى ، رأت زنوبة الباب مواربا ، قالوا إنه عاد من سفر طويل خلال الليل والزعفرانيون نيام ، سرت إشاعة بعودته غاضبا ، أوجد هذا خوفا فى قلوب البعض — خاصة السكان القدامى ، على أية حال لم يجد الأسطى عبده إلا الشيخ يلجأ إليه فى محنته ، بل أنه تفاعل ، لو أدركه العجز منذ ثلاثة شهور لما وجد الشيخ ولما استطاع التماس العون منه ، وحتى مساء الجمعة بلغ عدد المترددين على الشيخ عطية ستة رجال وامرأة واحدة ، كلهم من الزعفرانى ، طلب منهم الحضور يوم الجمعة قبل شروق الشمس والسبعة هم .

١ - الأسطى عبده السائق بالنقل العام .

٢ - رأس الفجلة .

٣ - عويس الفران .

٤ - على المكوجى .

٥ - طاجون أفندى غريب .

٦ - روض ابنة أم صبرى ( أحضرت معها منديلا وقالت إنه أثر لشاب

تعرفه أصابه ارتخاء فى الأعصاب ) .

٧ - قرقر الموسيقىار .

« ملف ٢ »

بعض وقائع أولى  
جرت يوم جمعة

لحظة دخول على المكوجى إلى حجرة الشيخ عطية ورؤيته عويس  
الفران أصيب بدهشة ممزوجة بخجل ، خفت حدة مشاعره قليلا لحظة وصول رأس  
الفجلة الذى عاش طوال عمره متجنباً دخول بيوت الجيران ، لدرجة أنه أثناء جمع  
عيديّة المسجراتى يقف فى الحارة حاملاً قفة و يرسل ابنته الصغيرة لتجمع له  
أطباق الكعك أو نقوداً قليلة ، ان ملامحه الآن تتغير تبعاً لتزايد دقائق قلبه ، يدرك  
أنه فضح . صمم الا يبوح بكلمة واحدة عن حالته أمام أى شخص من هؤلاء ،  
عندما جاءت روض تمت « بسم الله .. ماشاء الله » ، اضطرب خطاها ،  
وقفت بعيداً عن الرجال ، تنظر إلى الشيخ عطية متوسلة ألا يفضحها ، لم تسمع  
أنه أذى مخلوقاً من قبل ، عندما دخل الأسطى عبده مرتدياً حلتة الصفراء ، فوق  
صدره شعار الهيئة ، أوتوييس مجنح ، أدركهم شبه يقين أنهم جاءوا فى ظروف  
واحدة ، ما أدهشهم هو وجود « روض » ، لماذا جاءت ؟ ان أبصارهم مطرقة ،  
الصمت ثقيل ، ما يخشاه كل منهم أن يوجه الشيخ إليه حديثاً يكشف أحواله  
ويجعله « جرسه » ، الأسطى على يعرق ويقشعر جلد ظهره ، بعضهم تجراً ورمق  
الشيخ ، للدقة يمكن القول أنهم نظروا إليه جميعاً ، من هنا يمكن تكوّن صورة  
واقعية سريعة للشيخ ، انه قصير القامة إلى حد لا يتجاوز معه طول طفل فى  
الشامنة ، ضيق الكتفين ، عريض الحوض ربما لانشاء ساقيه الكسجيتين تحت  
جسده ، يغوص رأسه حتى لا تبدو له رقبة ، إنما ثلاث دوائر من اللحم كل منها  
تعلو الأخرى ، وجهه بيضاوى ، متورم ، أو هكذا يبدو خاصة أنه بدون تجاعيد ،  
فه صغير مزوم ، جفونه غليظة ، جلده مترهل ، يخيل للناظر إليه أنه لو مد يده  
وأمسكه فسيستطيل معه إلى مالا نهاية كالحلاوة السائلة ، هذا ما يعطى وجهه  
كله طابعا غريباً يتناقض مع لحيته الصغيرة البيضاء ، يبدو كجنين أجهض ثم نما

حتى حد معين أما عيناه فستديرتان تماماً ، تبرقان ، خضروان ، أمامه أوان  
نحاسية منقوشة ، الى اليسار أربعة صناديق خشبية فوق بعضها ، عتمة الغرفة  
يتخللها ضوء خفى المصدر ، أيقن قرقر الموسيقى أنه باستطاعته قراءة كتاب صغير  
الحروف بدون صعوبة ، ربما تسبب هذا الضوء الغريب إلى جانب عوامل أخرى  
فى عدم القدرة على إطالة النظر إلى الشيخ ، شىء ما يصد نظراتهم عنه ، لا  
يسمح للعين بالاستقرار أكثر من لحظة فى اتجاهه ، عندما رفع رأسه أدركوا أن  
الشمس تشرق فى هذه اللحظة ، أصغروا إلى صوته البطيء ، القادم من كل مكان  
فى الغرفة .

« لم يكتمل العدد بعد » .

يدير إبهاميه حول بعضها إذ أن نوعاً صغيراً يبرز جلبابه ثم يختفى ، تذكر  
عويس الشيخ صالح عمدة بلدته ، عندما يجلس فوق الدكة الكبيرة أمام المسجد  
الصغير ، يرسل نظراته فى اتجاه واحد بينا إبهاماه يتابعان بعضها .

« لن أفضل الحديث إلا إذا جاء سبعة آخرون .. أعفى البعض ، لكننى  
أطلب أربعة عشر ذكراً . منهم عاطف ابن حسنين جودة » .

ارتعشت روض ، مشى النمل دافئاً تحت جلدها . تخشى الفضيحة .

« أريد الذكور فقط . ربما أبدى البعض ممانعة ، لكن ما يشكومنه كل  
منكم ، ما أخبرنى به سرا . سيلقاه عند من يقصده » .

بداية اليوم .

لم ينصرفوا ، الأمر يبدو معقداً ولا يمكن لكل منهم التصرف بمفرده ،



تابعوا الست « روض » أثناء ابتعادها ، لماذا جاءت ؟ عويس يوشك أن يقول « كل منكم يعاني ما يعانيه الآخر » ، لم يلفظ كلمة ، يحتفظ بمسافة تفصله عن الباقيين ، الأدب واجب ، لا يصح الاقتراب من ابرز سكان الزعفراني ، لأول مرة يقف مع عدد من الأهالي ، أنه غريب عنهم ، لا يتبادل الحديث مع أحد ، ولا يجلس على قهوة المعلم الداظوري ، ولا يقوم بزياره زعفراني واحد ، ثم جاءت هذه المرأة فى حارة درب الرصاص لتجعلهم ينظرون إليه بضيق ، بعد فترة من سكنه نسي أمره لأنه ينام النهار كله ولا يراه أحد عند خروجه الليلي إلى الحمام ، ثمة أمور ستقع اليوم ، ما هى إلا مقدمات لأحداث أخرى ، يذكر صباحاً بعيداً فى قريته ، صحا على صراخ فى بيت أبى مسلم ، قام يجرى ، خاض أشعة الشمس البكر التي تفرش البلدة ، قتل فيض الله أثناء مبيته بجمل البطيخ ، يبدأ جو من الحذر والترقب يلف القرية ، قد يطول أو يقصر ، ربما امتد أعواماً ، يدرك الجميع أن من الحق عائلة أبى مسلم قتل أحد أفراد أسرة « عوض الله » ، لن تنتهى الأمور فى الزعفرانى عند ذهابهم صباح الغد إلى الشيخ ، قال على المكوجى لا بد من التصرف بسرعة لأن المهلة محدودة ولا بد من ذهاب كل منا إلى رزقه ، أو شك الأسطى عبده أن يسأل كلا منهم عن السبب الذى دفعه لزيارة الشيخ عطية لكنه خشى مطالبته بذكر السبب ، كل منهم يتجاهل ما جاء الآخر من أجله ، قال إنه لا يدري إلى من سيتوجهون لكنه يعتقد أن ذكر الشيخ عطية لاسم عاطف أفندى يوجب الذهاب إليه ، هنا نظر طاحون أفندى إلى الأسطى عبده باعتباره أقرب الموجودين إلى مستواه الوظيفى ، صحيح أنه سائق أوتوبيس وطاحون أفندى سائق قطار ، لكنها يعملان فى الحكومة ، قال إنه سيقابل عاطف ، أوحى فى لهجته وإشارة يده إلى صدره أنه قادر على مناقشته بأسلوب يرقى الى مستواه ، نظر إلى الباقيين ، رأس الفجلة لا يخفى اشمزازه إذ تجمعهم الظروف مع عويس الفران ، ملامح وجهه لا تبرز مدى ضيقه ، لهذا ينظر بطرف عينيه و يتحرك بعيداً ثم يعود للوقوف كما أنه نفخ ثلاث مرات بضيق ، انه مجبر

على إجابة كل ما يتطلبه الموقف حتى تعود إليه قواه وهديء فريده التي تسخر منه علانية الآن لدرجة أنها أول أمس ملأت كوباً بالماء البارد وسكبته فى قفاه ، لم ينهرها ، « عينه مكسورة » ، الأسطى عبده يشير إليه ، وأنت ؟ ، قال إنه سيذهب ليدعو التكرلى ، أن الأسطى على المكوجى يعجب فى سره ، كيف تحتمله فريده الحلوة التي تصغره بأعوام كثيرة ، منذ شهرين حمل بنفسه فستانين ، ذهب بها إلى شقة رأس الفجلة ، عندما فتحت له فريده الباب ورأى ذراعها العاريتين وجسدها يضوى من خلال القميص الشفاف ، ابتلع ريقه ، عويس الفران ينظر من موضعه البعيد نسبياً إلى رأس الفجلة ، يلعن النقود التي تجر امرأة خضراء العينين ، حلوة ، على معايشة رجل كهذا ، يذكرها إذ تنحنى كاشفة عن نهدية الصغيرتين الصلبين عندما تساعد لرفع طاولات العجين ، تمتد ذراعها إلى أعلى فتكشف إبطارثقا ، أثناء نزوله تتعمد أم يوسف كنس السلم ، واضح أن طاحون المتعجرف هذا لا يكفيها ، حسرة تلامس روح عويس ، أضاع فرصاً ذهبية للمتعة مع أم يوسف ، بمجرد زوال هذه النعمة ، واكتمال مدخراته سيشتري عربيه اليد ، يهجر الحمام والأفندية وعهدهم الليلي ، يجنى المذات من بساتين أم يوسف ، من فريده ، حريم هؤلاء الذين يتجاهلونه الآن ، يخفون أحوالهم بالأنفة والشموخ الكاذب والاعراض عنه ، قال الأسطى إنه سيتحدث مع المعلم الداظوري ، وقال قرقر إنه سيتوجه إلى عاشور النجار . هنا قال طاحون أفندى ، لا بد من الذهاب إلى حسن أنور وولديه ، أنه من عقلاء الزعفرانى ، من يذهب إليهم ؟ تبينوا أن الوحيد الذى لم يكلف عويس الفران ، هل يصح ارسال فران ضائع إلى موظف يخدم الدولة منذ ثلاثين سنة ، أعلن رأس الفجلة انه منصرف ليفتح الدكان ، قال الأسطى عبده ، لم يبق إلا عويس . رفع عويس يده بالتحية ، قال على المكوجى ، عويس « لبلب » فى الكلام ، ورفع عويس يده مرة أخرى محمياً .

## التكرلى:

يعرف رأس الفجلة ويسمع عن مخزنه الغامض ، وعلاقته بفريدة امرأته ، من خلال ما تصغى إليه زوجته عبر الشرفات ، من متابعتها مرة أو مرتين لفريدة وهى تأتى بحركات مضحكة لحظة خروج زوجها ، مع ذلك أبدى برودا وسأل « من سيادتك » ؟ ندم رأس الفجلة على توجهه إلى هذا الشاب الطرى ذى الصوت الرخو الذى لم يدعه حتى للدخول ، لكن « ما يريك على المر إلا الأمر منه » .. أنه مضطر إلى الملاينة حتى يقنعه بالمجيء صباحاً ، تسأل التكرلى عن الشيخ عطية ؟ أبدى رأس الفجلة دهشة ، كيف يجمله والزعفرانى تعيش ببركته ؟ ان ضيقاً يخنق التكرلى منذ أيام ، ليلة البارحة أوشكت الفضيحة على الاندلاع ، تشاجر مع أحد ضيوفه ، اضطرت اكرام امرأته إلى التدخل بينها ، لماذا يريد الشيخ عطية ؟ ربما يطالبه بمغادرة الحارة ، لهؤلاء المشايخ جواسيسهم الذين ينقلون إليهم الأخبار فيواجهون بها الناس ، يبدو الأمر معجزة فى نظر أمثال رأس الفجلة هذا . خطرت له فكرة بعيدة تماما عما يمكن أن يوحى به الموقف .

كيف يقبل رأس الفجلة امرأته ؟ من يراها لا يصدق أبداً أنها متزوجة من هذا الشانخ منفرج الفم ، لو عشقها أحد مشايخ العرب لدفع لها آلاف حتى تطلب الطلاق ، أو مائة جنيه لو اقتصر الأمر على متعة ليلة واحدة ، وهدية ، زجاجة عطر أو راديو ترانزستور مع ريكوردر كاسيت ، لكن ما العمل وهو يعطى « الحلق للى بلا ودان » ، يقدر التكرلى المرأة بما يمكن دفعه لها مقابل متعة عابرة ، أثناء مشيه فى الطريق يقول لنفسه ، هذه عشرة جنيهات ، هذه تساوى خمسة ، قال رأس الفجلة إن الرجال الآخرين سيذهبون إلى الشيخ ، هل سيعقد مجلساً ليفضحه ؟ ربما حكى وقائع واستدعى أشخاصاً ، خاصة أن عدداً من الرجال المترددين عليه فى الأيام الأخيرة متوترون جداً ، أعلن أحدهم — مدير

تكنولوجى — أن هذا لم يحدث له مطلقاً ، طالب بجنيهاته الخمسة ، قال التكرلى إنه لا يستحق استرداد ما دفعه لاختلافه بأكرام وخلعها ثيابها كاملة ، لم تبق قيصاً أو سروالا ، كشفت نفسها له ، لاعبته وناغشته أكثر مما يحدث عادة مما كلفها جهداً تستحق معه بقشيشاً مجزياً ، أما توفيقه أو فشله فغير مسئول عنه ، ربما أصغى أهالى الزعفرانى إليهما ، يحاولون دائماً التصنت عليه ، خاصة عاطف الساكن تحته ، رصد نظراته الشرهة إلى نادية ، سيواجه الشيخ بحسم ، سيلوح بصلاته الوطيدة مع بعض ذوى النفوذ ، سيتخذ موقفاً إيجابياً ، سيطلب الليلة من بعضهم طرد الشيخ من الحارة خاصة أن الدجل والشعوذة يعاقب عليها القانون ، سيشير إلى احتمال نشر شائعات عنهم بواسطة هذا الرجل مما يضر مراكزهم والعيار « اللى ما يصيب يدوش » ، أخفى توتره ، بصوت ناعم قال لرأس الفجلة انه سيذهب معهم ليرى حكاية هذا الشيخ ، سيرغم على الاستيقاظ مبكراً ، فاين سيتقابلون ؟؟

## عاطف:

يفزع من مواجهة الليل وحيدا ، لهذا يخرج منفرداً ، هاربا من العتمة ، يخشى عمق اللون الرمادى وصدى أحاديث بعيدة وأطياف وعبير روائح وبقايا زحام طرقات عبرها يوماً برفقة من أحب ، يلجأ إلى الزحام محتتماً من الليل ، يمضى بلا قصد ، يتأمل القمصان ، الساعات ، الأشياء الأثوية ، يود الاسراع لكنه يطيل النظر إلى علب الروائح والساعات الدقيقة الملونة تعرض على الاناث داخل الدكاكين ، الآن يتأمل و ينظر ولا يشتري ، لمن سيقدم هدايا الحبيب ؟ قبل عيد ميلادها الرابع والعشرين ذهب إلى صاحبه فريد عند حدود المدينة ، استشاره فيما يمكن تقديمه ، اقترح فريد فستاناً ، اقترحت امرأته ساعة ، أعجبه ما قالت ، حار أمام المتاجر ، عندما عزم أمره ودخل ، سأله البائع هل يفضلها للسهرة أم للعمل ؟ قال البائع إن الساعات المزخرفة اللامعة لا تصلح إلا للسهرة . أما الساعات العملية فلا تفارق المعصم أبداً ، انتقى ساعة بين ، بين ، عاد إلى

امرأة فريد ، أبدت إعجابها ، قال « تفضلي » ، ابتسمت « تعيش وتجيّب لها » ،  
عندما مضى إليها خفت خطاه ، لانت الأرصفة ، بدت له الطرقات المؤدية الى  
بيتها رحبة وهوؤها أصفى والناس الماشون جديرون بالحب ، ود لو تحدث إلى  
راكب الأوتوبيس المجاور له ، إلى الكسارى ، إلى الركاب ، وعندما وقف  
بواب العمارة دس فى يده ورقة مالية ، عشرة قروش ، أحاطت عنقه بذراعها ،  
أسرعت تنادى أمها لترها هدية عاطف فى عيد ميلادها . إن عاطف لا يمشى  
الآن فى الطريق المؤدية إلى بيت رحمة ، فى لحظات الليل الأولى يرى فتاة ، يجوع  
إلى الحب ، يمضى محاطا بسورخفى يعزله ، يضل فى وسط المدينة ، انه الآن فى  
البيت ، مستسلم لمجىء الليل ، أحزانه ستضعف ، تمسى هما ثقيلاً لكنه قعيد ،  
لا يرغب فى الخروج ، لو علم فريد لا عتبر هذا علامة ، كيف يمضى عليه ثلاثة  
أيام لا يخرج أبداً ؟ لم يفكر فى الذهاب إلى المستوصف ليعتصر فكرة الممرضة  
بين أحضانه كما فعل مرة واحدة ثم أنقطع تماماً . ربما تذكره روض الآن بدهشة ،  
ربما بالاحتقار ، استسلمت له بلا معاناة ، أغمضت عينيها وانفجرت شفتاها ،  
فاجأة صوت « رحمة » وهسهسات لياليتها ومرات تناولها الطعام ، عندما التقيا  
فى درب قرمز ، لمح أسى فى عينيها الواسعتين ، بدت راغبة فيه . لحظة دخولها  
حجرة نومه أيقن من ذهاب أيام الشوارع والوحدة الملتاعة فى قلب الزحام ،  
حديث الناس وهمس الفتيات وعروض الباعة وتوسلات الشحاذين ، لم تخف  
روض شيئاً ، اشتهاها ، قرر أن يقص لها ما رآه مع رحمة ، بعد عجزه يتردد كثيراً  
فى الإفضاء إليها بما انتهى إليه حبه ، ستظن عدم قدرته معها سبباً لا بتعاد  
« رحمة » عنه ، لوقص ما جرى على أصحابه لقالوا إن هذا أمر عادى لا يستحق  
الانزعاج ، اثبتت فاعلية على أيديهم وهم شهود ، لكن خوفاً يقبض قلبه ، ما  
أصابه أكبر من عارض طارىء ، ربما يمنعه الخجل من الخروج ، يتخيل روض  
مطلّة من النافذة ، تهمس لنفسها أو لإحدى صاحباتها ، هذا الأفندى الأنيق  
الجامعى ، الطويل ، العريض (مالوش) ، الآن يثقل الليل عليه .

يطرق الباب ..

يخاف مجىء روض ، ربما تتلفت حولها الآن ، تنبعث منها رائحة صابون  
معطر رخيص ، يود لو تنصرف ، هل يضيف إلى عجزه عجزاً جديداً ؟ لتدعه  
حتى يدرك منبع الوباء ، حاول بمفرده أمس ، أول أمس ، لا فائدة ، تهاجه  
موجات متتابعة من الذكرى ولا يستطيع صدا . انه أعزل ، مستسلم للعتمة ، ماذا  
بقى أمام الليل لهدمه ؟ من عاداته النظر أحيانا إلى الشرفة ، أو تقليب رواية  
بوليسيه ، لكنه منذ عودته يلتصق ظهره بالجدار ، يبدو الزمن وعرا فى نهاية النهار ،  
كأن ما جرى فى حياته كلها وقع فى نهار واحد هو الذى يراه راحلا .

طرقات من جديد ، سعال ، رجل ما ، من ؟

لا ينتظر مجىء أحد ، فى مكتبه أضناه الانتظار ، يخيل إليه أنه لورفع  
رأسه سيراه واقفة بالباب ، ضحكتها التى استبقته من زمن الطفولة ، من ؟

انه رجل قصير القامة ، نحيل ، رآه كثيراً أثناء دخوله وخروجه الحارة .

« طاحون غريب .. سائق بمصلحة السكك الحديدية » .

تساءل عاطف عن الشيخ عطية ، من هو ؟ ، لماذا يطلبه ؟ عند الباب  
كسر طاحون رجاءه ، ألا يخلف الأستاذ عاطف الميعاد ، لقد اضطر إلى طلب يوم  
اجازة مع ان اجازته تسبب ارتباكاً . يتغيب عن قيادة قطار الصعيد الذى يعمل  
عليه منذ زمن ، عندما عاد عاطف إلى موضعه أدركته رعشة . عينا طاحون  
تحملقان إليه من جوف العتمة ، فيها سخرية وتعبير واضح « الحال من بعضه » .



ينزل الآن سلم بيته . أيقظ ولديه مبكرا حتى لا تدرکہما أشعة الشمس فيفسد اللقاء ، لا يستطيع رفض طلب للشيخ عطية حتى لو جاء به عويس الفران صاحب الأمور المخزية ، نادراً ما يطلب الرجل الصالح من أحد الأهالي الحضور اليه . كثيراً ما يجيء أهالي الأرياف إليه عبر المسافات الطويلة ثم يكتشفون أنه محتجب فيعودون خائبى المسعى ، يرتدى ولداه ثيابها كاملة وكأنها ذاهبان إلى صلاة العيد ، يضيقان بصحبته . يضطران إلى المشى بطريفة معينة ، يكرههما على زيارة بعض الأقارب ، يطيل جلوسه ، يضطران إلى السكوت ، فى الطريق يلمح بعض معارفه ، يسرع الخطى حتى يبتعد مسافة عنها ثم يلتفت إليهما ، يزق طالباً منها التقدم لمصافحة أحد زملائه ، يشير إلى حسان قائلاً انه فى الثانوية والنية متجهة إلى الطب بإذن الله ، أما سمير فيدرس بالإعدادية و ينوى دخول الهندسة ، لا يخفى على حسان تباهى والده بها . لا يضايقه هذا ، سمير يخجل ، يرى والده أشبه بالمهرج . خفيف الحركات ، قال لأخيه ان والدهما يعرضها كالقردة . أبدى حسان ضيقاً ، قال إنه تعب كثيراً فى حياته ومن حقه التفاخر بها ، الآن يتبادلون النظرات . سهرا حتى ساعة متأخرة يستذكران دروسهما ، تمنيا لو امتدت بها ساعات النوم قليلاً خاصة أنها فى العطلة التى تسبق الامتحانات ، ان رجلاً آخرين من الحارة يقفون أمام غرفة الشيخ ، سمير ينقبض قلبه . ربما قال لوالده تفاصيل عن علاقاته بعطوة الطعمجى ومبروك طالب الأزهر ثم ان وجود عويس هذا أرعبه . لمح مرة فى الحمام ، اكتفى يوماً بدخول المغطس ، هل يذكره ؟ يحرص الا تلتقى نظراتها ، انهم يتصافحون ، يتبادلون نظرات قلقة ، طاحون يقف مشدودا ، عاطف يقف شاحب الوجه ، يده أمام صدره ، ينقل ثقل جسمه من ساق إلى أخرى ، عويس يبدو نشيطا ، التكرلى يقف بعيداً عن الحاضرين ، يتجاهلهم ، قال طاحون ان شروق الشمس سيتم فى

السادسة وأربع دقائق ، اتصل أمس بأحد أصدقائه فى جريدة « النداء » وأخبره بالتوقيت المضبوط ، الآن الساعة السادسة وثلاث دقائق ، قال حسن أفندى إن ساعته تشير إلى السادسة تماما ، أكد طاحون أفندى دقة ساعته ، أحضرها أحد أصحابه العاملين فى المطار ، اشتراها من السوق الحرة ، اعتماده عليها فى معرفة مواعيد وصوله وقيامه من المحطات دليل على دقتها ، ختم كلامه بنظرة باسمه إلى التكرلى وعاطف ، فيما بعد عندما استعاد كل منها الموقف بمفرده ، لم يستطع أن يحدد بالضبط من الذى صاح قائلاً « تفضلوا » .

( ملخص ما قاله الشيخ عطية فى لقائه بأربعة عشر ذكراً من حارة الزعفرانى ، ويلاحظ احتجابه أثناء الحديث خلف ستارة لونها بنى باهت يميل إلى أصفران ) .

بدون أى مقدمات ، قال الشيخ عطية إنه عالم تماما بأحوال الواقفين أمامه ، وحال كافة الذكور الزعفرانيين ، جميعهم فقدوا رجولتهم إلى حين ، ان بعض المعطبين ( استعمل كلمة العطب ، وكررها مرات ) ليسوا رجالاً أصلاً ، الوضع الجديد لن يغير من جوهرهم . فيما عدا مظاهر لا أصل لها ولا صورة عندهم .

• أى ذكر سيخطو فوق أرض الزعفرانى سيعطب .

• أى طفل سيولد منذ الان فوق الزعفرانى خاسر مقدماً .

• أى امرأة زعفرانية تضاجع رجلاً من أى مكان فى العالم ، سيلحقه عجز مهملها اختلفت جنسيته أو ملته ، قال إنه استثنى من ذلك ذكراً زعفرانياً واحداً . وامرأة زعفرانية واحدة ، لحكمة أضمرها ، لأسباب خفية لن يعلن أسميها أبداً .

قال إن كل من يترددون على حارة الزعفراني سيمسهم الطلسم ، حدد  
هذا بالمتحدثين في تليفون حسن أفندي أنور وكل من يزعمق في الحارات المجاورة  
بحيث يسمع صوته السكان الزعفرانيون ، كل من وقف خارج الحارة وصاح  
مناديا أو ساخراً من زعفراني ، سيعطب أيضاً ، كل من حاول الحاق الضرر بأى  
طفل أو امرأة أو رجل زعفراني ، أى إنسان يحاول دخول الحارة ، سواء حاول  
عبور جوف الأرض ، أو التعلق بالسواء .

قال إن ما أصابهم وما سيصيب الآخرين لن يفلح فيه أى علاج طبي ،  
أو نفسى .

قال إن ما لحقهم هو البداية .

قال إن طلسمه قوى ، متحرك ، شامل ، نافذ ، واعر ، أعده لحكم  
ارتآها ، وتدبير سيعلن عنها فى حينها . لن تقتصر على الزعفراني إنما ستشمل  
الدنيا وسائر الموجودات وجميع أنواع المخلوقات ، ما دفعه تأمله فى الأحوال  
والمصائر ، وأسباب نائية ، دانية ، سر الطلسم لا يعرفه إلا هو ، لن يفكه الا هو ،  
لن يفلح أى طلسم آخر فى إفساد آثار طلسمه ، ما أعده الأول من نوعه والفر يد  
فى مكنونه ، لن يصغى إليهم ، فكل قول عبث ، وأى جهد ضائع ، عليهم  
الانصراف ومتابعة ما سيقوله ، ما سيطلعهم عليه ، لن يقبل مجيء أى إنسان  
إليه . سيقوم عويس فقط بالتردد عليه مرتين ، عند شروق الشمس ، وعند  
غروبها ، لسمع منه و يتقل عنه .

« ملحق تابع لملف ٢ »

ما جرى خلال الجمعة  
وأيام تالية

يمكن القول إن أحداً من رجال الزعفرانى لم يذهب إلى عمله . حتى الرابعة بعد الظهر لم تسمع الأصوات اليومية المعتادة ، امتنعت الأحاديث الصباحية فوق السلام ، وعبث الشرفات ، والصيحات المتفرقة الى تسمع عادة بين الحين والحين كزعيق امرأة تأمر ابنها بوضع إناء فوق منضدة ، أو إعادة شيء إلى مكانه ، خلعت الحبال تماما من الغسيل ، لوحظ خروج عدد كبير من الأطفال حتى التاسعة صباحا ، عرف فيما بعد أنهم منحوا مصروفا على غير العادة ، ذهب معظمهم إلى سينما الكواكب التي تعرض أربعة أفلام منذ التاسعة صباحا وحتى الرابعة مساء ، بعضهم — وهؤلاء أكبر سنا — ذهبوا ليركبوا دراجات ، خلعت الزعفرانى من ضجيج الأطفال المعتاد ، المدارس الابتدائية أغلقت أبوابها منذ فترة واعتاد الأهالى صباحهم ، لم يلعب أحد منهم الكرة الشراب ، لم يتماسك اثنان و يصرخ أحدهما حتى تظل أمه من الشرفة ، تبدأ توجيهه (أمسكه من ياقته .. خذ طوبه واضربه .. اختبىء هناك .. اضربه .. اضربه ) ، هنا تظل أم الطفل الآخر ، تبدأ مشاجرة عنيفة ربما انتهت بتدخل الرجال بعد عودة كل منها إلى بيته ، صمت الزعفرانى لاحظه الباعة الذين دخلوا الحارة ، لم تشت منهم امرأة واحدة ، لم تناد أم سهير التي تعودت أن توقف كل بائع وتساله بصوت عال عما يبيعه مع أن صوته بح من وصف ما يعرضه ثم تجادل فى الأسعار ، معظم الأحيان لا تشتري ، لهذا يتجاهلها كثيرون ، ليس بمعنى عدم ردهم على نداءاتها أبداً فهم لا يجربون ، ربما اعترضت طريق من يضايقها بجرذل ماء قدر ، لكنهم يجيبونها بدون حماس ، ويتخذون المناقشة معها وسيلة لإعلان الأسعار على النساء الأخرى ، لم تظل أم سهير مع أن نوافذ بيتها ظلت مفتوحة ، أدشش هذا أحد عشر بائعا بيانهم كالآتى :

• ثلاثة ، أولهم اسمه البيومى من بولاق الدكرور ، الثانى اسمه عبد الهادى من العطوف ، الثالث صعيدى اسمه ونيس ، كلهم باعة خضار .

• بائع قماش متجول اسمه هر يدى ، يسكن الحمزاوى الكبير ، يحمل لفات قماش باتستا وكستور وبيكا ، يبرز من تحت أبطه متر خشبى يقيس به .

• فسدق بائع البطاطا ، يرى دائما بجارة درب الفراخه أول الليل نائما فوق عربته .

• امرأة تبيع اللبن الرائب ، تحمله فى قربة موضوعة فى قفة فوق رأسها ، ممشوقة القوام ، صوتها حلو ، تأتي مشيا من نواحي شبرا الخيمة ، لا يعرف اسمها .

• بائع غزل بنات ، لم يبيع بتعريفه واحدة فى الزعفرانى نظرا لغياب الأطفال .

• سمكرى متجول اسمه عم رضوان ، يشاع عنه قضاؤه فترة بمستشفى المجانين ، إذا طلع بيتا ليصلح موقدا ، يجلس فوق البسطة تتحلق حوله النساء ، يرقبته بحذر ، يحاولن استشارته ليقص بعض ما رآه فى المستشفى ، لكنه لا يتكلم كثيرا ، وربما انطلق فى الغناء فجأة ، أو البكاء الحاد ثم يتوقف كما بدأ ، ويقال إن سبب ذهاب عقله حبه لامرأته التى هجرته منذ عشرين عاما ، ومما يتردد أنه فحل مع النساء ، كثيرات أقن معه علاقات جنسية أثناء غياب أزواجهن ، أغراهن على ذلك فحولته ونقص عقله ، إذ من سيطن أن امرأته ترضى لمجنون أبله مثله ، بعضهم يعطينه نقودا ، أو طعاما ، يحكى أنه ثار على امرأة جميلة من حارة الجوانية يتمنى الكثيرون مجرد النظر إليها ، وقف فى الطريق يصيح بأعلى صوته ، يا امرأة أنا نمت معك . يا ..... ، لم يصدقه أحد ، ولا زوجها حتى ، شجع هذا



نساء آخريات ، وقلائل يجزمون بتعقله التام ، و يروى البعض أنهم سمعوه ذات ليلة في حارة الوطاو يط يسخر ممن يظنون جنونه ، والله أعلم ..

يضاف إلى هؤلاء ساعى البريد .

فى الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق عاد أحد الغائبين ، أنه الأسطى رمانة السياسى ، كل ما رآه بدا له جديداً ، تعجب لنسيانه بعض معالم الحارة خلال استعادته لها فى سجنه ، عند مغادرته مبنى هيئة الأمن الأعلى منذ ساعة راح يتخيل استقبال الزعفرانى لعودته ، صياح امرأة « الأسطى رمانة خرج » ، تخرج أم سهير ، تميل بجسدها الضخم من الشرفة ، تزقق .. الله أكبر .. الله أكبر .. جيران العمر سيقدمون مشاعر الأسرة التى يفتقدها ، مضى كل زملائه إلى زوجاتهم ، هو لا يمضى إلى عائلة ، تخيل تتابع الجيران على حجرته ، يقولون « حمد الله على السلامة » . يرد التحية مرتين ، الأولى خفية إذ يهمس قلبه .. أى سلامة ، والثانية منطوقة « الله يسلمكم » ، هل انتقل السكان إلى حارات أخرى ؟ أخبار الزعفرانى لم تصله لعدم وجود من يرأسه ، خلال غيابه يأتى أحد أقاربه إلى الوصول سلام كل شهرين أو ثلاثة ليسدد إيجار الغرفة الزهيد ، فى المرات السابقة ضاع ما استأجره من حجرات وما اشتراه من أثاث قليل ، أقسى ما يواجهه العائد عدم وجود مأوى فى زمن يضيق الناس ببعضهم ، الآن يصعد السلم متمهلاً ، تتباطأ دقات قلبه ، شقة الأسطى على المكوجى مغلقة ، لا يدرى من يسكن الغرفة الواقعة تحت السلم ، الهدوء الثقيل يعيد إليه صمت الزنانات حيث الحبس الانفرادى ، السجن داخل السجن ، حيث تنفى أصوات الدنيا عدا قطار تعود سماعه آخر الليل ، يتردد مرتين ، تمام الثانية يبدو نائياً ، يضيف إلى همه هموما ، فى المرة الثانية يبدو الصوت قريباً ، يسمع صوت العجلات عندما تعبر فواصل ما بين القضبان ، الآن يفتح حجرته ، الغبار والعنكبوت والصدأ وضيق الملابس والجير فوق نافذة الزجاج الوحيدة ، يجلس على حافة السرير ،

يضع يديه متلاصقتين بين ساقيه ، ماذا جرى ؟ يعمق الصمت مع أن الحركة تتزايد عادة فى هذا الوقت ، تعلق أصوات اللعب و يضطر إلى النزول ليطلب من الأولاد الابتعاد بالكرة قليلاً حتى يمكنه النوم . كأن الزعفرانى كلها تشيع جنازة ما ..

الثانية والنصف ارتفع صوت مذياع باللحن المميز ، نشرة أخبار الظهرية ، أول صوت مرتفع يسمع فى الحارة منذ شروق الشمس إذا استثنينا صياح الباعة وضجة الأطفال لحظة خروجهم شبه الجماعى ، بعضهم فضل ركوب المراجيح فى ميدان الحسين ، وشرب العصير من دكان خارالمبو فى العتبة ، وهؤلاء بدأوا العودة حوالى الثالثة ، ميعاد الغداء تقريبا ، حوالى الرابعة خيل إليه انه يسمع زعيقا ، لم يستطع تحديد مصدره ، لا بد أن بعض أهالى الزعفرانى الطيبين انتقلوا إلى أماكن أخرى ، هذا طبيعى ولو أنه يقبض قلبه ، يجسد عزلته ، و يذكره بمضى الزمن وما يصحب انتقاله من تغير الأحوال ، الثبات الذى أوثق أيامه ، جرت خلاله متغيرات عديدة فى حياة الآخرين ، معالم المدينة تبدلت ، رأى نفاً تدور العربات فيه إلى اتجاهات مختلفة ، لون الأوتوبيسات الأحمر لم يألفه ، هدموا المبانى القديمة بميدان الحسين وأقاموا مبانى جديدة ، يتضاءل هذا إلى جانب ما رآه فى الزعفرانى ، الصمت ، ليته جاء من طريق بيت المال ، ومر بمقهى الداطورى ، لكنه آثر الوصول إلى الحارة عن طريق أم الغلام الجانبى ، الرابعة والثلاث سمع صوت الست بثينة والأسطى عبده ، اعتاد الزعفرانيون خناقهم المستمر ، وبرغم تكراره إلا أن مجرد بدئه يدفع النساء إلى النوافذ ، خاصة خديجة الصعيدية التى لا تخرج من بيتها أبداً إلا بصحبة زوجها النجار ، المشاجرات تكسر حدة الرتابة التى تعيشها خاصة وأنها لا تملك جهاز راديو ولا يسمع لها بالذهاب للفرجة على التليفزيون عند الست فريدة امرأة رأس الفجلة ، أول من علققت الاير يال المعدنى فوق شرفتها ، الست خديجة لم تخرج ، لم تطل عند تردد

صوت الست بثينة وهذا عجيب ، ما جرى في شقة الست بثينة عرف فيما بعد ، إذ أن الأسطى عبده توجه إلى امرأته بعد انصرافه من حجرة الشيخ مباشرة ، لم يدع لها فرصة لتغسل وجهها ، ألح في طلبها ، نامت مرفوعة الساقين ، لعل وعسى ، لم يقل لها ما أعلنه الشيخ ، تعجبت ، ماذا جرى له ، منذ أسبوع يفشل يومياً حتى ضاقت به ، لكنه واصل محاولاته ، من يدري ، ربما قصده الشيخ عندما قال إن شخصاً واحداً لديه القدرة في الزعفراني ، وصلت إلى درجة من الإثارة والتوهج وهو غير قادر على إطفاء نارها ، بعد يأسه في الثالثة حكى لها ما جرى ، لم تصدق ، قالت إن هذه حجة يتعلل بها ، منذ الآن لن تستطيع اقتناء رجل في المظهر فقط ، قال إن الأمر لا يخصه بمفرده بل ما جرى له جرى للأهالي كلهم ، لكنته ، تكور مذعورا ، في أسوأ أحواله يعدو أمامها عبر الحجرات ، أو يرد ضرباتها ، مرتين ، عضها في كتفها ورد فيها ، بدا ضئيلاً في عينيها ، أمسكت شبشبها ذا الكعب الخشبي ، استفزتها عيناه المتوسلتان ، تقسو عليه بدافع غامض ، ربما لأنه قلبها طوال اليوم كالسمكة ولا فائدة ، يرفع يديه محتماً كطفل ، يعلو صراخه قبل أن تلمسه ، فجأة ترمى الشبشب ، تتجه إلى البلكونة ، لم يتوقف عن الصياح ، تعلن أن بعض أولاد الحرام الذين آوتهم الزعفراني سنين طويلة يتسبون الآن في إيذاء الخلق ، لن تسكت على ما حدث ، إذا ظن البعض أن أعمالهم لا يمكن قهرها فهناك من لديهم أعمال أخطر ، هانت الزعفراني طالما عبث بها من لا أهل لهم ولا فصل .

يصغى الأسطى رمانة السياسي بدهشة ، ماذا يجري ، يطل من النافذة الضيقة في نفس اللحظات التي توقفت بثينة خلالها لترى أثر ما صاحت به ، لم يخرج أحد ليسمعها ، تلمح رمانة ، تتوجه إليه بالحديث ، قالت إن الحارة خلت من الرجال وجميع ما جرى وما سيجري لهم يستحقونه لأنهم فقدوا رجولتهم منذ زمن ، ماذا يجري ؟ عاد إلى داخل غرفته ، لا يود إطالة النظر إلى أي امرأة حتى

لا يتقول عليه أحد . ينظر إلى العروق الخشبية التي تصلب السوق المرتفع ، بثينة تعرفه تماماً ، لم تقل له كلمة . لم تهنه ، يتسم بسخرية ، يصغى إلى قولها « خلت الحارة من الرجال » .

حوالي الخامسة توجه التكرلي إلى عاطف ، لم يعرف ما دار في المقابلة لكن شوهده التكرلي قبل المغرب يتحدث إلى طاحون قال إنه في سبيل اتخاذ اجراءات مضادة بواسطة معارفه ، تمنى طاحون له التوفيق ، بدا متحفظاً ، غير راغب في الحديث بعكس التكرلي الذي لم يخف ضيقه .

المغرب ، يعلو ضجيج الأطفال ، تخلو الشرفات من النساء ، أم سهير التي اعتادت قص النوادر والحكايات لم تظهر ، عاطف لم يخرج في مياعده لليوم الثالث على التوالي ، لم تفتح نوافذ حسن أنور . تحت بيت الست بثينة ، خرجت لطيفة العجوز ، جلست في مواجهة زوجها البنان ، انه عامل قديم في طاحونة بن ، موضوع حديثها واحد ، ابنها إسماعيل المسافر منذ سنوات بعيدة ، آخر خطاب وصلها منذ خمسة شهور ، أخبرها بعبوره ميناء الاسكندرية ، لم يستطع مغادرة المركب ، مع الخطاب أرسل عشرين جنيناً ، زغردت وتناقلت الزعفراني الخبر من الشرفات وفي أحاديث العشاء الليلية بين النساء وأزواجهن ، الآن تتحدث لطيفة العجوز عن رغبات ابنها ، حبه للشاي المحلى بقطع سكر الماكينة ، لا يحب السكر الناعم ، شربه الشاي مرتين في اليوم ، مرة يغمس فيه خبز الصباح ، ومرة بعد قيامه من النوم قبل المغيب ، حتى الآن تعد أكواب الشاي في نفس الميعاد ، تحتفظ بموضع نومه حالياً ، تسوى الفراش صباح كل يوم كأن اسماعيل تقلب فيه ليلة كاملة ، منذ شهور جاء أحد أقاربها من البلدة ، اقترح البنان أن ينام معها فهو كبير السن والفنادق المحيطة بالحسين مرهقة ، رفضت ، نوم شخص آخر في مكان اسماعيل فأل سبيء ، اضطر إلى دفع أجرة البيت للرجل مما أرهقه مالياً يومين متتاليين ، إنها يتخيلان اسماعيل داخلاً ، تصحو

الأم على ما يشبه الطرقات ، ينتفض قلبها كحمامة مذبوحة ، تصرخ .. من ..  
اسماعيل ؟ خيبة تضغط رأسها بين كتفيها إذ تكتشف أن الطرقات نتاج مؤثر  
بعيد ، الآن يجلسان متواجهين ، لا يدريان ما يجري في الحارة ، مشدودان إلى  
اسماعيل ، ربما يمر بأخر الدنيا الآن ، ربما يعبر الطرقات أمام فرن الحاج صنيبر  
متجهاً إليهما ، إذ يكتمل الليل يدخلان ، يواصلان انتظارهما .

يردد عزف « قانون » متصل مصدره بيت قرقر ، يتقطع ، يختفى ، يبكي  
طفل ، يرتفع صوت ينهره ، يصيح صوت « يارب » ، يبدو أن الصول سلام  
وامراته خرجا ولم يرجعا طوال اليوم لأن الأسطى رمانة لم يجدهما عندما نزل السلم  
وطرق بابها ، رأى رجلا يرتدى جلباباً بلدياً ، يجلس القرفصاء ، أمام الحجرة  
الواقعة تحت السلم ، رفع يده محيياً ، « أنا محسوبك عويس الفران » ، سأل  
الأسطى عن الصول وامراته ، قال عويس إنه لم يرهما لكن يبدو إنهما في  
حجرتها ، قال الأسطى إنه طرق الباب كثيراً ولم يفتح أحد ، ضحك عويس ، إن  
الصول عجوز جداً وأحواله منتهية قبل الطلسم فلماذا يغلق الباب ؟ تساءل  
الأسطى رمانة ، أى طلسم ؟ قال عويس إن الحارة كلها تعرف ، لا بد أن  
الأسطى عائد من سفر ، قال رمانة إنه فعلاً راجع من غيبة تشبه السفر ، تساءل  
عويس ألم يأت إلى الحارة إلا في هذا اليوم ؟ تساءل الأسطى عما يحدث ؟  
ليست هذه الزعفرانى كما يعرفها ، بدا عويس جامد الوجه ، ربما يغضب الشيخ لو  
علم بثرثرتة ، يمكن لأى زعفرانى أن يحكى ما يشاء ، لكن الأمر يختلف بالنسبة  
إليه ، هو من وقع اختيار الشيخ عطية لينقل عنه ، آماله تعاوده ، ربما ساعده  
الشيخ فى الحصول على عربة يد ، رمانة حائر لصمت عويس المفاجىء ، ما لكل  
شئ ، يبدو غريباً ، ما هذا الطلسم ؟ لحظة خروجة من البيت لمح طاحون  
أفندى ، يعرفه جيداً ، كثيراً ما وقف معه وأبدى رأيه فى الشيوعية والاشتراكية ،  
تحدث عن طريق وضعه للوصول إلى الاشتراكية الشاملة ، إنه يرى ضرورة

تكاتف آلاف من البشر ، الفقراء ، المطحونين ، يعملون فى سرية تامه ، يبدأون  
حفر شبكة ضخمة من الأنفاق المتصلة ببعضها عن طريق أنفاق أخرى ، يأوون  
إليها أثناء النهار ، يخرجون فى الليل ، يسطون على القصور ، البنوك ، مخزنون ما  
يستولون عليه فى مكان قصى بالأنفاق ، حتى يصل الأغنياء إلى درجة بالغة من  
الفقر بعد سلب ثروتهم رويداً ، رويداً ، عندئذ تبدأ الجهود لضخمهم إلى أهالى  
الانفاق ، وعندما يتم السيطرة على ثروات الأرض كلها يقفزون إلى النور ،  
يشيدون عالماً خالياً من الفقر ، من المرض ، قال طاحون أفندى إن خلاصة من  
رجال أشداء ستقوم الدعوة على أكتافهم وهم سيشفون على توزيع الثروات ،  
ستلغى النقود ، توضع نماذج منها فى المتاحف ، المال أساس الشر ، ثم إنه يعكس  
الغيباء الإنسانى ، فثمة ورقة مالية قيمتها عشرة قروش لا تكفى لشراء علبه  
سجائر ، وثمة ورقة أخرى من نفس الحجم ، لكن قيمتها مائة جنية ، أو ألف  
دولار ، أو عشرة آلاف فرنك ، ربما اشترت سيارة كاملة ، سينتهى عصر الأوراق  
الرمزية هذه مع تحقق الاشتراكية الشاملة ، كل إنسان سيعمل يقدم إليه الطعام  
والشراب ، وقال إنه أعد خططاً تفصيلية وكتيبات صغيرة تشرح نظرية الأنفاق  
ومسار العمل ، إن عمله كسائق فى السكك الحديدية يمكنه من نشر الدعوة ،  
حالياً لا يسبح بأفكاره إلا لأقرب الناس إليه والأسطى رمانة قريب منه لأنه  
صاحب فكر ، يختلف معه لكنه يحترمه ، ولكى يبرهن على ما يقول ذكر عدداً  
من أسماء الكتب ، بعضها لماركس ولينين ، وذكر اسم روزالو كسمبرج ،  
صممت بعد نطقه ، كأن معرفته للاسم يعنى قمة التعمق فى مذهب الأسطى  
رمانة .

عيننا رمانة تلتقيان بعينى طاحون أفندى ، لم يتوقف ، لم يتهلل وجهه ،  
تعبير وجهه أقرب إلى الذعر ، يدخل بيته كمن يهرب ، يدهش الأسطى ، هل غير  
الحبس من هيئته ؟ يلمع بلاط الحارة تحت ضوء الفانوس ، قشر كوسة و بطاطس  
وأوراق ممزقة أمام بيت أم صبرى ، يتجه بخطى بطيئة إلى مقهى الداطورى ،



يجلس المعلم هادئاً ، اعتاد رؤيته صامتا ، إذا تحدث يشير إلى العمارة التي ينوي بناءها فوق أرض لم يشتترها ولم يخترها بعد ، سنوات طويلة يتحدث عن هذه العمارة ، لدرجة أن بعض الزبائن عرضوا عليه نقودا كعربون خلو ، أطالوا الرجاء ليقتبل منهم ، لكنه هز رأسه متمهلا ، كل ما سياتخذ شهرًا إيجارًا وآخر تأمين ، يعرف اضطراب البعض إلى بيع أثاث بيوتهم لتدبير المبالغ اللازمة للخلو ، حاول البعض الارتباط معه بكلمة شرف ، رفض ، قرر دراسة جميع الحالات المتقدمة إليه للسكنى في عمارته ، ليس معقولا أن تتقدم إليه عروس تعيش بعيدا عن عريستها ولا يمنحها سكنا ، سرى همس بأن المعلم لن يقبل إلا العرائس لكنه نفى ذلك .

يتقدم الأسطى رمانة ، لا يرحب به أحد ، لا ينتبه إليه أحد ، لا يشعر بوحشة قدر شعوره بدهشة ، عادة يرحب الزعفرانيون به ، لا يهابون السلام عليه ، يمثل قمة « الجدعنة » في نظرهم ، يتحدث الحكومة ، يدخل السجن ، ماذا جرى لهم ؟ لا يدري ، ها هو ذا الأسطى على المكوجى الساكن فى الطابق الأسفل مباشرة ، يقول إن الطلسم أعد فى الهند ، مثل هذه الطلسم القوية لا تعد إلا فى الهند ، منذ شهر رأى ثلاثة هنود يدخلون الزعفرانى بعد إنهاء الشيخ لاحتجابه ، يتساءل أحد الجالسين عن حقيقة شخص لم يفقد القدرة ، يتساءل الأسطى رمانة عما يجرى ، عن حقيقة الموضوع ؟ ينتبه الداطورى إليه مما يجعله يرفع صوته قليلا لكنه يعد زعيقا بالنسبة لطر يقته فى الحديث .

من .. الأسطى رمانة .. ألف حمد الله على السلامة .

يتعانقان ، يصافحه الأسطى على مرحبا ، يتساءل أحد الشبان الغرباء ، يقول الأسطى على إن رمانة انقطع زمنا يوازى المدة التي تستغرقها المسافة إلى الهند ، يقول الشاب إن الإنسان يذهب إلى الهند و يعود منها فى أربعة أيام لكن

رمانة غاب أربع سنوات ، يقول الأسطى على إن الهند أبعد مما يتصور الخلق ، يضحك الشاب ، الأسطى يعيد الأشياء كلها إلى الهند ، يقول الأسطى على إنه لولا اسرار الهند لما حدث ما حدث فى الزعفرانى ، قلب رمانة مقبوض الآن ، ربما لأن هذا ميعاد مجيء العساكر ، التمام اليومى ، يولجون مفاتيحهم فى الاقفال الضخمة ، تبقى الأبواب مغلقة حتى الصباح ، ومع أن باب الزنزانة يؤدي إلى العنبر حيث الأبواب أضخم ، فإنهم يتحدثون إلى الجنود و يقدمون إليهم السجائر ليسيقوا الزنازين مفتوحة ولولدقائق ، الحاضرون يرمقون الأسطى رمانة ، يهز الداطورى مبسم الشيشة فى يده ، يقول « ألم تستطع السفر والابتعاد .. لماذا جئت إلى الزعفرانى » ؟

### التكرلى :

صباح السبت قال لامراته إنه سيذهب إلى رشدى بك القانونى ليستشيريه ، رفعت حاجبها ، بدت شفافة الحسن ، هكذا تبدو بعد استيقاظها ، لوراها أحد معارفه لما تأخر عن دفع كافة ما يطلبه منه ، حاولت اكرام تذكر صاحب الاسم ، إنه رشدى بك الذى انقطع عن زيارتها لسفاره إلى أوروبا . عاد منذ شهر واتصل به مستفسرا عن « التفاحة » لكنه لم يخبرها فى الوقت نفسه ، تعض شفتها السفلى الممتلئة بالحمرة ، يتسم التكرلى ، قال إنه سيدكرها ، تدريجيا يتحول صوته إلى همس ناعم يقول إنه الرجل القصير البدين الذى اكتفى بالنظر إلى جسدها العازى ، ثم انزوى فى ركن السرير باكيا ، مطلقا حشرجات وأنات تم عن حسرة شديدة .

تطرق اكرام ، تغمض عينيها ، نخجل يكسو وجهها ، يقترب منها حتى يوشك فيه على ملامسة حافة أذنها ، أى متعة يلقاها فى قص التفاصيل ؟ يبدأ هادئا ، يرتعش صوته ، تجتاح جسده اختلاجات سريرة ، بينما يتسرب صوته

التناعم إلى عروقها ، أحياناً يعرض على بعض عملائه أن يرى جزءاً من  
المضاجعة ، في العادة يدخل حجرة النوم وحيداً ، تجلس نادية مع الزبون في  
صالة البيت ، يشربان كنوساً من زجاجة خمر يحضرها معه العميل عادة ، بينما  
التكرلى يكنس الغرفة ، يغير ملاءة السرير ، لا يدع أى تجعيدات صغيرة ، يضىء  
المسبة الوردية المجاورة للسرير ، يرتعش عندما يتصور ما سيجرى بعد لحظات ،  
ينظر حوله ، يصيح منادياً ، يمدد اكرام بنفسه ، يخلع ثيابها ، قطعة ، قطعة ، بعض  
الزبائن يفضلون خلع الملابس بأنفسهم ، الالتصاق بجسد اكرام قبل خلعها  
القميص الداخلى التناعم ، موظف كبير أمر بارتدائها الملابس من جديد عندما  
رآها عارية تماماً ، لو سمح للتكرلى بالمشاهدة فانه يجلس على كرسى  
منخفض ، يبسط يديه على ركبتيه ، يتبلل جبينه ، يعرق ، يتابع اختلاجاتها ،  
يضغط أسنانه إذ تغمض عينيها ، يقوم خارجاً وبه دوار ، يثيره للغاية مرآى أصابع  
قدميها عندما تنقلص من المتعة ، الآن يحاول التكرلى استعادة ما قام به رشدى  
بك . اكتفاؤه بالمرور على حلمة الثدي بلسانه ، كافة التفاصيل التى جرت فى  
المرات الثلاث الأخيرة واضحة فى ذهنه الآن ، لكن المتعة فى قصها تفارقه ، لا  
تزال اكرام مغمضة العينين ، عادة تصفى إليه هكذا ، يثيرها بطريقته فى الهمس  
إثارة لا تجدها مع هؤلاء الرجال ، فى لحظات همسه تنسى الحارة والنساء . ذهابها  
مع التكرلى إلى بعض معارفهم الذين لا تسمح مراكزهم بالحضور إلى  
الزعفرانى ، تنسى مضايقات بعض مشايخ العرب العجائز . شخص واحد لا  
يذكره التكرلى ، إنه نبيل الطالب الجامعى الذى جاء منذ عام تقريباً ودفع جنيتها  
واحداً مما أغضب التكرلى . لم يأت به أبداً . لكنه زارها كثيراً فيما بعد أثناء  
غيابه . تفتح عينيها متمهلة ، شىء غامض يرجف صوته ، ماذا به ؟ عقدت يديها  
أمام صدرها ، طوال عمرها معه لم تخرجه بكلمة . حتى فى شهور زواجهما الأولى  
وعذابه الليلي ، هل فقد قدرته على الكلام أيضاً ؟ يقوم فجأة معلناً ضرورة اتخاذ  
أشد الإجراءات ضد الشيخ عطية . سيقلب الدنيا عليه ، تحدث إلى رأس الفجلة

وعاطف الجامعى وطاحون والأسطى على المكوجى ، نظر إليها معتذراً ، الظروف  
تجبره على تجميع الجهود كلها ، ونزوله إلى حديث من ترفع عنهم طويلاً يجعلهم  
أكثر جرأة فى التحرك معه ، إنه مستفز الآن ، اصطحابه لأحد الزبائن فيه  
مخاطرة ، والطلسم يلحق كل من يطأ الزعفرانى ، تكرار الأمر يهدد بفضيحة ،  
مجيء شخص كرشدى بك يخلو من المخاطرة لا كتفائه بمتعة اللمس ، لكن أمثاله  
قله ، اكرام تخشى أمراً واحداً ، مجيء نبيل ، ليس خوفاً من التكرلى ، لا يطبق  
رؤيته ، عندما تحدثت عنه زعق مطالباً بعدم ذكرها لهذا التلميذ ، احتضنها  
هامساً إنه يغار عليها ، غمرتها دهشة لم تفصح عنها ، يأتى إليها كل ليلة بخمسة أو  
سبعة فى بعض الأحيان ، منهم عشاق حقيقيون ، يأتون إليها بهدايا ، يكتبون  
الخطابات ، يمسكون بيدها ، يضغطونها فى وجد ، ولا يطبق سماع اسم نبيل ؟  
منذ أن رآه مرة داخله إحساس غريب ، رأى ثمة شبهة خفية بين امرأته ونبيل ،  
كأنه شقيقها ، طريقة همسة لها أربعته ، نظراتها إليه ، إنها تخشى مجيء نبيل  
الآن ، عرفت آثار الطلسم بنفسها ، عجز فحول بين احضانها خبرتهم منذ  
سنوات ، عجز غامض ، يقيم سداً بين جسدين أو شكاً على اتحاد ، التكرلى لا  
يستوضحها الآن عما تفكر فيه ، اعتاد صمتها الطويل ، ثبات عينيها مدة من الزمن  
على نقطة ما فى الحجرة ، الآن تقرر المخاطرة ، ستذهب إليه ، يقيم فى المدينة  
الجامعية ، أى مبنى ؟ أى حجرة ؟ هذا ما تجهله ، لن تياس من العثور عليه ،  
ستقول إنها شقيقته من البلدة ، لا بد أن تمنعه من الحضور ، التكرلى يقبلها  
الآن ، تقوم لتودعه ، منذ عامين تصادف نزول أو سهر من فوق السطح تحمل  
سجادة قديمة نشرتها ليلة كاملة فى الهواء ، رأتها ، صاحت « يا صباح الجمال  
والهنا والفعل المندى على العرائس » ، أبدت اكرام خجلاً مصحوباً باحمرار  
الوجنات ، فى نفس اليوم قامت أم سهر بعدة زيارات لتقول إنها رأت بعينيها  
التكرلى يقبل امرأته ، علقت الست بثينة قائلة ، هذه عادات الذوات ، أما  
فردة فعامت فى عينيها نظرة حاملة ، قالت إنها مناسبات لبعضها تماماً ، أشارت

الست بثينة إلى بعض أقاربها الأغنياء ساكنى القصور الفاخرة بالزمالك ، أثناء إحدى زيارتها لهم فوجئت بشاب من أقاربها يقبلها ، قبلة خفيفة لم تترك أثرا ، اضطربت ، كيف تصرف ؟ لكن الشاب ابتعد وكأن شيئا لم يحدث ، فيما بعد قالت أم سهير لفريدة إن ما روته بثينة كذب ، لا بد أن هذا الشاب أحد العيال الضائعين الذين تبقوا من ميراث علاقاتها القديمة برواد المراقص والكباريات وقت عملها راقصة ، أما الست خديجة الصعيدية فقالت إن زوجها لم يقبلها أبداً ، يحدث أحيانا أن يقرب فه من وجنتها ويمد شفثيه إلى الأمام محدثا صوتا شبيها بالطرقة مستخدما لسانه وليس شفثيه فهل هى القبلة ؟

يدرك التكرلى ضرورة التزام الحذر ، كل من فى الزعفرانى عنده بلواه ، لكن العيون ستستع أكثر ، يكفى أن يطلع الزعفرانيون على جانب من حياته ليلوكونا سيرته عشر سنوات كاملة ، يتوقف فجأة عند مدخل البيت ، عويس الفران يجيء من ناحية بيت الشيخ يقف فى منتصف الحارة تماما ، يباعد ما بين ساقيه ، يضع يديه كالقوق أمامه . .

يا أهالى الزعفرانى ..

يا أهالى الزعفرانى ..

**الداطورى :**

ما قاله عويس لم يتردد بين الزعفرانيين فقط ، إنما تداوله رواد مقهى الداطورى ، بل إن مضمون النداء نوقش فى مقاه أخرى بنفس المنطقة كمقهى السلام ، ومقهى صالح صفيحة ، ومقهى عمر برواز ، والأخير بعيد نسبيا عن الزعفرانى ، وهذا يدل على إتساع الموضوع ، فى نهاية الليل سمع عن شاب من سكان بيت القاضى يدرس بكلية الاداب ، قسم الصحافة الحرة ، أبدى اهتماما

وقال إنه سيعرض الأمر على رئيس تحرير الجريدة التى يتمرن بها لأن الموضوع « خبطة » ، بعض رواد مقهى الداطورى ناقشوا ما سمعوا عنه بسخرية ، لكن ما أذاعه عويس حد قليلا من الجو الساخر ، دب ذعر حقيقى بين الرجال الساكنين فى الحوارى المجاورة ، المعلم الداطورى لا يجيب على أى تساؤل ، إنه جامد الوجه الآن ، لا يبدو عليه أى انفعال ، لكنه مصغ تماما إلى ما يقال ، كثيرا ما أصغى إلى أحاديث تدور بين الزبائن العابرين أو كما يعرفون بين أصحاب المقاهى بالزبائن « النقالى » ، ربما يبدأ الاصغاء من منتصف الحديث ، يظل جامد الملامح ، يعمل فكره بسرعة محاولا ربط أوصال الكلام ، سمعه حاد بحيث لو أراد الاصغاء إلى حوار بين اثنين فى قلب الضجة لما فاته حرف ، مرة جاء الحاج عبد المؤمن السحاس وهو من أحباب الحسين ، اشترى من الجهاز سماعة طيبة مخفأة بمهارة فى ذراع نظارته الطبية ، لا يتدلى منها سلك ، أبدى الداطورى اهتماما ، وجه عدة أسئلة ، استفسر عن إمكانية التركيز على صوت معين من بين عدة أصوات ، قال الحاج إن هذا لا يمكن فالسماعة تكبر له الأصوات مرة واحدة بدون تمييز هذا أو ذاك ، انتهى حماس الداطورى وهو يحمد الله على نعمتى السمع والبصر ، الآن يسمع أقوال عويس مروية بالسنة أغراب ، بعضهم يتساءل عن شخصية عويس ، يقول آخر إنه ضائع بلا أهل ، خالفه آخر قائلا إن الشيخ يعده منذ زمن بعيد لهذه المهمة ، تساءل رجل معهم ، هل يحفظ هذا الأسمى ما يقوله الشيخ ؟ أكد شاب إن أحسن من يعى ما يروى له هو الأسمى لحدة ذاكرته ،

والدليل هؤلاء الفلاحون الذين يجرون أدق الحسابات على أصابعهم ولا يخطئون ، نفخ الداطورى دخانا كثيفا ، ضيق يحل به ، حارته التى عاش عمره بها ، التى ولد بها ، التى يجبها ، التى يقول عنها إن كل بلاطة وحجر فيها أخذ من جسمه قطعة ومن عمره مقدارا ، الحارة التى يشعر بالغيرة عليها بمجرد دخول ساكن مزعج ، أو مرور بائع قليل الحياء ، يشير إلى تراب الزعفرانى قائلا إنه فيتامين يغذى دمه ، لن يفارقها أبدا ، هل ذهبت أيام الزعفرانى الحلوة ؟ ذهب الرجال



جماعة لصلاة الفجر في الحسين ، سهراتهم الليلية ، باللحسرة ، الزعفرانى مضغة فى أفواه الناس ، زبائن مقهاه والمقاهى الأخرى ، ربما تخوض الصحف فى الأمر ، ربما تناقل العالم ما يجرى ، تتعزى الزعفرانى ، يضع السر ، يقول زبون إن الشيخ سوف يكشف فضائح فظيعة تمس بعض الذين تحركوا ضده ، يتساءل آخر ، هل يصله ما يجرى بين الناس ؟ يضحك جندى بوليس معلنا انتظاره لتلك الفضائح ، يسكت فجأة ، من يدري ، ربما مس الطلسم من يسخرون أو يتقولون على الشيخ ، ثمة موضوع آخر لفت انتباه المقهى ، أثر بين جميع من خاضوا فيما جرى ، إنه التنبيه الغريب الذى كرهه عويس سبع مرات ، وهو ضرورة التزام الزعفرانيين بالنظام الجديد الخاص بنومهم فى الثامنة مساء وعدم مغادرة الحارة إلا بعد الساعة صباحا ، إن ثقلا يهبط متمهلا داخل الداطورى ، مالا يعلمه الزبائن والأغرب أن خيرة الأهالى ذهبوا إلى عويس الفران حوالى الرابعة بعد الظهر ، رجوه أن يطلب من الشيخ العدول عن هذا القرار ، ستتعطل مصالحهم ، طاحون يقود قطار الصعيد الليلي منذ عشرين عاما ، يستلزم هذا مغادرة الحارة فى الثامنة ونصف وعدم التزامه بالتعليمات يودى إلى قطع عيشه ، أما حسن أفندى فتمنى استثناء ولديه حسان وسهير لسهر كل منها حتى ساعة متأخرة وعندما يبلغ مولاها الشيخ عطية ، جدما واجتهادها سياركها و يسمح لها بالسهر ، بالنسبة له شخصيا ولامرأته فيلتزمان بتنفيذ كل حرف قاله مولاها ، وتمنى الأسطى عبده استثناء امرأته لتعودها السهر ، وهو يضطر إلى التأخير بسبب عمله سائقا على التاكسى بعد انتهائه من عمله الرسمى بمؤسسة النقل العام ، وشرح على المكوجى حاله مشيرا إلى الزبائن الذين يطالبون باستلام ملابسهم فى نفس الليلة لذهابهم إلى أعمالهم مبكرين ، ولقلة ما يملكونه من ثياب ، قال إنه لن يسترىح حقيقة إلا إذا هاجر إلى الهند لكن حتى يتم ذلك يرجو استثناءه ، أصغى عويس متأدبا ، وعدهم بنقل ما قالوه بأمانة ، يبدو أن طاحون لم يثق تماما فى قدرة عويس على نقل الكلام ، طلب منه إعادته ، هنا أكد عويس بجفاء إنه لن

يغفل كلمة واحدة ، ترددوا قليلا ثم تراجعوا عن حجرته ، عند الباب صادفوا رمانة السياسى ، قال الأسطى عبده ، ليتك بقيت فى السجن ، رد رمانة إنه لا يصدق ما قيل ، وهذا عبث مؤكد من مخرف يحاول فرض إرادته على الزعفرانى بالنصب ، هنا أمتدت يد حسن أنور ، غمز بعينيه فى اتجاه غرفة عويس .. لا داعى .. لا داعى ، بأسى يستعيد الداطورى ما جرى ، يصغى إلى ما يقال حوله ، هل هانت الزعفرانى إلى هذا الحد ؟

### رأس الفجلة :

قال إنه نسى نفسه فى المخزن ، طلب من عويس إبلاغ الشيخ ندمه بسبب تأخره عن الميعاد المحدد لتواجد الأهالى فى بيوتهم ، وعد بالتزامه منذ الغد ، سيفلق أبواب دكانه مبكرا برغم ما يسببه هذا من خسائر مادية لفقده زبائن آخر الليل ، كثير من أرباب الأسرىمرون عليه أثناء عودتهم من أعمالهم ويشترون عشاء لأطفالهم جينا وحلاوة طحينية أو بيضا وبسطرمة ، من ملامح الأب يمكن له أن يعرف أحواله المادية وكم تبقى فى جيبه ، تلك النظرات المرتعشة الزائفة إلى البضاعة ، أى طعام يأخذ وأى نوع يستغنى عنه ؟ الآن ترمق فريدة صينية البسبوسة التى يحضرها معه لأول مرة منذ وقت طويل ، تتساءل ، هل هذه بسبب تعليمات الشيخ أيضاً ، قال إنه اشتراها من الحضرى ، الحلوانى المشهور الذى يستخدم السمن البلدى الحقيقى ، يحشو البقلاوة والكنافة بالبندق واللوز ، تحمل الصينية فوق أصابع يدها المضمومة ، تميلها شمالا ويمينا ، تستفسر عن سبب غيبته بالمخزن ، يقول باختصار إنه قلب بعض الأشياء ، لم تصر على معرفة ما فعله بالمخزن ، توقن بعدم جدوى الإجابة ، سألته كثيراً عن محتويات المخزن ، راوغها ، كل ما يشتريه من المزايدات يذهب به مباشرة إلى المخزن ، مرة واحدة فقط بعد ولادة ابنتها نشوى بشهور عاد متأخراً فى إحدى الليالى يحمل مجموعة صور ، تذكر عينيه المتعبتين ، وضع الصورة فوق السجادة ، لاحظت غبارا كثيفا يغطيها ،

طلبت نقلها إلى الصالة حتى لا تتسخ المفروشات ، خرج تتبعه فريده ، فك حزاما جلديا يربط الصور ، لم يتناول الشاي ، لم يغسل وجهه ، تناول الاطارات واحداً ، واحداً ، بكم جلبابه يمسح الغبار العالق بالزجاج ، تذكر بعضها ، مناظر ملتقطة لميناء بحري صغير ترسوبه مجموعة سفن طوت أشرعتها ، شارع ضيق يلعب المطر فوق أرضه ، ما توقف أمامه طويلا صورة امرأة مستديرة الوجه واسعة العينين ، ابتسامة خفيفة تعلق بشفتيها ، خلفها رجل كثيف الشارب ، أصابع يده محيطة بكتفها الأيسر ، وجهها شبيه بوجه الممثلات اللواتي رأتهن في أفلام محمد عبد الوهاب القديمة ، أما الرجل فلم تدر ، أهو مصري أم أجنبي ؟ ، مصمص رأس الفجلة بشفتيه ، عرض الصورة ، مر بأصابعه على توقيع سريع مطبوع أسفلها ، أبدى أسى ، سألته ، هل يعرفها ؟ قال إنه لا يدري ملتها والصورة عمرها عشرات السنين ولا بد أنها عظام نخرة الآن ، فجأة انحنى ممسكا بالصورة . قال إنها عروسان ، رأت مجموعة من ورود بيضاء تلاصق صدر المرأة ، لاحظت قفازا أبيض طويلا منحرفا يغطي يديها ، عند مفرق صدرها فوق الفستان بروش دقيق البصنع ، يومها تأملت رأس الفجلة ، ودت لوجرت وأحضرت دلوا مملوءا بالماء لتسكبه فوق هذه الصور ، لكن الاهتمام الشديد بما بين يديه والذي لا يقل عن اهتمامه بالنقود التي يسكبها في طشت الغسيل ثم يعاود رصها من جديد أوقفها عن العبث ، انصرفت ، قامت ، استيقظت بعد فترة لم تجده بجوارها ، الصالة مضاءة ، رأس الفجلة يجلس في الركن القصى واضعا صورة الرجل والمرأة في مواجهته ، تابعتة دقائق ، قام ، وضع الصورة مكان جلوسه ، انتقل إلى الطرف الآخر ، لوح ببيدها ساخطة ، عادت إلى فراشها ، تخيله داخل المخزن يتأمل الأشياء القديمة التي يلتقطها من فوق عربة يد ، أود كان تحف ، أو مزاد ، إن رأس الفجلة يجلس الآن ناظرا إلى الأمام ، يخشى مواجهتها بعينيها ، لو آوى إلى الفراش ربما اضطر إلى المحاولة ، يفكر في الليالي المقبلة ، هل ستتحمل فريده الأمر ؟ خاصة أن ما يفعله الطلسم للنساء غير واضح ، صحيح أن أيا منهن

لوناامت مع أى رجل سيلحقه الطلسم عدا امرأة واحدة ، لكن هل تبقى الرغبة لدى المطلسمات ؟ ماذا يعنى قلق فريده الليلة الماضية وتظاهرها بالنوم ؟ ربما انزلقت إلى أحضان آخر ، قد لا يقدر رجل على الاندفاع بجسمه عبر جسمها ، لكنها ستتعري ، ثمة خاطر غريب يلح عليه الآن . من الرجل الذى سيراه عارية ؟ تتمرغ فى أحضانه ، تعض صدره ، من هو ؟ أين تدب قدماه الآن ؟ ما حجم عضوه ؟ فى طفولته تساءل عن الفتاة التى سيتزوجها ؟ أين هى الآن ؟ ما اسمها ؟ ما هى ملامحها ؟ بعد اقتراحه بفريده يفكر ، أين لعبت نهار الجمعة الذى أتم فيه الثامنة عشرة ولم يكن رآها بعد ؟ أين موقع هذا اليوم بين الأيام ؟ هل هو أربعاء ، أم أحد ، أم ... يثق من تفكيرها الليلة فى أمر محدد . الشخص الذى مازال مكتمل الرجولة بالزعفرانى ؟ بعض الزبائن تحدثوا عن الموضوع ، تشاغل عنهم بأن أعطى ظهره لهم ، راح يتناول بعض المعلبات من فوق الرفوف ، تدفعه فريده فى صدره ، مالك ؟ يبدو فى عينيها أكثر ضآلة من أى ليلة أخرى ، ملموم على نفسه كأنه يخشى مباغثة غامضة ، يشير إلى صينية البسبوسة ، تضم شفتيها ، خيط رفيع من ماء مثلج يسرى فى ظهره ، يودلو يسرع الآن إلى مخزنه ، يضىء النور الداخلى ، يجلس أمام مجموعة الثياب القديمة ، أول الليل قضى وقتا أمام حلة تشريفة سوداء كاملة يتدلى منها سيف قصير ، مقبضه مزركش ، رسم فى ذهنه صورة لهذا الباشا المجهول ، تخيله يقترب من زوجته وقورا وكأنه سيلقى بيانا أمام مجلس الشيوخ ، يخلع الطربوش فيبدو رأسه أصلع ، يفك ازرار البدلة ، يتجرد عاريا ، حاول تخيل نشوة الجنس على وجه الباشا الوقور صاحب هذه الحلقة ، تبدأ فريده عبثها الذى يخشاه ، تدفع أصابعها بين ضلوعه ، عيب يافر يده .. عيب يافر يده ... تكف فجأة ، تجلس مواجهة له ، اتزان مفاجيء يكسو وجهها ، يعذبه صمتها ، تساءل عن أخبار الزعفرانى ؟ لهجته خافتة ، ترى انكساره ، قالت إن عويس زعق معلنا رفض الشيخ لما تقدم به طاحون وحسن أنور والأسطى عبده ، قال إن للزعفرانى قانونا خاصا وناموسا غير كل النواميس ، يبدي رأس

الفجلة اهتماما ، يطالبها بتذكر الأقوال جيدا ، تقول إنها لم تنس حرفا لأنه كرر ثلاث مرات ، الحارة كلها أطلت ، رجالها ، حرمها ، أطفالها ، لم يسمع صراخ ابن يومين فيها عدا عويس ، ذكر اسم التكرلى معلنا نية الشيخ فى كشف سيرته خلال يومين ، أم سهير قالت إن لعنة الشيخ ستلحق التكرلى وامراته بسبب ما جرى ، إذ سرت اشاعات عند الظهر تقول بقدم التكرلى من ناحية ميدان الحسين بصحبة أحد مهندسى مصلحة التنظيم وبعض العمال ، يقصدون البيت رقم ١١ ، بالزعفرانى للكشف عليه ، حيث بلغهم إنه آيل للسقوط وبالتالى لابد من إخلائه ونقل سكانه إلى إحدى المناطق الجديدة كالمطرية أو مدينة نصر .

يقول رأس الفجلة مقاطعا ، إن بركة الشيخ تمنع البيت من الانهيار ، لفظ هذا بصوت عال آملا وصوله بطريقة ما إلى الشيخ ، فى الوقت نفسه يدق قلبه ، تلهف على سماع الأخبار من فريدة متمنيا فى سره نجاح التكرلى .. ، تقول فريدة إن ثلاثة رجال ليسوا من الزعفرانى ظهوروا أمام مقهى الداورى ، قالوا للمهندس والعمال إن أى رجل سيطأ الحارة ستفارقه ذكورته ، لم يبد المهندس اهتماما لمعرفته بحيل أصحاب البيوت ، تلك أحدث حيلة ، أحد الواقفين قال إن أصحاب البيت يقيمون فى مكان بعيد ولا يهمهم البيت فى شىء لأن دخله جنيه واحد ، إيجار غرفة زنوبة المطلقة ، أما حجرة الشيخ فلا يدفع عنها مليا ، برغم هذا أصر المهندس على المضى متشجعا بما يقوله التكرلى عن نصب أصحاب البيوت ، أبدى العمال خوفا ، ذكره أحدهم بما جرى لزميل لهم عند الشروع فى هدم مقام سيدى الحلوجى أثناء توسيع ميدان الحسين ، بمجرد رفع يده بالمعول جمدت ، شلت ، حدث هذا أمام مقام ولى مات منذ زمن ، فن يدرى ماذا سيحدث وهذا الشيخ حى يرزق ؟ أثناء هذا تجمع عدد كبير من المارة ، لا يدرى أحد من أين وصلتهم التفاصيل الدقيقة بما جرى ، ارتبك المهندس ، نظر إلى خاتم الخطبة فى أصبع يده اليمنى ، قال للتكرلى إنه لابد من إخطار الرئاسة

العليا للمصلحة ، ثار التكرلى ، كيف يصدق مهندس تلقى تعليمه فى أوروبا مثل هذه الخرافات ؟ ، قال إن العمال يرفضون ، أخرج التكرلى جنيها لوح به أمامهم لكنهم أشاحوا بوجوههم . صاح أحد المارة فى وجه التكرلى إنه من الحرام دفع هؤلاء الأبرياء ليفقدوا رجولتهم فى الزعفرانى ، سمع صوت عال يقول ، لابد أن الأفندى ليس رجلا ، زعق التكرلى للمهندس مهددا بنقل ما جرى للمدير شخصيا ، لكن المهندس مط شفتيه ، قال إنه سيطلب إرسال شخص آخر ، ثم إن التقارير السابقة لا تذكر أى خلل بالبيت ، وأنه تحرك بناء على تعليمات شخصية من أحد المديرين وهذا يثير الشك ، فى لحظات وجد التكرلى نفسه وحيدا ، حتى المارة ابتعدوا وكأن رؤية زعفرانى واحد كفيلا بافقادهم رجولتهم ، أما الأغراب الثلاثة الذين ظهوروا فى البداية فلم يقف لهم أحد على أثر ، أكد على المكوجى أنهم هنود ، أعلنت أم سهير وضوح كرامة الشيخ ، يهز رأس الفجلة دماغه موافقا ويضم رأسا لفشل التكرلى ، يسأل عن أخبار الحارة الأخرى ؟ تقول فريدة إن بثينة تشاجرت مع الست زنوبة المطلقة لكنها خناقة قصيرة اكتفت خلالها بثينة بوصف زنوبة بالضائعة ، بكت زنوبة بحرقه مما أثار شفقة الناس عليها ، ولم تعرف أسباب الخلاف بعد ، بائع فجل دخل الحارة وعندما قالوا له عن الطلسم خرج يجرى ، حوالى الثالثة ظهر ثلاث نساء يرتدين السواد ، سألن عن شخص اسمه فرج ، لم يدهن أحد ، ساعى البوستة لم يدخل الزعفرانى ، أدى هذا إلى حيرة البنان وامراته ، تساندا ودارا على البيوت ، يسألان ، ألم ير أحد ساعى البريد ؟ قالوا لفريدة إنه يهمل أحيانا فيرمى الرسائل أمام أى بيت معتمدا على معرفة الزعفرانيين لبعضهم ، نفت فريدة استلامها أى خطابات ، نزل البنان يتأبط ذراع امرأته .

تسكت فريدة فجأة ، يود لو عادت إلى الكلام ، إلى عبثها حتى ، يحيره ملاحظتها التى صممت تماما كصور الأشخاص فى مخزنه ، لا يدرى كيف



ستتصرف؟ يأمل في بركة الشيخ ، لا بد أنه سيراعى الذين أطاعوه ولم يعصوه ، سيفضلهم على غيرهم ، لا بد أن يشغل فريدة بأى شيء حتى لا يصيب الكساح نظراته عندما تلتقى بعينها ، يقوم إلى الدولاب الحديدي المحفور في الجدار ، يعالج أقفاله ، يخرج حقيبة سوداء ، على مهل يخرج رزم الأوراق المالية ، من قبل وضع نفس المبلغ في مطروف صغير ، بعد صدور قرار الغاء الأوراق فئة المائة جنيه انتابه غم شديد ، كلفه هذا شراء حقيبة الجلد لتتسع لنفس المبلغ الذى حواه المطروف ، الغريب أنه احتفظ بورقة واحدة فئة المائة جنيه مع وعيه التام بعدم قيمتها ، لديه مجموعات من النقود المستخدمة فى القرن الماضى ، يفك الآن الرزم متمهلاً ، يبلل طرف أصبعه ، يبدأ العد . يعدل وضع ورقة مقلوبة ، يلحظ فريدة بطرف عينيه ، لا تقوم كعادتها ، لم تحظف ورقة مالية ، تحبها فى صدرها ، يجاهد حتى ينتزعها منها ، لو حطفت منه الآن عشر ورقات فلن يحاول استردادها يخطر له أن يعطيها عشرين جنياً . يفضل الانتظار حتى تطلب ، يفتح الباب ، تدخل نشوى ابنته ، يفلق الحقيبة بسرعة ، إنه لا يتبادل العبارات الرقيقة مع ابنتيه ، يوقن أنها لا تحترمانه ، تقترب نشوى ، أن الكثيرين يتنبأون بصعوبة الامتحان وهى ضعيفة فى اللغة الانجليزية ، لهذا ترجو من أمها اعطاءها نقوداً لأن الأستاذ عاكف مدرس اللغة الانجليزية قرر تشكيل مجموعة يدرس لها فى وقت إضافى بعد انتهاء الدروس ، ويمكن أن تأتى أمها بنفسها لتتأكد من مواعيد الدروس ، بالطبع المقصود بهذا رأس الفجلة ، لكن البنين اعتادنا ألا توجهان إليه الحديث ، كل احتياجاتها يطلبانها من أمها فى حضوره ، بسبب هذا ضيقاً له ، أبدى لفريدة لوماً لأنها أوقعت الجفوة بينه وبين البنات ، تحببه عابثة ، تقفز فوق كتفيه ، تداعب رأسه ، إنه ينظر الآن إلى فريدة ، يسألها عما تحتاج إليه هذه الدروس ؟ تقول نشوى مغاطبة أمها ، المجموعة تحتاج خمسة جنيهات شهرياً ، يسحب ورقة مالية من الحقيبة ، يمدها إلى فريدة قائلاً ، هذه عشرة جنيهات لدفع نقود المجموعة ولشراء فساتين بالمقبى ، بأية تناول فريدة النقود ، تعطى لنشوى

التي تقوم ، ربنا يخليكى ياماما ، تقول فريدة إنها ستذهب بنفسها إلى المدرسة لتدفع النقود ، جرت العادة أن تذهب إلى المدرسة لتنتهى كافة ما يتعلق بالبنين ، منذ سنوات عادت نشوى باكية ، قالت إن رأس الفجلة ذهب إلى الناظر وتشاجر بسبب ربع جنيه قيمة طوايح تمغه حصلتها المدرسة وطالب باسترداده ، سخر منها المدرسون أما زميلاتها فعايرنها برأس أبيها ولعابه السائل ، طلبت ألا يحضر مرة أخرى وإلا فلن تذهب ، استجاب إلى فريدة منذ هذا اليوم ، إنه يحتضن حقيقته ، يقول إنه تقدم إلى مصلحة التليفونات لتركيب تليفون ، تبدى فريدة لا مبالاة مع إنها لم تتعود المفاجآت منه ، ومن قبل الحت عليه عندما أدخل حسن أفندى تليفوناً لكنه لم يستجب ، تستمر صامتة ، تبقى صينية البسبوسة فوق المنضدة لم تمس ...

### عويس :

تشك الست بثينة أن عويس الفران هو المستثنى من الطلسمه ، جمعت القرائن ومنها قربه من الشيخ ، وفحولته الواضحة ، قررت محاوله الاتصال به خفية ، إذا فشلت فلن تعبأ لو ذهبت فى عين النهار ، إنتابها ندم لأنها لم تقم معه صلة متينة أثناء تروده على بيتها ليشيل العجين ، تذكر مسرورة اعطاءه رغيفاً وقرشاً . لم تكرمه امرأة مثلها ، خديجة الصعيدية تحصى الأربعة مرات ، أم يوسف كثيراً ما تصيح أن العدد ناقص ، هى لم تضايقه أبداً ، يجب ألا تضيع وقتها قبل أن تسبقها أخرى ، أى منهن لا تجيد ما تتقنه هى ، أذابت عدداً من الرجال بين أحضانها ، ربما يثير زواجها للأسطى عبده تساؤلاً ، كيف يشبعها قصير القامة الذى يمشى مسرعاً وكأنه على وشك تلقي صفة مفاجئة ، لكنهم لا يدرون سره وقدرته على الثبات لمدة ساعتين بين أحضانها ، لم يقصر فى واجبه لكن الطلسم حاله إلى وسادة لا فائدة منها ، يجب ألا يفلت عويس .. نفس الفكرة طافت

بأم يوسف ، حاولت اليوم لفت نظره ، مهدت من قبل عندما اتهمته بقصر النظر  
لاحتضانه كريمة وتسببها فى طرده من القرن ، لم يأت ، لكنها لن تعدم وسيلة ، فى  
الليل ترى صدر عويس العريض من خلال الجلباب البلدى ، نفور عضلاته  
عندما يرفع طاوولات العجين ، يسرى خدر فى أوصالها ، عويس كما هو ، لم  
تنخفض رقبته بين كتفيه كزوجها ، بالعكس تنفر حنجرته قوية إذ ينادى  
الزعفرانى .

الحقيقة أن عويس لم ينتبه إليها ، أو إلى غيرها ، إنه يأوى إلى غرفته ،  
يبقى مفتوح العينين ناظراً إلى السقف المائل الذى يستخدم كسلم البيت ،  
يفاجئه رعب ، يتذكر مجيء صوت الشيخ من كل موضع ، يصدر من أعلى ، من  
اسفل ، من السقف ، من البلاط ، يجد نفسه فى موقف جديد عليه تماماً ، تعود  
أن يرجو الآخرين ، ألا يطلبوا منه ، نفس الشعور الذى راوده عندما خلا إلى  
الأفندية المحترمين ، يضاجعهم ويعاملهم باحترام شديد وعندما طلب أحدهم منه  
أن يضربه ، أن يشتمه ، فعل هذا وهو ينفذ أمراً ، الزعفرانيون يظنونهم مبهتجا بما  
أسند إليه لكنه يخاف ارتباطه به ، لو أخطأ بدون قصد ، أى عقاب سيحل به ؟  
فى صباحه سمع عن شيخ أوتى قدرة على تحويل الإنسان إلى حجر ، أو صورة  
حيوان ، أعتاد البعض ألا يتعرضوا للقطط والكلاب السوداء ، ربما تحوى أرواحا  
آدمية مسخ أصحابها إلى الحيوانات ، يخشى الوقوع فى الخطأ برغم عدم إدراكه  
نوعية الخطأ الذى قد يقع فيه ، يشعر دائماً بأنه مراقب ، حتى أحلامه لا تغيب عن  
الشيخ ، بالأمس رأى فى نومه أنه يتقدم ، ينتزع الستارة ، يميل على عنق الشيخ  
المضغوط بين كتفيه غير أن الوجه غريب الملامح حيث الطفولة والشيخوخة فى  
نفس الوقت يرنون إليه بثبات ساخر ، قام مفزوعاً ، خيل له وجود شخص آخر  
فى الحجر ، سمع أنفاساً ، رأى ظلاً ، كيف يواجه الشيخ بعد الحلم ؟ أيضاً لم  
يعتد البقاء فى مكان واحد ضيق ، فى البلدة ينتقل بين الحقول ، ينام على

ضفاف السرعة ، يخوض فى حقول الذرة ، يرحل إلى الأسواق ، إلى الكفور ،  
يلتقط رزقه من هنا أو هناك ، الآن تبدو قرية بعيدة . طفولته نائية ، تنقله فوق  
أسطح البنيوت المكدسة بالقش والحطب ، صوامع القمح والدوم ، هكذا ينتقل  
نساء القرية حتى لا يظهرن أمام الغرباء فى الطرقات ، جلوسه فوق عجلة  
الساقية يرقب تدفق المياه من القواديس ورائحة الفول الأخضر تملأ أنفه ، فى  
طفولته رأى بئر الساقية عميقة جداً ، عندما كبر جلس فوق العجلة ذاتها ، رأى  
البئر صغيرة جداً ، نفس ما أحسه عندما زار بيت خاله فى الطليحات بعد غيبة  
سنوات ، رأى فنائه ضيقاً ، جدرانته منخفضة ، كل شيء كان يبدو كبيراً ،  
لانهاثيا فى صباحه صفر ، تضاءل ، يتحسر على طفولته حيث الحواجز منفية ،  
دخول أى بيت مباح ، الخطأ لا يلقي حساباً ، أيام بعيدة ضاعت كأغانى الجمالة  
الذين انتظرهم كثيراً فوق الجسر ، ينشدون بأسى ، « يا جاي من المزاتة ، قل لى  
الطريق منين ، أنا بدى أروح مزاتة ، وقرشيني قليلين .. وقرشيني قليلين .. »  
يبدأ غناؤهم فجأة ، ينتهى فجأة ، لا يقدر على متابعتهم جرياً ، حتى مقهى المعلم  
ابن الغيط لا يستطيع الذهاب إليه ، طلب منه الشيخ ألا يغادر الحارة أبداً ، منذ  
أسبوعين ذهب إليه ، رآه شاحباً ، لم يجبه ، أخبره أحد القادمين أن بيت جدته  
نجمة تهدم واشتره أحد البناة انقاضاً ، بكى المعلم دماً ، قال إن صباحه موزع على  
طوب البيت ، أصغى فيه إلى حكايات الجن والعفاريت . قطعة من عمره  
تهدمت ، ابتعد عويس ، لا يعجب من أحوال المعلم الآن ، إنه لا يمتلك بيتاً ولا  
جذع نخلة لكن حنينه إلى البلدة يكويه . ما أبعدا الآن ، يخشى غضب الشيخ  
أكثر من أى زعفرانى ، ربما أخطأ خطأ غير مقصود ، ربما لحقه تحول غامض بسبب  
ما يجرى حوله ، صباح اليوم لحظ عيني أم يوسف ، لولم فيها نفس النظرات أيام  
تردده عليها ليحمل العجين لقادت فيه ناراً كاوية ، ربما يبيت الشيخ فى طريقه  
المغريات ليمتحن صبره واخلاصه ؟ يعاوده أمله فى امتلاك عربية ، ربما كافأه  
الشيخ بواحدة ، يتخيل أياماً حلوة قادمة ، ينطلق عبر الحوارى ، يبيع الدندرة أو

حمص الشام ، يخرج عويس من غرفته الآن ، يحاول اقضاء البلدة والعربة وأم يوسف حتى يصفو ذهنه ليستوعب ما يقوله الشيخ ، الحارة ساكنة طبقاً للتعاليم الجديدة ، لا يمكن لسكانها الاستيقاظ قبل الساعة صباحاً ، يخشى تأخره في النوم ، لوقام بهذه المهمة بعد عمله في الفرن لبدا الأمر سهلاً ، لكن فترة الحمام أبدلت نظامه ، ربما يرقبه بعض الأهالي من خلف النوافذ ، يسمع خطوات خلفه ، إنه الوهم ، لا أحد ، باب الغرفة مفتوح ، يلقى السلام ، يعلو صوت الشيخ كأنه ينبع من داخل أذنيه ، كأنه الهاتف الذي ينادى الإنسان ولا يراه ، يطلب منه الانتباه فما سيقصه طويل .

• • •

« ملف ٣ »

يضم بعض المشاجرات التي وقعت  
بالزعفراني . وأحدانا ، ومذكرات



## المشاجرة الأولى :

حوالى الساعة العاشرة صباحاً توجه التكرلى إلى عويس . بمجرد ظهوره أطل عدد من الأهالى مما سبب له حرجا ، ومن شرقتها أعلنت أم سهير إنها لم ترتع فى أى يوم من الأيام لهذا التكرلى ، زواره أثاروا شكوكها ومما أكدها اقتصار امرأته مع أن النبى أوصى على سابع جار ، منذ سنة طلعت سهير لتقترض منها كوب زيت ، عادت قبل أن تطرق الباب ، قالت إن قلبها انقبض ، سهير بكر طاهرة أحست بالدنس ، لم تلوث يدها بمصافحة العاهرة ، قالت إن مثيلات امرأة التكرلى يبدين الخجل كأنهن لم يبلغن ، لكن يحدث ظهور حركة معينة ربما اهتزازة يد ، رجفة رمش ، عندئذ يبدو العهر كاملا ، حمدت الله لأن التكرلى لم يساعد ابن اختها عندما رجته الحاقه بأحد مراكز التدريب المهنى ، لو كلم أحد معارفه ربما أودى الولد فيما بعد ، الست بثينة تحدثت إلى أم نبيلة فى نفس الموضوع .

يتقدم التكرلى من عويس ، يلوح بأصبعه ، ما قاله اليوم سيحاسب عليه ، يمد يده ممسكا بياقته ، يصيح بعض الأطفال « التكرلى يضرب عويس » ، بعض النساء أرسلن أولادهن لتتبع ما يجرى ، اتقنوا ما عهد إليهم ، وصلوا درجات السلم الأولى بدون أن يلحظهم التكرلى ، إن صياحهم يثير عددا من السكان ، ينزل الصول سلام تتبعه امرأته ، يزعم « قف عندك يا أفندى انت » ، يظل الأسطى رمانة ، يتقدم ليخلص عويس . يعلن الصول سلام أن هذا لا يجوز ، يبلغ وجه التكرلى درجة من الاحمرار يخيل معها للواقفين أنه سينفجر ، يصيح بلهجة اقرب إلى الفصحى متعجبا من دفاعهم عن هذا الضائع مما يشير إلى احتمال تأمرهم معه ، تهتز قامة الصول سلام ، يطلب من التكرلى النظر إلى

الواقف أمامه جيداً ، يزعم بصوت مرتفع يتناقض تماما مع هزاله البادى « هل تعرف إلى من تتكلم ؟ » لم يجب التكرلى ، يعلن سلام أنه جندى قديم من رجال الملك ، هل يعرف التكرلى معنى هذا ؟ يحاول الأسطى رمانة اخفاء ابتسامة بينما تهتز روحه إذ يوشك على سماع أحد ملامح الواقع القديم ، سيتطرق الصول إلى تاريخ خدمته الطويلة بالسراى ، عمله كحرس خاص لاحدى البرنسيسات فترة من الزمن ، ثم استقراره طبياخا بالقصور الملكية ، يسافر مع الملك فى رحلاته الخارجية والداخلية ، يتذوق الطعام قبله .

بعض النساء يصلن ، تشير زنوبة المطلقة إلى عويس « إنه أشرف من هذا » تمد أصبها فى اتجاه التكرلى ، تقول زنوبة إنه لم يقدر على الحمار فجاء يحاسب البردعة ، تضيق امرأة الصول عينها ، لا يصح وصف الشيخ هكذا ، يقاطعها التكرلى قائلا إنه سيرفها حقيقة الساحر اللثيم ، لم يتم كلامه ، الصول وامرأته ، زنوبة ، الأطفال ، كلهم صاحوا فيه ، لم يدرك الأسطى رمانة مضمون احتجاجهم ، يتراجع التكرلى ، لم يواجه مثل هذا العدد من قبل ، يصيح بأنه سيستخدم الاجراءات ما يدهش الحارة ، يستفز الصول ، يزعم ، « هات ما فى وسعك » ، تتعمد زنوبة أن تسمعه رغبة الحارة فى الخلاص من الدنس ، يزعم الأطفال مشيرين إليه .

الأسطى رمانة يتحسر ، يخيل إليه أن كميناً تلقفه بعد خروجه ، الأمور العادية تبدو فى عينى العائد من فترة اعتقال غريبة ، يحتاج زمناً حتى يعود إليه التوازن مع الحياة اليومية ، ما يتخللها من معاملات ولقاءات واتصالات ، أوضاع الزعفرانى تذهله ، فى البداية لم يصدق ما سمعه لولا مواجهته العجز مباشرة عند ذهابه إلى نبوية التى يعرفها منذ زمن ، ربتت على كتفه بحنان له مذاق الأمومة ، قالت إنها الغيبة الطويلة ، ستجده أفضل فى المرة القادمة ، يوقن بعدم جدواه لو ذهب إليها ثانية ، لا يبدى انزعاجا حتى الآن ، فالأمور لم تتكشف

بعد، الآن تصل الست بثينة، يفسح الواقفون لها طريقاً، علمت أن التكرلى متجه إلى القنسم ليحضر جنديا يقتاد عويس، لهذا فهي تقترح عليه الحضور عندها، لن تستطيع قوة إيذائه لأنها تعرف باشجاو يش القنسم، سيقلب الدنيا على رأس التكرلى، يبدو أن أم يوسف سمعت ما قالته الست بثينة، صاحت من نافذتها القريبة إن عويس فى أمان، وما من مخلوق يجروء على إيذائه، ثم إن الشيخ يحمى الزعفرانى كلها، تهز زنوبة رأسها مؤيدة بيننا تغلى بثينة حنقا..

«تعقيب»:

.. لم يصمت عويس بل استمر حتى العشاء ينقل ما يذيعه الشيخ من تفاصيل تتعلق بالتكرلى، ونظراً للضجة التى أحدثتها والآثار بعيدة المدى لها، نورد موجزاً لها:

• حتى الظهيرة علم الزعفرانيون تفاصيل حياة التكرلى، إنه يبلغ تسعة وعشرين عاماً، يتيم الأب منذ الرابعة، رفضت أمه الزواج من أجله، قضت زمناً تلبسه فستاناً وتسميه سميرة خوفاً من الحسد، حتى السادسة عشرة ظل ينام بجوارها. إذا ذهب إلى دورة المياه ليلاً يوقظها لتقف مؤنسة وحدته، يخجل إذا تحدث إلى انثى أمامها، لا يجروء على النظر إلى امرأة فى الطريق، برغم ذلك فهو قاس جداً، عندما خرج مع اكرام امرأة زمن خطبتها لاحظت انتزاعه الحشائش بعنف، دهسه للزهور، وصفه ملامح الآخرين العابرين بالقبيح، لا يعمر قلم معه أكثر من ثلاثة أيام أو أربعة، يبدأ بعضه، يلويه، لا يستريح إلا إذا كسره، حياته مع امرأته هادئة بسبب حرصها على تجنب أى مشاجرة، صوته الناعم يتبدد عند بدء ثورته، يضرب الأوانى، يأكل الشطايا الرفيعة، يتمدد فوق السجادة، يعض طرفها، يتخيل نفسه ممسكا بسيف حديدي

يخترق به النساء المارات فى الشوارع، لم يضاجع امرأته مرة واحدة، يقدمها إلى رجال من كل نوع.

• فى العصر أصغت الزعفرانى إلى عويس، خرج إلى الحارة مرات إضافية، فى البداية قال إن ما يجرى الآن لهم نواة ما سيحدث للدنيا، وبعد احكام الأمور ستعم الأوضاع، وتنتشر، ومن يجهل اليوم سيعرف غداً، ومن تغيب عنه الحقائق والأحوال غداً سيدرى بعد غد حتى يحل يوم كل إنسان، كل لسان يلهج بما جرى، يتعظ، يستجيب، وهكذا تتبدل أحوال العالم، صمت كثيف ساد الحارة، تحولت الشماتة فى عيون الزعفرانيين إلى خوف وحيرة، أم سهر فكرت بقلب من سيجىء عليه الدور فى المرة القادمة؟ إن الشيخ يعلم كل شىء، يعيش داخل كل أسرة، يحصى الأنفاس والحركات والسكنات، وكما يقول المثل «ما من شجرة إلا وهزتها الريح»، حار الأهالى، ربما استيقظ الواحد منهم ليجد أدق تفاصيل حياته منشورة على كل لسان، ثم ماذا يعنيه الشيخ بالحديث عن العالم، وتبديل الأحوال، كم يلزم لهذا من شهور وسنين؟ يعنى هذا أن الأمر سيطول.

خلال العصر تحدث عويس — نقلاً عن الشيخ — عن اكرام. هى الأخت الصغرى لثلاث بنات يكبرنها، أثنان منهن متزوجتان، أما الثالثة فقد خطبت إلى موظف بشركة طيران، والأخت الأخيرة متعددة العلاقات وتمارس علاقات جنسية كاملة خاصة مع شبان العرب، بالأمس قابلت خطيبها فى السادسة مساءً، وعندما حاول إحاطة خصرها بيده نهرته مع أنها تعرت تماماً فى الخامسة وشهقت من اللذة حتى ببح صوتها بين يدي شاب بحراني، اكرام لم تبذل أى جهد للتعرف بأى شاب، زاد عزلتها رسوها ثلاث سنوات متعاقبة وعدم حصولها على الإعدادية، قلل والداها اهتمامها بها، لم تخرج مع شقيقتها إلا إذا

دعيت ، تأكل مولية وجهها بعيد ، لا تشعر بفرق بين مذاق طعام وآخر ، لا تختار فستاناً إنما ترتدى ما يشتر يانه لها ، لا تثير موضوعاً ، لا تدخل نقاشاً ، هذا ما جذب والدة التكرلى فأقدمت على خطبتها لابنها وكما قالت ، لا يسمع لها حس أو صوت ، وبرغم بقائها عذراء بعد زوجها حتى فضها التكرلى باصبعه فلم تشك لأمها ، تطرق أمام مداعبات شقيقاتها فيضحكن عابثات ، لم تطلب الطلاق ، عندما عرض عليها التكرلى الانفصال احتضنته باكية ، قالت إنه يرضيها أى حاجة ، يكفيها رؤيته وشم أنفاسه أثناء نومه ، لكنها لا ترغب فى العودة إلى أسرتها ، ستصبح خادمة لهم ، ستسمح البلاط ، ستقشر البصل وتنظف دورات المياه ، ولن يدعوها أحد إلى مشاهدة فيلم فى التليفزيون ، أو يسألها أحد الخروج ، معه هى فى بيتها ، بعد قليل بدأ يصحب الرجال ، أول من ضاجعها موظف كبير بمؤسسة الأمانات العامة ، دفع خمسة جنيهات وكيلو كباب وكفته ، ثم جاء محضر يعمل بالمحاكم ودفع جنيهين ، ثم توالوا ، اختارهم التكرلى بعناية ، حرص ألا يصحب رجلاً بكرش لمقتها ذوى الكروش ، ينظر التكرلى إلى الزبون بعينها ، يتخيل ، هل سيعجبها ؟ لم تبد اعتراضاً ، عاشت تدلل ، الحق أنها رقيقة النفس ، إذا رأته شحاذاً بكت ، تدمع إذا سمعت حكاية حزينة ، فى باب الخلق رأته عربية شرطة بها نساء مقيدات ، أحزنها ذلك ، بعكس ما تبدو فهى ليست متكبرة ، تود زيارة جاراتها ، لكن وضعها وقسوة زوجها يمنعانها ، فى المغرب أعلن عويس أساء بعض من ترددوا على التكرلى ، ذكر الخدمات التى قدموها مقابل استمتاعهم بزوجته ، وصف جسدها ، ذكر علامات ، تحدث عن هدف التكرلى ، تكوين ثروته قدرها عشرة آلاف جنيه من كد فرجها ، جمع حتى الآن ثلاثة آلاف وأربعمائة ، هناك معلومات تخص اكرام ، تثير الرثاء ، لن يذيعها ..

## المشاجرة الثانية :

وقعت فى نفس اليوم ، تمام الواحدة بعد انتهاء عويس من إبلاغ الحارة الجزء الثانى من المعلومات التكرلية ، خرجت بثينة لفترة قصيرة وعادت بخطى بطيئة ، نظرت إلى نافذة أم يوسف وحقن فظيع يستبد بها ، لولا تدخلها لأقع الواقفون عويس بالذهاب معها ، أم يوسف تعمل لنفس الغرض ، التهاب غيظها يضحخم تصوراتها فتوقن أن أم يوسف استولت عليه فعلا ، ذاقته واستمتعت به وشمتم عرق رجولته ، قررت التحرش بها ، قطعت الحارة على مهل أثناء عودتها على أمل رؤية أم يوسف فتفتعل أى سبب للشجار ، لكن النافذتين مغلقتان مما أشعل خيالها ، ماذا يجرى خلفها ؟ اتجهت إلى شقتها بالطابق الثالث حيث ينأى موقعها عن أى مياه قدرة تلقى عليها ، كما أن موقفها فى الشرفة ناظره إلى الحارة فى اتجاه واحد بعكس وقوفها بين البيوت مما يؤدى إلى تلفتها يمينا وشمالا ، جرت وقائع المشاجرة على النحو التالى ..

صاحت على أم سهير التى تسكن فى مواجهة أم يوسف ، علا صوت أم سهير باسم الله ورجاء الخير ، أعلنت بثينة أن الخير لن يأتى إلى الزعفرانى الفقير هذه طالما جحدت القلوب وعششت بها النساء وشبهات العقارب ، أدركت أم سهير أن تمهيدا يجرى لمشاجرة ، أطل عدد من النساء ، خديجة الصعيدية أسرعت إلى النافذة مرددة بفرح « خناقة .. خناقة » ، لاحظت بثينة استمرار إغلاق نافذتى أم يوسف مما جعلها تختصر مقدمتها المعتادة فى كل مشاجرة تخوضها ، أعلنت أن هذه المرأة الفاجرة التى يصلح لسانها ليصبح سيرا من الجلد يسر عليه موسى الحلاقة ، امرأة العطشجى ، الحقيقة أن طاحون لا يعمل سائقا كما تزعم بنت اللثيمة ، العاهرة ، التى تضطهده فتعد طعاما لأولادها يختلف عما تقدمه لزوجها ، غضبة الشيخ لم تأت من فراغ ، الرجل صالح ، تقى ، لا يقدم على عمل



يؤذى بلا سبب ، هنا أومأت أم سهير ، هزت الست أم نبيلة رأسها ، صفقت  
زنوبة المطلقة بيديها وصاحت « يا عيني .. يا عيني » ، إلى هذا الحد لم تفتح أم  
يوسف نافذتها ، زعقت بثينة إن بعض النساء اللواتي لم يشبعن من أزواجهن قبل  
طلسمت الحارة ، تطيش عقولهن الآن ، هنا مدت ذراعها في اتجاه بيت أم  
يوسف ، صفقت مرددة ، امرأة العطشجي .. امرأة العطشجي ، يا نساء الحارة ، يا  
حارة النساء ، طلبت منهن أن يشهدن على امرأة العطشجي التي تعرض صدرها  
العاري عندما تطل ، التي لا ترتدى ملابس داخلية ، التي خاضت في سيرتها  
برغم أنها أفرضتها خمسة جنبيات في العام الماضي عندما لجأت إليها باكية ترجوها  
انقاذ طاحون .. طاحون العطشجي ، طاحون العطشجي ، بسبب ضياع جزء من  
عهدته ومطالبته تسديد القيمة والا حبس ، ندمت فيما بعد لأن أولاد الحلال  
أخبروها أن طاحون المطحون ، المطاحني ، المطاحيني سرق جزءاً من عهدته باعه  
في وكالة البلح ، ندمت لانقاذها لصانها مال الحكومة ، الفاجرة غمزت  
للأسطى عبده ولأنه زوج وفي قص عليها ما جرى ، التمس لها عذراً ، زوجها  
مطلسم وهي تحاول مع هذا وذلك لعلها تعرف صاحب القدرة ، لكن ما بلغها  
صباح اليوم لن تسكت عليه ، حتى هذا الحد لم ترد أم يوسف ، ايقنت خديجة  
الصعيدية أنها لو أطلت الآن فستشتعل خناقة حامية تسلي وحدثها ، أم يوسف ممن  
لا يستهان بهن في الرذح ، يبدو أن امرأ خفياً يجعلها تؤثر وجع الدماغ ، أم سهير  
ايقنت وجود شيء خفي لم تقله بثينة ، إنها تمد جسمها عبر الشرفة ، تلوح بجذائنها  
معلنة انها ستضرب ام يوسف فوق اكثر اجزاء جسدها حساسية ..

### المشاجرة الثالثة :

في تمام الساعة الثانية والنصف من ظهر اليوم التالي ، اقترب عاطف  
من بيت الصول سلام ، خطاه بطيئة ، في عينية انكسار ، ذبول يتخلل وجهه ،

بوغت بصرخة ، ارتجف ، يتوقع حدوث أمور غريبة في الزعفراني هذه الأيام ،  
أطل الصول من شرفته متلفتاً حوله ، اعتلى الحاجز الحديدي ، اضطرب عاطف إلى  
الوقوف ، حار ، كيف يتصرف ؟ الصول لم يلمح غيره ، وجه إليه حديثه ، أعلن  
ضيقة بامرأته لأنها بعد عمر كامل تجرأت عليه وكذبت ، أثناء كلامه ظهرت  
زوجته ، راحت تجذبه ، تطالب بالتعقل ، ألم بعاطف ضيق ، تمنى لو تقدم عشر  
دقائق ، لو أسرع الخطى لأصبح الآن في شقته ، يخلع ثيابه ، يغسل وجهه بالماء  
البارد بعيداً عن أي إزعاج ، استمر الصول يخاطبه ، خدم الملوك طوال حياته ،  
ملكاً وثلاث ملكات تعاقبوا عليه ، لم يضع ملك لقمة في فمه إلا إذا تأكد إن  
سلام أكل قبله . دخل كافة غرف القصر التي لم يرها رؤساء وزارات وزعماء  
أحزاب ، حتى حجرة النياشين التي تحوى أفخم المجوهرات وأثمن قطع السلاح ،  
إنه يحتفظ بعدد قديم من مجلة المصور ، به صورة لجلالة الملك مرتدياً ثياب القروسية  
ويستند إلى رقبة حصان عربي أصيل ، من الذي يمك مقود الحصان ؟ من ؟  
« أنا .. أنا سلام » ليست وظيفته لكن الملك انتابه ضيق فاستدعاه ليأتمى به ،  
همس إليه بكلمات ، رفض البوح بها حتى الآن ولن يذكرها إلا لربه يوم  
الحساب لو طلب منه ذلك ، وها هي ذى امرأته تكذبه ، صرخت زوجته عندما  
دفع جسده إلى الأمام « ياناس .. الحقوني » ، هنا تقدم عاطف ، لا بد من  
صعوده ، يجنبه نظرات الأهالي التي تركزت عليه ، يبدو كأنه أدى عملاً إيجابياً ،  
طلع السلم بسرعة ، رمانه السياسي يحاول فتح الباب ، قال عاطف إن امرأته  
تخشى لو تخلت عنه ، أن يرمى نفسه ، ابتسم رمانه ، إنه يشك ، أبدى عاطف  
دهشة ، الصول يعتلى حاجر الشرفة فعلاً ، هز رمانه رأسه ، تراجع إلى الورا ،  
اندفع مصطدماً بالباب ، تساقط تراب من الفتحة العلوية المغطاة بزجاج ، في  
المرّة الثالثة حدث دوى ضخم ، دخلاً ، رأى الأهالي رمانه وعاطف يمسكان  
بذراعى الصول . تركزت الأنظار على عاطف الجامعي الذي يتدخل لأول مرة  
في شئون الزعفراني ، أبدت نبيلة المدرسة إعجاباً لا يخفى على الرغم من موقع

شرفتها البعيد نسبياً ، عندما نجحنا في إبعاده عن الشرفة علا تهليل الصبية ، « هيه .. هيه » ، فى الصالة وقف قرقر الموسيقى متأهباً ، استمر الصول يزقزق متسائلاً ، كيف يمكنه الحياة بعد أن كذبت امرأته ؟ ربت رمانة على كتفيه ثم طلب من الزوجة الكف عن البكاء ، استفسر قرقر عن الموضوع ، قال الصول إن ما جرى فظيع ، كرر قرقر سؤاله ، قال الصول إن الحكاية بدأت منذ عشرة أيام بل بدأت الحقيقة منذ سبع سنوات ، لا ... التزاماً بالحقيقة منذ خمس سنين ، الموضوع متعلق بالصلة الوثيقة جداً بولى العهد المنفى حالياً فى أوروبا ، أحبه جداً ، اصطحبه معه فى جميع رحلاته عدا سفر ياته إلى الخارج ، ليس بسبب رفضه ولكن الصول لا يطيق الابتعاد عن بنت رسول الله الحسين ، أشار إلى الصورة المعلقة السى الجدار المجاور للمدخل ، عجوزاً أشيب اللحية ، عيناه هادئتان ، ملامح تركية يبرزها طربوش قصير ، حاول عاطف تذكر صاحب الملامح ، خيل له أن الصورة منتزعة من مجلة فاخرة الطبع ، لاحظ الاستقرار والطمأنينة فى عيني صاحب الصورة ، خطرت له فكرة ، هذا الرجل لم يعرف الأرق أبداً ، أخفى رمانة ابتسامة ، لم يتعرف فى الصورة إلى أى من أولياء العهد الملكى الذى عاصره وسجن فيه ، حولوا عيونهم عنها عندما رفع الصول يديه متوجهاً بالدعاء ، راجياً أن يستر ولى العهد فى غربته وأن يديم عليه نعمته ويجمع شملها قريباً ، بعد دعائه بدا أكثر هدوءاً . التفت إليهم ليستأنف حديثه فى نفس اللحظة التى أتم فيها عاطف حسبة بسيطة ، الصورة عمرها لا يقل عن ثلاثين عاماً . صاحب الوجه يقارب السبعين ، لو أنه يعيش لتجاوز المائة ، ود الصول لو أطلعهم على توقيع ولى العهد خلف اللوحة ، لولا غياب صانع الإطار الخشبى الذى ألصقها بالغراء فاخفى الاهداء إلى الأبد ، منذ ثلاثة أيام رأى الأمير فى المنام متعباً « أرهقتنى الغربية ياسلام » ، قال له ، « سلامتك ياسمو الأمير » ، فى هذه اللحظة جاء خادم نوبى يحمل صينية فضية فوقها نظارة طبية ، سموه أحب الفضة ، لم يحمل إلا النياشين المطعمة بالفضة ، خراب سيفه من فضة نقية ، أو سمته المذهبة

حفظها فى دولاب خاص ، صنعت غدارته من الفضة الهندية ، يحملها تحت جاكته بحيث يبدو مقبضها بارزاً من خلال الحافظة الجلدية لو أزاح طرفها قليلاً ، فى هذه اللحظة رأى عاطف بعيني عقله هذا الأمير ، يمشى عاقداً يديه خلف ظهره فى بهو قصره ، يرتدى حلة التشريفة ، يساعده الوصيف على خلع ثيابه فتبدو غدارته كاملة ، منقوشة المقبض ، دائرة صغيرة تحمل اسم الأمير محفوراً ، قال الصول إن الخادم النوبى تناول النظارة من فوق الصينية ، قدمها إلى الأمير ، لكنه أعطاها — للصول ليسمح عويناتها قبل أن يرتديها ، ما معنى هذا ؟ بالأمس طلب من عويس أن يسأل الشيخ عن مغزى الرؤية . جاءه عويس بالرد المنتظر ، إن لقاء هاماً سيشهد الصول قريباً ، لم يوضح مع من ؟ لكنه ينتظر الآن دعوة من ولى العهد ليسافر إليه ، ليشير عليه فى حيرته ، ليسليه فى وحدته ، لكنه سيشتراط العودة إلى مصر ليلقى ربه بجوار الحبيب سيد الشهداء ، تبادل الواقفون الدهشة ، توارت السخرية من عيني رمانة ، فكر قرقر الموسيقى فى إمكانية رد الشيخ على من يتوجه إليه بسؤال ، عاطف مازال يستدعى الأمير المتمنطق بغدارته . فجأة ، اندفع الصول إلى حجرة النوم ، عاد ممسكاً بمسدس قديم ، حياته لم يعد لها قيمة بعد تكذيب امرأته ، استعاذ قرقر بالله ، حملق رمانة ، أما عاطف فتأمل الفوهة الطويلة واليد المسكة بالمقبض الخشبى بنى اللون المطعم بقطعة عاج ، رآه مصوباً ، رآه يهدد شخصاً مجهولاً ، رأى أصبعاً تلامس الزناد ، رأى أصبعاً تلامس الزناد ، رأى المسدس فوق المنضدة المجاورة لسريه ، صرخت الزوجة « البارودة .. البارودة » ، على مهل راح رمانة يقيس المسافة الفاصلة بينه وبين الصول ، سأله قرقر ، هل ترضى الموت كافراً ؟ زعقت المرأة ، « البارودة .. البارودة » هل يقبل الموت على كفر ؟ على مهل تدلت يده إلى جواره . عينا عاطف تتابعانها ، يرى نفسه جالساً إلى رحمة . بعينها المنتميتين إلى طفولة أبدية تسأله « لماذا تحمل مسدساً ؟ » ، وافق الصول على التراجع عن فكرة الانتحار ، طلب قرقر من المرأة تقبيل رأس زوجها . قالت إنها تعزه وتقدر حزنه

على أصحابه الملوك ، والأمراء ، لكنه أساء فهمها ، صاح رمانة غامزاً الصول ، « شوف يا عم » يتساءل عاطف عن ثمن المسدس ، البلد الذى صنع به ، الأيدي التى تناقلته ، هل خرجت منه رصاصة قاتلة ، أى سنة ؟ أى يوم ، أى لحظة ؟ من صرعت ؟ أجفل عندما تحرك الصول متجهاً إليه ، أوشك المسدس على الاحتكاك به ، قال قرقر إن الشمل سيجتمع قريباً ، نبوءة الشيخ لن تحيب أبداً ، بد لفظ الشيخ ذا رنين خاص فى هذه اللحظة ، تذكروا ما حل بهم ، لم يعد قرقر قادراً على التباهى بقواه الجنسية برغم بلوغه الستين ، فكر بسرعة ، ضرورة توجيه الدعوة إلى عاطف الجامعى للاستماع إلى ألقابه سيطلب منه دعوة أصحابه ، يتق من قدرته على إثارة إعجابهم بمواهبه التى تلقى من يتيح لها الفرصة حتى الآن ، سيكسب مستمعين على درجة عالية من الفهم ، لا مساطيل أفرح وسكارى يتشابه لديهم النغم ، لا يثيرهم طرب أو شجن ، ما يبدو زعيق كالنهيق عند ظهور سنتيمتر واحداً من فخذ الراقصة .

يخشى عاطف أن يوجه إلى أحدهم سؤالاً عن أحواله المطلسة ، ستبتل ثيابه لو حدث ، ما يمنعهم أن كلا منهم يعانى ما يعانى الآخر ، امرأة الصول لا تزال تبكى ، يرى الآن رحمة ، يرى يديها تديران كوب البيرة ، بعد أن تشرب تتورد وجنتاهاتبرق عينها كحبات سبحة تشع ضوءاً ناعماً حلواً فى العتمة . بعد فترة قصيرة يتدفق الحديث من شفتيها ، يصغى إليها فرحاً بما تحكيه عن شئونها الصغرى ، تغمره بهجة ، يسند ذقنه إلى راحتيه ويصغى ، يتهلل وجهها ، يرقب مرح عينها ، يتحول ماء النهر إلى شعاع ، وجذوع الشجر إلى صدى أصوات ، عندما رأى نبيل صورتها معه لأول مرة قال إنها طفلة ، قال عاطف إنها أتمت الواحدة والعشرين ، إنها أنثى تحفظ روحها ببراءة الأعوام الأولى من العمر ، أبدى نبيل دهشة ، ذلك نوع نادر من الورود .

قال قرقر إن الأمور مرت على خير وهذه المناسبة يسره دعوة عاطف بك

لسماع موسيقاه ، وكذلك الأسطى رمانة والصول سلام ، قال رمانة إنه بحاجة فعلاً إلى سماع موسيقى ، سمع كثيراً عن عبقرية قرقر من المعلم الداوارى ، ابتهج قرقر ورمق عاطف بنظرة كأنه يقول ، أسمع ما يقال ؟ يقف الصول متصلباً ، يقول بلهجة بطيئة إنه يقبل بكل تقدير و يلبى الدعوة التى وجهها إليه قرقر ، انغrust حسرة مركزة فى قلب عاطف ، نقطة من ماء النار ثقت قلبه ، لو وجهت إليه الدعوة من ستة شهور لاصطحبها معه ، قال إنه مستعد فى أى وقت ، بدا صوته واهنا ، حاول اخفاء حزن فادح يوشك على النطق من عينيه ، لم يخف على رمانه انكسار صوته . أرجع السبب إلى الطلسم ، يلحظ عاطف مسدس الصول ، استدارة قطعة الحديد النحيلة التى تحدد فراغا يستقر فيه الزناد ، سمعوا طرقا ، صاح الصول « أدخل » ، خطت الست لطيفة امرأة البنان حافية القدمين ، تخفى نصف وجهها خلف طرحة سوداء ، نظراتها جانبية كليلة ، رجتم ألا يتواخذوها لكنها تسألهم ، ألم ير أحدهم ساعى البريد ؟ ، ألم يترك لدى أحدهم خطابا ليوصله إليها وإلى عمهم البنان العجوز الذى لم يقدر على طلوع السلم ؟

#### المشاجرة الرابعة :

على غير العادة سمع حوالى السابعة مساء زعيق حسن أنور ، التقط الجيران كلمات استنتجوا منها انه يتشاجر مع سمير ابنه الأصغر ، أبدى البعض دهشة لأن صوته المرتفع لم يسمع من قبل ، لافى بيته ولا مع أحد من الزعفرانى ، واجه الزعفرانيون صعوبة فى الاصغاء لأن زعيقه مختلف عن الأنواع الأخرى المألوفة ، خيل إليهم أنه يصيح بالفصحى ، أصغى عاطف الذى قبع فوق سريره مستسلماً لنزول الليل الأسود . لا يرى شيئاً من تفاصيل الحجر ، عيناه لم تعتادا الظلام بعد ، رعشة خفيفة تؤلم قلبه ، وجود جسمه المادى غير محسوس بالنسبة له ،



إنه الآن مجموعة صور بعيدة وقرينة وهمسات وروائح وألغاز قيلت فيما مضى وبقوت في ذهنه إلى الأبد. صوت حسن أنور انتزع من حصار سيل الذكرى الوعر الشائك، أيضاً أضطر التكرلى إلى التوقف لحظات عن خلع ثيابه، نظر إلى نادبة، قال، حسن أفندى يضرب ابنه، قالت إن الحارة بها مس، ذكرت محاولة الصول الانتحار، لولا تدخل عاطف ورمانة، وقع الاسمان موقعا غريبا في أذنى التكرلى، خيل إليه أن امرأته تذكرها بود، قرر الاستفسار منها قبل النوم عن سبب ذكرها هذين الاسمين بالذات، قالت إن أم صبرى شتمت بائعة جبن قريش، هجمت عليها، تركت المرأة وعاء الجبن وفرت مذعورة. ثم حمله رأس الفجلة إليها حتى باب الفرن، قالت إن بسيونى الهجرسى العجوز المخبر القديم تشاجر مع ابنه «لولى» وامرأة ابنه صفية، خرج من الغرفة الوحيدة التى يعيشون فيها كلهم، راح يخاطب النواذ والشرفات معلنا أن امرأة ابنه تتحاييل عليه لينام معها، وأنها ضائعة ويمكن لأى رجل من الحارة مضاجعتها بقرش صاغ، بعد عودة لولى ابنه سكب الجاز فوق نفسه، لطيفة العجوز وأم محمد منعتاه، مرة أخرى أبدى التكرلى قلقا، امرأته تقص أخبار الزعفرانى بالتفاصيل، هل خرجت؟ هل التقت بأحد؟ اكتمل احمرار وجهها عندما إنها لم تغادر البيت. جلست اليوم كله فوق الكنبه وعندما انتابها ملل انتقلت إلى الكنبه المواجهه، قال التكرلى إن أهالى الزعفرانى أشرار، عدد من كبار المسؤولين عندهم علم الان بما يجرى. أحدهم انزعج جدا عندما أصغى إلى ما يحدث فى الحارة وقال إن هذا خطير جدا، قال التكرلى إن الزعفرانيين جنباء، فى الوقت الذى يبدو فيه خضوعهم للشيخ ولخادمه عويس، قام بعضهم بارسال شكاوى خالية من التوقيع إلى عدة جهات، أطلعه مسئول آخر على إحداها، قال إنه أوصى عدة سماسرة بالبحث عن سكن...، هنا ارتفعت صرخات متقطعة لأمرأة، إنها امرأة حسن أفندى، الطيبة، العاقلة، الكاملة تحول بين الأب وابنه، فى هذه اللحظة أوشكت عروق حسن أنور على الانفجار، لأول مرة يواجه بمعارضة تبلغ قلة الحياء. بعد مغيب

الشمس استدعى ولديه. أخبرهما بضرورة نومها فى الثامنة والاستجابة إلى تعاليم الشيخ حتى زوال الغمة، هنا خفض صوته حتى أوشك أن يصبح همسا، ظهر اليوم التقى برجل ورع كشف عنه الحجاب، لجأ إليه من قبل فى أزمت عديدة، أخبره الرجل الصالح أن فرجا قريبا سيحدث فى الحارة، سيرفع الشيخ أثر الطلسم عن ثلاثة من أهالى الزعفرانى، طبعا سيختارهم من بين الملتزمين بأوامره والمؤمنين به فى السر أو العلن، الشيخ يضم نوايا عظيمة ستعرفها الزعفرانى والحارات المجاورة والمدينة والبلاد والعالم كله، كل مكان يتجمع فيه العباد، هنا يجب الإشارة إلى فرحه بحديث الرجل لدرجة نسيانه الدعاء الثابت أثناء طوافه بضرىح الحسين، أن يحميه من دخول قسم البوليس، ألا يقترض أو يقرض، ودعاء آخر أضمره ضد سيد بك لأنه آذاه أذية مهولة، استدعاه إلى مكتبه، سر كثيرا بهذه الدعوة لدرجة أنه نظر إلى ثلاثة من خريجي الجامعة الشبان العاملين حديثا بالإدارة، ربما كلفه سيد بك بعمل ما، هذا يعطيه الحق فى الجلوس متعبا أمام عبد العظيم أفندى ويقول إن سيد بك يؤثره بالكثير من المهام مما يسبب له ارهاقا، حدث أن قص عليه عبد العظيم مرة واقعة هزته، تأخر إعداد بعض المذكرات مما جعل عبد العظيم أفندى يحضر يوم الجمعة، جاء لا يطمع فى أجر إضافى أو مكافأة، حوالى الظهر فوجىء بدخول سيد بك، لم يشعر به لانهما كه الشديد، لم يصدق عينيه، نطق عبارات ترحيب مضطربة لدرجة تجرأه ودعوته البك للجلوس وهذا لا يليق، لكنه فوجىء بسيادته يسأله عن بعض الأعمال، ثم سأله عن الأولاد، وعن صحته، فى اليوم التالى قدم سيد بك مذكرة يطلب مكافأة عشرة جنيها لعيد العظيم نظراً لجده وإخلاصه، حسن أفندى قضى أياما يحلم بحدوث هذا معه، سيقابل محيىء سيد بك بوجه خال من الانفعالات، سيسأله عن صحته، عن أحواله، يوم الجمعة التالى ذهب إلى مكتبه، تخلف عن صلاة الجمعة لأول مرة منذ سنوات عديدة، خلع جاكته كدليل على انهماكه، لم يذهب إلى دورة المياه خوفا من مرور سيد بك العابر،

أغشى مرتين تعباً، خاف حضور سيد بك في لحظة . يغمض فيها عينيه ، يبدو مضحكا ، في اليوم التالي قص على زملائه ، كيف أنه قضى اليوم كله في إنهاء بعض الأعمال المتأخرة ، أصغوا إليه بلا مبالاة ، أبدى أحدهم سخرية ، قال صراحة إنه يحاول تقليد عبد العظيم أفندي ، ضرب المنضدة ، كذب ، كذب ، بدون تفكير مسبق أعلن أن عبد العظيم لم يأت مصادفة بل علم مسبقا بثية سيد بك في الحضور ، كل ما تفوه به ، وصل عبد العظيم مضاعفا ، قال إنه تأثر جدا مما سمعه لأن حسن أفندي زميل دراسته وهو غير حقود ، كيف أفترى عليه ؟ ثم أنه بهذا التصرف يقوض وحدة حملة الشهادات المتوسطة في المؤسسة ، أو شك الأمر على الوصول إلى سيد بك بعد أن رواه بعض خريجي الجامعة ، أبدى حسن أنور انزعاجا ، لم يقصد الاساءة إلى قضية حملة الشهادات المتوسطة ، المهم أنه تردد أيام الجمع التالية لمدة أربعة أسابيع ، سيد بك لم يحضر ، استدعاه أمس ، أشار إلى ثلاث أوراق ، تسأل عن ضرورة طلبه تركيب تليفون ؟ تضاعل وجه حسن أنور ، قرأ سطرًا من المذكرة الأخيرة .. « حاجة العمل الماسة تدعو إلى تركيب جهاز للتليفون » ، أشار حسن أنور بيده مرات ، فكر في احتمال دخول أحد زملائه ورؤيته هكذا ، سيصاب بسكته ، زعق سيد بك ، « ما حاجتك الملحة وعملك لا يستدعي الاتصال بالخارج إطلاقا » ، قال إنه يطلب تليفونا داخليا للاتصال بزملائه في الأقسام الأخرى ، صاح سيد بك ، « لكنك تطلب تليفونا بقرص » كشف عن أسنان بيضاء جدا ، قال إن هذا كسل لا يليق بموظف قديم ، وتحايل مرفوض ، عندما استدار حسن أنور سمع تمزيق الأوراق . في الخارج رأى أربعة موظفين وساعيا ، كتب مذكرة يطلب نقله إلى إدارة أخرى ، قبل أن ينهبها مزقها بسرعة ، ستجر عليه المتاعب ، لولم أحد زملائه ما تضمنته سيم عليه ، يواجه بمصاعب من نوع آخر ، مر عليه بعض زملائه ، لم يتحدثوا إليه ، ألمه هذا ، قبل انصرافه صاح على رشوان الساعى أثناء تجمع الموظفين أمام المصعد ، إنه أقدم ساع بالإدارة ، يسافر كل خيس إلى طنطا ، يطلب منه بصوت

عال الدعاء لولديه سمير وحسان ، سمير الذى سيصبح مهندسا باذن الله ، وحسان الذى سيتخرج طبيا ، ود لو سمع الجميع ما قاله ، تمنى لو أخبر سيد بك باصرار المرحوم والده على دخوله الثانوى العام تمهيدا لالتحاقه بالجامعة ، لكن ظروف الأسرة لم تسمح شأن العائلات الكريمة التى جار عليها الدهر ، اقنع والده بضرورة الالتحاق بمدرسة تجارية ثم يستكمل دراسته بعد تخرجه وتوظيفه ، لكن التأكل أدرك نواياه مع السنين ، خاصة أنه هوى القراءة ، عرف التصوف والمتصوفين ، وعندما نشبت الحرب العالمية تابع معاركها ، اشترى الأهرام يوميا ، قص اخبار القتال والصقها على ورق أبيض مسطر ، إنحاز منذ البداية إلى هتلر ، حصل على صورة كبيرة له ، يبدو فيها أنيقا ، يعقد يديه أمام صدره ، احتفظ بها في غرفة النوم ، يثق أنه لم يميت ، اين جثته إذن ؟ لديه يقين خفى بمجيء هتلر إلى مصر ، ربما يقيم فى إحدى المحافظات ، باحد ملاجئ العجزة ، سيظهر فى الوقت المناسب ليفتح المخزن رقم ١٣ الذى يحوى آلات دمار مهولة ، يقهر خصومه ، يسود العالم ، ودلو يعلم سيد بك باطلاعه المستمر على الكتب العسكرية ، أصحابه يستشيرونه فى أحداث الحرب ، يشهد بهذا عوض الرماح وعبده البرتقانى والحاج عبود رحمه الله . طوال معارك الصحراء الغربية لم يبدأ باله . يسطر الصحف ، يقول : لو تقدم روميل من هنا بدلا من التفاهة لحقق نصرا ، عندما بدأ تفهقره أكد أن هذا لا يرجع إلى عيب فى عبقريته إنما يكمن السبب فى نقص الإمكانيات . لو ارسلوا إليه طلباته لما هزم . يوم شيع روميل حزن ، اعتبر نفسه مسئولا عن نهايته ، حالت الحواجز بينها وعندما أذيع أول بيان يوم الإثنين الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وسمع المذيع يقول « هاجت إسرائيل مطاراتنا فى كافة أنحاء الجمهورية » قال لزملائه ، « خسرتنا الحرب » . لو يدرك سيد بك هذا ستتعير لهجته ، ربما دعاه إلى مناقشته ، يضغط زرا أحمر ، يجيء الساعى فيقول « قهوة لحسن بك ؟ » ، لو أتم تعليمه لاصبح الآن وكيلا لوزارة ، أو رئيسا لمجلس إدارة ، ضحى بهذا كله من أجل المعرفة ، فى نفس اللحظة تذكر عدم دخوله الجامعة

ليخفف العبء عن والديه ، من يذكر هذا ؟ كل شيء يتلاشى ، مسح دمتين بسرعة حتى لا يراه أحد الموظفين ، ألم يضرب هتلر جبهته مرارا ، مثل تلك اللحظات لا يفهمها سيد أبو المعاطي ، إنه حائر ، منذ سنة يطالب بتركيب تليفون فى مكتبه ، لماذا لم يستدعه إلا اليوم ؟ هل وشى أحدهم به ؟ ود لوقام وتحدث إلى بيته . يسأل أم حسان عما طبخته ، يقول إنه سيتأخر قليلا فى الحسين ، ليعلم الجميع بامتلاكه تليفونا خاصا ، غير أن اليوم لم ينته على خير ، إذ سرى خبر مضمونه قرار سيادته بالمرور المفاجيء خلال الدقائق المتبقية على الانصراف ، أخرجت الملفات مرة أخرى من المكاتب ، أخفيت حقائب السيدات ، عاد بعض الموظفين من أمام المصعد ، انتهت حالة القلق لدى الباقين فى المكاتب ، وسؤال كل منهم للآخر ، « كم تبقى على الانصراف ؟ » حتى حسن أفندى غالب ضيقه ، أخرج مذكرة قديمة ، راح يعيد صياغتها ، حمد الله عدم ذهابه إلى عبد العظيم أفندى ليشكوهه ، بعد دقائق سمع صوت سيد بك ، يعرف أن حمدى السكرتير يتبعه ، والحسينى رئيس قسم المأموريات البعيدة ، والطوانسى رئيس العهدة المستمرة ، لم يصل عبد العظيم بعد إلى درجة تسمح له بمرافقة البك أثناء مروره ، لا يدري من أين جاءه خاطر مخيف ، ربما يسأله عما يجرى فى الزعفرانى ، الحى القديم كله يعرف ما حدث ، الخبر أشبه بجحر ألقى فى بركة ، تتسع الدوائر حتى تمس الضفاف ، لو سأله سيدوب كرهوة ، غير أن سيد بك لم يدخل عنده ، جاءه الطوانسى ، أخبره بقرار البك إعادة توزيع المكاتب بحيث تستوعب الشقة أكبر عدد ممكن ضغطا للنفقات ومراعاة لظروف اقتصاد الحرب ، تقرر تخصيص الحجرة للآنسات اللواتى تم تعيينهن أخيراً وليبتعدن عن الاحتكاك بالموظفين ، طلب منه اغلاق ادراج مكتبه بعد إدخال كافة الأوراق التى يتركها فوقه لنقله إلى الصالة ، ؟ بعد هذا العمر كله يجلس ضيفا مع موظفى الآلة الكاتبة ، كفاحه من أجل وضع مكتبه فى الصدارة فاشل لأن الطابونى أفندى موجود ، رئيسهم الفعلى ، ماذا لو سمع ولداه هذا القرار ؟ سيد بك يحكم الحصار حوله ، يحط من

وضعه ، يريد افقاده الميزات التى اكتسبها بعد كفاح ، إن التراجع أفضل خطط الهجوم أحيانا ، على مهل ملم أوراقه ، تأمل الحجرة التى أودعها قدرا من حياته ، قم الأشجار تبدو من النافذة الضيقة ، عمارة ضخمة لم تكتمل بعد ، يجب الا يستفز ، فى مثل هذه المواقف يستدعى قراءاته ، يشد قامته ، يبرز صدره أثناء مشيه ، كأنه يستعرض فيلقا أصطف لتحيته ، خسر موقعا ممتازا ، لكن ماذا يساوى هذا لوقورن بما خسره هتلر . كيف تصرف عندما جاءت الجيوش الروسية من الشرق ؟ والحلفاء من الغرب ؟ ماذا فعل عندما أحكم الحصار حول برلين ؟ لم يفقد الأمل . لم ينهر ، لم يرفع راية الاستسلام البيضاء ، حاول استدعاء جيوشه ليفض حصار برلين ، أن يدفع الغزاة إلى أقصى الشرق ، ويرمى الحلفاء فى القنال الإنجليزى ، هكذا يجب عليه الإنسحاب مزهوا بتاريخه الطويل فى المصلحة وسجلاته النظيفة التى لم تلوث بتقرير سبىء ، إن الضربة المسددة إليه فظيعة ، تجيء فى توقيت يعانى خطرا مجهولا يهدد رجولته و يدرك ولديه . لينتقل إلى الصالة ، ليصبح فى مرمى العابرين بالطريقة ، بل ليستعد لما هو أفدح ، ربما يجيء عامل البوفيه يوما و يضع صينية المشروبات فوق مكتبه ثم يتناول أكواب الشاي وفناجين القهوة ليوزعها على الجالسين ، لن ينهره ، الصبر كفيل بامتصاص الهجمات ، لو استجاب بردود فعل عصبية ربما لجأ الطرف الآخر إلى هجمة إنتحارية ، ربما أصدر سيد بك قرارا بنقله إلى أحد الفروع النائية ، الثبات ، يوما ستنتهى غيبة هتلر ، يظهر أعوانه المختفون فى مشارق الأرض ومغاربها ، يعيد تشكيل فيالقه ، يوجهها إلى الجهات الأربع الأصلية ، يطوف الدنيا ، سيعرف من مخابراته اسماء الذين آمنوا بعودته ، اهتموا به ، اين موقع سيد بك عندئذ ، كيف يواجهه ؟ سيعدمه بأبشع الطرق ، سيذيه حيا فى الجير ، أما الآن فالمهادنة ، حتى لا ينقل ويترك سمير وحسان بلا رعاية ، أمها طيبة لا يمكنها مراقبتها ، عندئذ ينحرفا .



الآن ينظر إليها ، يخبرها بما سمعه من الرجل التقى في الحسين ، هذه  
بشارة لا ريب فيها ، سيرفع الطلسم عن ثلاثة ، التزامها بكافة ما يطلبه الشيخ  
كفيل بسرعة شفائها ، يجب أن يناما في الثامنة ... « مستحيل » ، قالها سمير  
بحدة أفقدت صوته. الرقة ، عينا حسن أفندي تبرزان ، إن طنينا حادا يصم أذنيه ،  
ابنه الأصغر الذي يضرب به المثل ، الذي يذكره قبل أخيه الأكبر ، أيجابوه  
هكذا ؟ لشدة المفاجأة يتساءل بصوت خافت « ماذا تعنى يا سمير يا بنى ؟ » ،  
بعينين فيها فحة قال إنه لن ينام الساعة الثامنة ولن يخضع لخرافات ، لن يخضع ؟  
المعنى خطير ، لا يريد التزام الصراط المستقيم حتى زوال الغمة ، أشد ما يوجع ،  
تمرد أقرب الناس ، أخلص المعاونين ، يصبح النزيف داخليا من الصعب  
اكتشاف أسبابه ومنعه ، ابنه الخجول الذي كتب اسمه في لوحة الشرف أكثر  
من مرة ها هو ذا يجيبه بالالفاظ الغلاظ ، صاح « هذا أمر » ، يقوم سمير معلنا إنه  
غير قادر على مواصلة الحياة في هذا الجو ، يصرخ حسن أفندي « ولد » ، تتابع  
الأم موقفا لم يصادفها قط ، يشير ابنها إلى أبيه قائلا بسخرية ، إنه يطلب منها  
النوم في الثامنة ، ينظر إلى شقيقه ، يطالبه بالكف عن الجبن ، تفور الدماء في  
عروق حسن أفندي ، لم يدر ما لفظ به ، يدور بعينه باحثا عن شيء يقصف به  
هذا المتمرد ، يقلب الكراسي ، يحطم زجاج الدولاب الصغير ، تسقط اوان ،  
تزعق أمراته ، « سمير لم يقصد » ، يزيد حركته ، الحقيقة أنه لا يبحث عن شيء  
معين ، ولكنه يخفى حيرته وألمه في محاولة وهمية للبحث عن شيء يؤدب به  
الصغير ، يصيح سمير مبديا عدم اهتمامه ، هنا سمع الجيران صوت حسن أفندي  
« لا أنت ابني ولا أعرفك » . في الحارة توقف الداطوري ، أصغى إلى الضجة ،  
لم ينظر حوله . لم يرفع عينيه ، مال رأسه باتجاه الأرض ، حتى حسن أفندي  
الزعفراني الأصيل ، الأمير الطيب الذي لم يسمع له حس أبدا ، ماذا جرى ؟ ماذا  
يحدث للزعفراني ؟ إن دموعا صامتة تتلمس طريقها خارج عينيه في العتمة ،  
« أنا برىء منك إلى يوم القيامة » ، لطمت امرأة حسن أفندي وجهها « يا

خرابي » حمد حسان كلوح خشب ، صور عديدة تتزاحم في رأس الأب ، سيد بك  
يمزق الورقات الثلاث ، عبد العظيم أفندي يتحدث في التليفون ثم يضع السيماعة  
متمهلا ، يتبادل ابتسامة ودية مع سيد بك ، شاب خريج الجامعة يلوح بلا  
مبالاة ، عامل البوفيه يسند الصينية فوق مكتبه ، أربعة لا أمان لهم ، المال ولو  
كثير ، المرأة ولوطالت عشرتها ، الحاكم ولوقرب منك ، الزمن ولوصفا . ثناء ناظر  
المدرسة على سمير ، هتلر ، طائرات جورنج تمرق ، أولياء يكون ، يرثون الماضي  
الجميل الهاديء الآمن الخالي من الزواج ، قائد لا يذكر اسمه يضرب الأرض  
بيده ، فوجئ بالاختراق ، حدث الاختراق ، لو التزم سمير أدبه المعهود ، لو تقدم  
منه ، ساحنى بابا ، سيعفونه ، سينسى كل أساءته ، لكن شيئا ضحيا يتحول ،  
لحظة يتقرر فيها مصير بأكمله ، سلوكه المفاجيء أذهل أمه ، دفعته باتجاه الجدار  
لاظهار غضبها ولتبعده عن أبيه ، أفلت منها متجها إلى الباب ، فوق السلم أعلن  
سمير أنه لن يبقى دقيقة واحدة في الزعفراني كلها . ردد الداطوري في وقفته  
« الأبناء يجحدون الآباء ، عيني يا زعفراني » ، تقول أم سهر لزوجها « سمير  
طفش » يسأل « سمير من ؟ » ، « سمير ابن حسن أفندي » .

### المشاجرة الخامسة :

حدث في عصر اليوم التالي أن تطور الحديث بين روض ابنة أم صبرى  
وشقيقتهما الكبرى حتى وصل إلى حد الزعيق الذي أثار فضول النساء في  
الزعفراني ، خرجن إلى الشرفات يحاولن متابعة ما يجري على الرغم من انشغال  
معظمهن في مناقشة ما جاء بتعاليم الشيخ التي تليت صباح اليوم ، طلب من  
الزعفرانيين استبدال كلمتي صباح الخير ومساء الخير ، وجميع عبارات التحية  
بجملة واحدة ، ومن خالف ستحل به مصائب ، قيل إن الشيخ سيمسح من يخالفه  
حجرا ، وأنه سينسب الاثداء في صدور الرجال ، حاول رمانة السياسي

استكشاف المعانى الخبيثة وراء التحية الجديدة . رددتها أم سهر كثيرا حتى حفظتها وطلبت خديجة الصعيدية من زوجها اعادة ما يقرب من مائة مرة حتى اطمأنت ، فريده امراة رأس الفجيلة تمننت لو أخطأ زوجها حتى ترى ما سيلحقه ، أم يوسف رأت أن ذهابها إلى عويس له ما يبروره الآن ، ستسأله عن حقيقة المعنى ، فى حجرته يمكنها الاختلاء به ، تدس وجهها فى شعر صدره ، تشم عرق رجولته ، بيوت الحارة كلها تردد العبارة ، حسن أفندى تأمل حروفها ، أصغى إلى امرأته أثناء الفترات القليلة التى عاد فيها إلى شقته والتى تخلت يومه ثم عودته للبحث عن سمير ، جلس الداطورى أمام مقهاه ، لا يلفظها إنما يتأمل معناها ، « هذا زمن الفرار » ، اقترح البنان على لطيفة امرأته أن يكتبها إلى ابنها ليلفظ هذه العبارة ، روت حزينه ، « وهل نعرف عنوانه ؟ » ، تأملات عاطف تجاوزت الجملة إلى ما يشبه التفسير الذى أذاعه عويس ، زمن الفرار من عصر إلى عصر ، من حال إلى حال ، لن تمضى المصائر وفقا للأمنيات والرغبات العاجزة والجهود الضائعة التى تستغرق أعمارا وتهلك أجيالا ، بسرعة الفرار ستتحقق الأمنيات وتتجسد الأحلام ، انقضت عصور ركود الإنسان ، بدأ عصر الحركة ، التغيير ، الفرار من المستحيل إلى الممكن ، إلى ما يتحقق فعلا ، لا الممكن وغير الممكن .

هذه المعانى شغلت الزعفرانيين خاصة عندما ردها عويس عصر اليوم ، من هنا بدا نشوب مشاجرة أمرا غريبا ، لأول مرة يعلو صوت الأختين ، اعتادت الحارة الفرجة على عائلة أم صبرى أثناء شجارها مع عائلة أخرى ، لم يسمع أحد شجارا دب بين أفراد الأسرة ، مشاجرة كهذه لا يمكن تجاهلها حتى لو نشب فى وقت يقام فيه ماتم . والحقيقة أن جذور هذه المشاجرة ترجع إلى الأيام الأخيرة التى شهدت وفاقا بين سكينه الأبنه الكبرى وزوجها كمال القادوسى ، حدث الوفاق قبل إعلان الشيخ بأيام و بعد جهود أولاد الحلال وسعى دءوب من أم

صبرى ، طيلة الشهرين الماضيين ضاقت بمجىء ابنتها فى وقت واحد ، كل منها تعاني فراغا ، تحاول شغل نفسها بتنظيف البيت . تلميع الزجاج . مساعدة خديجة الصعيدية ، استدعت سكينه لتذبح دجاجة هزيلة أو شكت على المرض لأنها تخاف رؤية الدم ، ساعدت أم سهر فى العجين ، إنها قوية ، عريضة الصدر ، ملتفة الفخذين ، لا تهدأ ، روض صامته ، تفكر دائما ، أم صبرى مشغولة باستمرار . تمضى إلى عزاء أسر تعرفها أو لا تعرفها ، يتردد صوتها من خلال مكبرات الصوت . تذهب فى الصباح إلى بعض المآتم ، تخطب فى النساء ، تذكر حكايات دينية ومواعظ وحكما تسهم فى التحضير للأفراح ، تجهز العروس من نتف شعر وتزين واسداء نصائح ، لكن مها تحاول شغل نفسها تحىء لحظة معينه ، تنظر إلى روض أو سكينه ، روض بالذات منظرها يرضيها ، لا تطيقه ، تعرف ما تعنيه لحظه الملل أثناء ابتعاد المرأة عن أليفها ، إنها معجبة بجمال ابنتها ، كثيرا ما طلبت النظر إلى عينها الواسعتين ، تحجل روض ، أم صبرى عميقة الخبرة بشئون النساء ، تعجب بقوام روض ، خصرها ، صدرها النافر المتماusk ، بطنها المستوى الذى لم تفسده إلا مرة حمل واحدة ، مرة اصرت على رؤية جسم ابنتها ، روض لا تخلع ثيابها أمام أى مخلوق ، عندما دخلت دورة المياه لتستحم ، غمزت أمها بعينها إلى سكينه ، طرقت الباب بشدة ، صاحت أنها إذا لم تتبول فورا فسوف تنفجر ، روض تعرف مرض أمها بالكلية فتحت الباب ، استدارت تواجه الجدار منحنية ، تخفى صدرها ومقدمة جسدها بذراعيها ، دسها بين وركيها ، بدأت أمها تنظر إليها متمهله ، فهمت روض ، طلبت الإسراع بالخروج لأن البرد يوشك أن يصيبها ، بدت أمها فرحة . تمننت بمجىء ابن الحلال الذى يستحق جسدها ، أم صبرى حزينة لمرور الأيام على ابنتها المطلقة ، روض قاست طويلا ، لم تضيق أبدا بفقر زوجها خاصة بعد تحرك محمد كجين فى أحشائها ، فى بداية زواجها عانت رطوبة الحجرة ونشع الماء فى الشتاء ، عندما تخرج إلى مدخل البيت ترقب الرائح والغادى ، تقول لنفسها إن الأمور ستتحسن

عندما تبلغ الخامسة والعشرين ، لكم بدت المساحة الزمنية وقتئذ عريضة بين عامها الثامن عشر والخامسة والعشرين ، كل ما تمنته أن يوفر الله عملاً لزوجها بأحد المصانع الأفريقية ، عندئذ يمكنها شراء النحاس ، ودولاب صغير قديم من الحاج فؤاد الموبيلياتى ، وتجهز لحافاً غطاءه ساتان وردى ، يستقران فى حجرة بدورة مياه مستقلة فوق سطح ، أى سطح بحيث تجلس دائماً فى الضوء ، لشد ما جاءت إلى الضوء ، إلى الشمس ، فى سنة زواجها الأولى بدت أحلامها سهلة ، وشبكة الوقوع ، لكن مرور الزمن ، وفترات البطالة التى مرت بزوجها جعلت اللعاب فى فمها مرا ، عندما التحق ببعض المصانع القريبة تضاعل أجره ، قال صراحة إنه لا يستطيع اطعامها ، كثيراً ما ذهبت إلى أمها تضم وليدها . تسألها عن أحوالها فتحمد الله وتشكر فضله ، لا تريد ازعاج أمها ، تنتظر ميعاد الغداء حتى تشبع جوعها الذى استمر أحياناً يومين . فى الأيام السوداء عرفت الفاكهى وطالب الأزهر . تذكر تلقفتها المستمر وراءها أثناء ذهابها إلى أحدهم . فى الزعفرانى رأت دخول عاطف الجامعى لحظة ظهيرة ، نزلت مرتجفة الساقين فى صباح باكر جداً ، أبطأت خطواتها عند عودتها حتى رآته ، عيناه غائرتان ، بعد مروره تجهم الصباح ، لا تدرى ما الذى هاجمها ، تذكر بعناء أن حزناً لم تعهده ، لم تعرفه حتى فى لحظات الجوع ، حزناً ترفق بها وقسا عليها ، لا تدرى سبباً ، ربما هدوء وجهه أو الأسى الغامض فى ملامحه ، ربما تعمدتها المشى البطيء وهز رديها ، بماذا سيجدى هذا ؟ مجرد التفكير فيه محال ، لم تدر كيف تقرب منه ؟ لو رصدوا تفكيرها ستمتزج الفضيحة بالسخرية ، ألم تختر إلا عاطف الجامعى ؟ فشلت نبيلة المدرسة فى جذب انتباهه ، لكن لم تمض إلا خمسة أيام حتى جاءت لحظة تجاوزت نجلها كله ، قالت فيها « صباح الخير ياسى عاطف » ، أجبها ، لمحت أسى لا تلاحظه إلا هى . امتلأت بهجة وضوء أشد سطوعاً مما حلمت به والاستحمام فيه فوق سطح بيت ، إنها لا تخشى منه ، ترى انكساره ، فى انحناءة كتفيه ، فى تذكرها له عندما تخلو بنفسها ، فى قبو قمرز أمسك كتفها ، لم تطالبه

بالكف ، لم تبد حتى اعتراضاً مفتعلاً ، بدا لها أنه من الطبيعى أن يفكر فى جسدها منذ اللحظة الأولى ، لتبدأ علاقتها بين ذراعيه ، فى لحظة معينة يمس فى أذنيها ، تصغى إلى تسارع أنفاسه ، ستمر بيدها على ظهره ، ستحتوى عاطف الجامعى حلم نساء الحارة . تسأله لماذا يبدو مهموماً ؟ ستحاول فهم ما سيقوله ، فى القبو قالت « أنا تحت أمرك فى السر » ، فى القبو وضعت يدها على ما ظنته وهما فى البداية ، أيقنت انكسار الأندى ، ربما لمصيبة حلت به . الضيقه من أمر ما . عندما احتضنها فى القبو بدا كأنه يلوذ بها من أمر غامض ، لم يهاجمها كالفاكهى ، بدا طفلاً يتلمس الأمان حتى قالت بلا وعى « يا حبيبى » ، كأنها تناغى ابنها ، تمتت الانفراد به بسرعة ، لن تلف ، لن تدور ، لن تتباطأ عليه فى تقديم كل ما لديها ، وعندما تصل النشوة إلى ذروتها ويحل الهمود ، تتطلع إلى عينيه ، تحكى له أيامها ، لىالى انتظارها لعبده زوجها وعودته بالأرغفة والطعمية ، تفوح منه رائحة الأحماض والتيلة وعفن الأصباغ ، حتى ما جرى لها مع الفاكهى ، لكن لو أنها امرأة أخرى هل سيرحب بها عاطف ؟ إذا ذهبت إليه أم يوسف فهل يصدها ؟ أليس شاباً يحتاج إلى امرأة ، لكن ما يهدئها أن ما أدركته لن تعرفه امرأة أخرى ، قنوات خفية اتصلت بينها ، دمها من دمه ، راودتها أمنيات حبيبة ، أن تجلس معه يوماً فى الشمس فوق حشائش خضراء ، حديقة نائية حيث لا يعرفها أحد ، يتحدثان ، يصمتان أحياناً ، حسرة توجعها ، لن يحدث هذا ، لو طلب مقابلتها فلن تجد لديها جليبا ترتديه تحت ملاءتها السوداء الممزقة ، لن تطلب منه شيئاً ، ستقدم إليه ما يمكنها ، ستغسل ثيابه ، تنظف بيته ، ستجعله يشم رائحة الطعام البيتى عند رجوعه فى الظهر ، ستزبل الغبار من فوق ألواح الزجاج ، تصف الاكواب والاطباق فى المطبخ ، تعرف موقعها منه ولن تتجاوزها ، عندما مضت إليه التزمت الحذر خوفاً من اللسنة الزعفرانية الحادة ، تجنبنت أم محمد التى تجلس دائماً أمام البيت ، عندما دخلت شقته بدت لها سطحاً خلا من الشمس ، البلاط عار ، لونه رمادى يتخلله مربع ملون كبير من بلاط



أحمر، بدا همود البيت وحزنه جزءاً من الاسبى الذى أدركته فى عيني عاطف،  
عندما تجرد من ثيابه بسطت جسدها لملاقاته، غمرها حنان، عندما ابتل جسده  
بالعرق ونأى لم تضيق، الغريب أنها لم تتوتر بالرغم من مضى شهرين على آخر  
مرة نامت فيها مع بائع الفاكهة، مدت يدها لكنه أبعداها، خيل لها أنها أدركت  
حقيقة انكساره، تذكرت قولاً تردده دائماً، الدنيا لا تعطى من جميع النواحي، إذا  
أعطت من ناحية أخذت من ناحية أخرى. لم تضيق، عندما بدأت ارتداء ثيابها  
أبرزت نهديها، تحسست ردفها، ربما أثارته على البعد، لكنه دفن وجهه فى  
الوسادة. ودت لو وضمت رأسه على صدرها، ناغته، هدهدته، خافت رد  
الفعل، فى الأيام التالية اختل ميعاد خروجه المسائى، سمعت أم سهر تقول إن  
الانسان يمكنه ضبط ساعته على ميعاد خروجه اليومى، ماذا يظن بها؟ هل يقطع  
كل شيء؟، لأول مرة تسعى إلى رجل مدفوعة بخفقات قلبها، بالقلق  
المصاحب لابتعادها عنه، بالاستيقاظ كل صباح على حلم عذب، الجلوس إليه  
فى حديقة تغمرها الشمس، إن ضيقاً يأكلها، هل انتهى ما ظنته بدأ؟ لأنها  
أدركت ضيقه وانكساره. بعد اعلان الزعفرانى تذكرت همسه المنحوق «لم يحدث  
لى هذا من قبل»، نبض الامل داخلها كحركات الجنين الأولى، رأت فى  
الطلسم سبباً قوياً لاستمرار ما بدأ، لم يحركها نحوه مجرد رغبتها فيه، بساطته،  
حديثه اليها بديل للحظات النشوة، انتظرت يوم الجمعة أمام الحارة. قررت أن  
تمشى وراءه والحديث إليه عند ميدان الحسين، لن تعبأ بالنساء والرجال، لكنه  
لم يخرج، اعتصم بمنزله، إن ضنى شديداً يعذبها، لم يبد اهتماماً بها، ربما يجد  
البرر من وجهة نظره بعد الطلمس، تضيق بالبيت خلال الأيام الاخيرة، تجلس  
فى ركن بالصالة حيث تنام مع طفلها الصغير وأمها. تتوه نظراتها فيما يحيطها،  
وحدث أن دخلت الحجرة الوحيدة التى تنام فيها سكينه وزوجها، لاحظت  
سكينه هذا، نظرت إلى اختها بقسوة، لم تلحظها روض، بدت وكأنها تبحث  
عن شيء، خيل لسكينه أنها أرادت الحديث إلى القادوسى زوجها وعندما رأتها

تراجعت، منذ عودة المياه إلى مجاريها بينها وزوجها تحرص تماماً ألا تفقده، ما  
جرى فى الزعفرانى أخيراً جعل مرقدها شوكاً وحصى، إنها لم تتجاوز الثلاثين  
بعد وتزوجت ثلاث مرات، تم زواجها الأول وعمرها خمسة عشر عاماً من لطفى  
الصائغ، أحبها وأحبته، أثت لها حجرتين بالعطوف الجوانية، بها الماء والنور،  
اشتري لها راديو كهرباء، لكن أمه سعت بينها حتى دب الخراب، بعد عام  
واحد من الزواج وهى فى السادسة عشرة، من الحلم بابن الحلال، بعد عام  
جاءها صبرى شقيقها الذى يعمل بالإسكندرية وقال إن عريساً ليبيياً يبحث عن  
زوجة، حدثه عن شقيقته فأبدى استعداده، فرحت أم صبرى، انتشر الخبر، قيل  
إن العريس ثرى جداً، سيرسل إلى أم صبرى راديو وتليفزيون وفستان حرير  
طبيعى، تم الأمر كله فى ثلاثة أيام، لم يأت العريس إلى الزعفرانى، أقام فى  
لوكاندة البرلمان بالعتبة، قامت أم صبرى بتزيين ابنتها، رافقتها أم سهر وبثينة  
وأم نبيلة إلى اللوكاندة، فى الفجر ركبت السيارة مع زوجها إلى ليبيا، بعد  
عودة النساء إلى الزعفرانى أبدين سخرية من العريس. قالت أم سهر إنهم لو  
وزنوه ذهباً فلن تزوجه سهر، وقالت بثينة إنه يقف على قدمين أحدهما فى الدنيا  
والأخرى فى الآخرة، مضا الأيام ولم تصل أم صبرى أى هدايا، فى شهر رمضان  
تناقلت الزعفرانى خبيراً يقول إن سكينه أرسلت لفة قمر الدين وكيلو تفاح  
أمريكانى، أطمأنت الست بثينة مع مرور الوقت وخشيت فى البداية أن ترسل  
سكينه بعض الأجهزة الحديثة التى ترفع قدر أم صبرى فجأة، الحقيقة أن الأم  
نفسها أدركتها خيبة أمل، لكن خوفاً من شماتة النساء وسخر يتهن تعمدت أن  
تتحدث عن العز الذى تعيش فيه سكينه، قالت إن ابنتها تظفر غسل النحل  
والجن الأبيض وتأكل اللحم يومياً، نساء الزعفرانى أبدين شكاً، لوصح ما  
تقوله لظهر أثر ما عليها، لكن جلبابها الأسود لم يتغير، لازمت أم صبرى وجيعة  
لانقطاع خطابات سكينه، وبعد عامين من سفرها جاءت الحاجة فوقية صديقة  
أم صبرى الحميمة، بعد دخولها زاعقة باسم الله وبعض الأدعية، قالت إن رسولا

جاء من ليبيا وأخبرها بأحوال ابنتها حسنية ، وقال أخباراً عن سكينه نقلها عن حسنية المقيمة في نفس البلدة ، سكينه غير سعيدة ، ألا يكفي أن زوجها طاعن في السن ، لا نفع منه ، إنما تتعرض لاضطهاد أبنائه الشبان والشابات ، يعتبرونها خادمة ، يحصون عليها أرغفة الخبز ، السكر والشاي ، انزعجت أم صبرى أسرعت وقتها إلى الشيخ عطية في الفترة السابقة على احتجابه ، جاءت إجابته مؤكدة لما نقلته الست فوقية ، قال إنها تعاني كرباً ، في اليوم نفسه نزلت إلى زوج الست خديجة طلبت منه كتابة خطاب إلى ابنتها لحضورها فوراً نظراً لمرض والدتها ، لم تبال بانزعاج سكينه ، لكنها خافت ألا يسمحوا لها بالسفر إذا وجدوا الخطاب عادياً ، شاع مضمون الرسالة في الزعفراني ، هزت النساء رؤوسهن وتغامزن ، ما تبأن به حقيقي ، أكدت بثينة أنها تعرف سيدة من الطبقة الراقية تقيم في قصر حوله حديقة بالعباسية ، ابنتها متعلمة تعليماً أجنبياً ، لا تنطق كلمتين بالعربية ، تتحدث عدة لغات ، باهرة الجمال ، خطها أحد أثير ياء الدول الزنجية ، دفع مهرأ ، انقطعت أخبارها بعد سفرها معه ، وتزايد القلق بأمرها حتى اضطرت إلى استئجار طائرة خاصة لترى ما حدث لابنتها ، وعادت مفاجئة ، أعجب الرجل بامرأته الحلوة ، البيضاء ، وفي إحدى الليالي تزايد إعجابها بها فأكلها ، قالت أم سهر هذا جزء الأمهات اللواتي يبعن بناتهن ، سهر لن تغادر مصر ، وعندما تتزوج ستسكن بالقرب منها ، بل ستزورها إحدى حجرات الشقة المقيمة بها ، أكدت أم نبيلة أن ما جرى لهذه العروس الثرية أمر مقدر ، سمعت كثيراً عمن يأكلون البشر إذ أن ابنتها نبيلة الملتحقة الآن في كلية الآداب قسم انجليزى أخبرتها عن نيام نيام أكلة بنى آدم ، المهم أن الست أم صبرى لم تتلق رداً خلال شهر ، أرسلت خطاباً ثانياً ، ثم ثالثاً ، ورابعاً ، وبعد خمسة شهور رأت أم صبرى رجلاً غريباً يدخل الزعفراني ويقرأ عناوين البيوت ، صاحت عليه من النافذة تسأله عن مقصده ، قال إنه يبحث عن أم صبرى ، زعقت « أنا خدامتك أم صبرى » ، أطلت النساء ولأن الست بثينة تسكن نهاية الحارة ، فقد

سألت أم نبيلة عما يجري فقالت إن رجلاً جاء إلى أم صبرى وأخبرها بوصول ابنتها فجر اليوم ، لم ير أحد سكينه بعد عودتها ، لم تطل من نافذة ، وعندما توجهت الجارات لتحياتها جلسن في الصالة ولم يدخلن الحجره لمرضاها ، والحقيقة أن سكينه قاست أعواماً خشنة ، رافقتها ذكريات بشعة بعد عودتها ، لفترة طويلة بدت غير راغبة في الاختلاط بالحريم ، أو الخروج ، وعندما جاء كمال القادوسى بعد عام من رجوعها وطلب الزواج أبدت خوفاً ، لكن أمها طمأنتها وقالت إن العريس مضمون ، أجرت حوله التحريات اللازمة ، ثبت حسن أخلاقه ، وانتماؤه إلى وظيفة يتقاضى منها حوالى سبعة جنيهات شهرياً ، إلى جانب عمله بعد الظهر في دكان ورق قديم ، بدت سكينه حريصة جداً على زواجها الجديد ، تعرف أى حيرة ، أى ضياع وتلف يلحقها بعد انتهاء علاقتها برجل ، واجهت الخوف من المجهول عندما عاشت في بلد بعيد كأنه ينتمى إلى كون آخر ، أثناء سفرها راحت تفكر ، من سيرضى بها بعد أن أصبحت كالبضاعة التالفة ؟ تود الآن الاستمتاع بهدوء وراحة بين أحضان رجل حقيقى ، من أجل خلوة ليلية في صندوق حجرتها المعلق تحتل أى مضايقات من زوجها ، خلوة تحكى له فيها عما رآته عندما ذهبت تشتري حاجاتها ، تتوسد ذراعه ، تمرر أناملها على كتفيه وصدرة العارى ، فى الأيام الأولى لزواجها ظنت أنها مدركة راحة البال ، لولا أن القادوسى كشف عن أمر أخفاه ، ظننا مدخرة بعض المال بعد إقامتها فى ليبيا ، سألها كثيراً ، ضايقها ، فتش بعض المواضع فى البيت بحثاً عن كيس يحوى جنيهات أو دفتر توفير ، مع كل استفسار منه تضيق لكنها لا تغضب ، توشك على الاختناق لكن صوتها لا يعلو ، ما يوجعها رؤية نفسها هدفاً للطمع باستمرار ، فى ليبيا طمع الشيخ وأولاده ، هنا يطمع زوجها فى ثروة وهمية لم تحصل عليها ، لا تملكها ، احتملت كثيراً ، حتى أيقنت أنه لم يقبل على طلب يدها إلا مع ثقته بوجود ثروة لديها ، أشد لحظات ضيقها عندما تفاجأ بهمس فى الفراش ، أين المال ، كم ؟ لجأ إلى كافة المحاولات ، ذهب إلى الشيخ عطية

لينيته بمكان الثروة، أضمر في نفسه ما سيقوله للشيخ عن سبب اهتمامه، إذ أنه ينوى افتتاح دكان لبيع أوراق الصحف القديمة، سيديره لحساب امرأته ولن يأكلها في مليم، لكنه لم يستطع مقابلة الشيخ، ذهب إليه بعد بدء احتجاجه، برغم صبر سكينه حدثت مشاجرات عديدة، اختلفا حول أسباب تبدو للبعض تافهة، تجاوزها لمصروف البيت بقرش أو قرشين، تركها موقد الغاز مشتعل بدون أن تضع فوقه «طبخاً» أو ماء، يتصاعد صوته، يحمر وجهه، أحياناً يمزق ثيابه فتلطم خديها لأنه لا يمتلك قيصاً آخرأ أو جلباباً ثانياً، يضرب صدره بقبضته، يقوم إلى الصلاة، يصدم كل ما يقابله، يستدير فجأة متناولاً حذاءه، يدفع سكينته وأمها ثم يمضى طافشاً، في المرة الأولى انزعجت بكت ميل حظها وتعاستها ليلة بأكملها، فشلت محاولات أمها لتهدئتها، أكدت عودته بأسرع مما تتصور، فعلا عاد في اليوم التالي، جاء وبه اعياء، عندما آوت إلى ذراعيه بكى، طلب منها أن تسامحه، اجرم في حقها، هي لا تدري ما يلاقيه من مذلة في العمل وضيق وعسر حاله، وقلة ما بيده، احتضنها، أوشك أن يقبل يدها، دمعت، اهتز جسدها بالانفعال، ارتجفت كفرخ حمام، فجأة سمعته يهمس، لو تخبره بما أدخرته لكان كل شيء، تزايد ارتجافها، سحت عينها دموعاً غزيراً، لم تمض أسابيع إلا تشاجرا مرة ثانية، في هذه المرة غاب ثلاثة أيام كاملة، خرجت تبحث عنه في المقاهي المحيطة بالحسين، تتمنى اللقاء به صدفة، عندئذ تحنو عليه، تعتذر إليه برغم قسوته عليها، تصحبه إلى البيت، لكن في مثل هذه الظروف لا يلتقى الإنسان صدفة بمن يبحث عنه، مضت إلى الشيخ عطية، وجدت بابه مغلقاً، في نهاية اليوم عاد القادوسى متجهماً، لم يبد ندماً، اضطرت إلى مداعبته، غسلت قدميه في الماء والملح الدافىء، فيما بعد تعودت منه تقلب أحواله وخروجه، بعد عودته تعلن أنها مخطئة، وتنحاز أم صبرى إلى القادوسى بينما تغمر لابنتها سرا، تؤكد سكينته استعدادها لأي عقاب يلحقه بها، لا تريد حياتها الفشل خاصة أنها أم لطفلين الآن، وتتقدم في السن، إذا طلقت للمرة

الثانية فن يرضى بها زوجة؟ يبدو أن القادوسى أدرك هذا، إنه يغضب لآتفه الأسباب، يسارع بهجر المنزل عقب أول بادرة خلاف، آخر مشاجرة قضى بعدها أطول فترة خارج البيت، استغرقت مساعى أم صبرى شهراً كاملاً، ذهبت إليه فى عملة، رجعت زملاءه، ولجأت إلى بعض بلدياته، عاد معها ليجد أن عدد المقيمىن فى الشقة ازداد بحضور روض ابنتها بعد طلاقها من زوجها عبدة عامل المصبغة، لم تمض أيام وطلسمت الزعفرانى، كالعادة ألقى المسئولية عليها، لو قبلت الانتقال معه منذ سبع سنوات إلى الغرفة التى عثر عليها بحارة الجوانية لأنقذ مما حل به، لكنها رفضت وقتئذ، لماذا؟ لكى تبقى بجانب أمها، تساءل ساخطاً عما جنته من البقاء إلى جوار أمها إلا التحس؟ هنا قالت أم صبرى بهدوء، لو تذكر جيداً لما قال ما قاله، عندما عثر على الغرفة لم يمتلك وقتئذ مبلغ الخلو، بدأ صوتها يخنق عندما قالت انها أرهقت نفسها من أجلها، تركت لها السرير ونامت فوق بلاط الصلاة ليمتعا ببعضهما، الأكلة الجيدة تحرمها على نفسها وتوفرها لهما، هل نسى القادوسى هذا؟ بدأت فى البكاء، ارتبك القادوسى لكنه أراد أن يبدو غير عابىء بهذه الدموع، لأول مرة تبكى، أمر غير عادى أن تبكى، المرأة الشهمة الأشد بأساً من الرجال، التى لا تدع مناسبة إلا حضرتها، استمر فى الزعيق قليلاً، اندفع ناحية الباب، بمجرد خروجه كفت أم صبرى، قالت جادة إنه فى أزمة وعليها احتمال، ستسعى لدى الفران، خادم الشيخ، سمعت اشاعات حول رفع الطلسم عن ثلاثة ذكور زعفرانيين، ستبذل جهدها كله، ستجند اتصالاتها القديمة بالمشايخ والسيدات الفاضلات المريدات الصالحات ليتوسطن لدى الشيخ فيرفع الطلسم عن القادوسى، فى هذه الليلة عاد مبكراً، الحقيقة أنه التزم هذه العادة منذ طلسمه الزعفرانى، لكن ثمة هما أضيف إلى هوم سكينته. لاحظت نظراته تجاه روض، فحجته فى الحديث إليها جذبت اهتمامها، ان روض تبدو ساهمة، تظل كثيراً من النافذة، لا تعود من الخارج إلا وتكتشف أنها نسيت شراء شيء، تخرج من جديد، تلتقى نظراتها



عرضاً بالقادوسى ، من يدري ، ربما يفكر فى تجربة نفسه معها ، تبدو له حلوة ، متماسكة ، ربما منحتة ، ربما بددت أثر الطلسم ، ولأن البيت ضيق ويمكن رؤية ما يجرى فيه من أى موضع ، دأبت سكينه على رصدها . اليوم لحظة خروجها من دورة المياه لمحت روض تدخل الغرفة ، هل بلغ الأمر هذا ؟ بدت روض مفاجأة بوقوف القادوسى فى ملابسها الداخلية ، ارتبكت ، لم تتكلم سكينه ، أضمرت غيظاً ، بعد خروج زوجها تساءلت عما تريده روض من القادوسى ؟ هل تأمل فيه خيراً ؟ من أين يجيء الخير والحارة كلها مطلسمه ؟ بوغت روض ، سمع صوتها بعد قليل ، تعلن رأيها فى القادوسى ، لو عرضوه عليها بعد انتهاء الرجال من العالم لما قبلته ، لوحت سكينه بذكرى عبده الصباغ الذى يسد الأنوف بنتانة رائحته ، تفيض روض بما قالت سكينه ، لا بد من اسكاتها ، ماذا يقول عاطف عند ما يسمع الزعيق ؟ سيقول إنها ليست فقيرة وجاهلة إنما عجزية أيضاً . تبدو سكينه شرسة ، منفوشة الشعر ، تلوح إلى كميات الأكل التى تلتهمها روض فى الوجبة الواحدة ، إلى الأصوات التى يحدثها أبناها فى الليل والتى تمنع زوجها من النوم ولا تمكنه من الذهاب إلى عمله صحيحاً معافى كل صباح ، تحدثت عن ارهاقها المستمر وتظيفها البيت ، وإعداد الطعام ، وذهابها إلى الجمعية وصراعها المستميت لمدة أربع ساعات فى الزحام حتى تمكنت من شراء كيلو سمك بستة عشر قرشاً طفحت منه روض التى لاهم لها إلا فرد شعرها والخروج ، تنبأ الزعفرانيون بتطور الشجار إلى تبادل اللكمات ، تابعت الست بثينة باهتمام . نظراً لبعدها النسبى اضطرت للاستفسار عدة مرات من أم نبيلة ، عندما أدركت ان السبب غير سكينه على زوجها ، طاف بعقلها خاطر غريب ، هل تغار سكينه على زوج عاجز ؟ ربما بقيت لديه القدرة ، هل ستعثر على الرجل الوحيد فى الزعفرانى أخيراً ؟ هل ستداوى أرقها وضيق أنفاسها الليلية وتقلبها ، ستولى اهتمامها للقادوسى منذ الآن ، خرجت نبيلة المدرسة ، زعقت بعبارات شبه افصحى ، متسائلة عما يجرى ، المفروض أن يهدأ الأهالى خلال النهار ، إذ لا فسحة

للوقت بالليل حيث ينام الجميع اعتباراً من الثامنة ، فى ظل هذه المشاجرات لا تستطيع متابعة محاضراتها الجامعية ، وقبل دخولها الشقة رمقت شرفة عاطف ، نظرت أم سهير إلى فريدة وفى عينها سخرية ، تلمح خفية إلى كلام الأستاذة نبيلة وإشاراتها المستمرة إلى انتسابها الجامعى ، صمت الشجار فجأة ، قيل إن امرأة على المكوجى التى تسكن فى مواجهة أم صبرى لمحت روض تسقط باكية ، بدت سكينه مترددة لحظات ، تقدمت من شقيقتها ، احتضنتها ، سمع صوت بكائها واضحاً ، علقته امرأة الصول على ما جرى بان الزعفرانى بها مس من الجن .

### المشاجرة السادسة (لم تتم) :

حدث نفس الليلة أن أصدر الشيخ تعليمات جديدة ، تضمنت مطالب يمكن اعتبارها أوامر . كل ما ينسب إليه يعتبر شديد الخطورة بالنسبة للزعفرانيين ، تبدو بعض التعاليم شاذة ، غريبة ، لكن لا يسمع احتجاج ، أو تعجب ، لا يجهر أحد بمعارضته ، اعتراضات تثور فى الأذهان ، لكنها لا تعلن ، بل تجرى محاولات من مشيرها لاقصائها عن تفكيرهم . من يدري ، ربما أدرك الشيخ ما يخفى ولا يظفوا ، تضمنت تعاليم الليلة نقاطاً هامة نلخصها فيما يلي :

• منع جميع المشاجرات ، بحيث يسود الزعفرانى الهدوء سواء فى اليقظة أو النوم .

• ضرورة بدء الافطار فى لحظة واحدة ، وتوحيد أنواعه ، يقتصر على الفول والحليب .

• حذر الشيخ بعض الذين يقودون حملات فاشلة ضده ، وذكر للمرة

الأولى إن القواد التكرلى حام حول البيت الذى يقيم فيه الشيخ ، وقال إنه لم يتقدم ناحية الماوى خطوة واحدة ، وقال إن من يظن نفسه قادرا على وقف ما يجرى فى الزعفرانى - وهذا مستحيل - هل يستطيع إيقاف ما يجرى فى العالم ، هل « يوقف زمن الفرار » .

قيل إن الشيخ سيلحق أضرارا لا تخطر ببال مخالفه . إلى جانب إبقائهم ناقصى الرجولة . ربما سخطهم . وهذا فى مقدوره ، منذ سنوات تتحدث الزعفرانى عن حجرين غريبين أمام الفرن ، كل منهما فى حجم لوح الثلج ، قة كل منهما أقل حجما مما يوحى أن لهما شكلا آدميا ، يتجنب زبائن الفرن الاحتكاك بهما ، أو الجلوس فوقها أثناء فترات الزحام الشديد على الفرن قبل عيد الفطر التى يتخللها انتظار طويل للحصول على صاجات الكعك الفارغة . تقول الحكايات إن كل حجر منها أصله آدمى ، غضب عليه الشيخ لسبب غامض فسخطها . أحدهما امرأة والآخر رجل . لומר أحد بالقرب منها ساعة الفجر سيسمع نسيجا وبكاء صادرا من الحجر القائم إلى اليسار ، إن رأس الفجلة يقع الآن تحت وطأة أفكار مفزعة وخواطر تهز ثباته ، لأول مرة بتأثر عالمه الداخلى بأسباب جديدة عليه . لم يهتز إلا لخسارة المال ، أو ضياع فرصة أوشك خلالها على اقتناء شىء ثمين يضيفه إلى مخزنه ، عبث فريدة الصبيانى لم يزعجه ، بل أرضاه أحيانا ، طوال زواجهما قام بواجبه ، أشبع فيها وفرجها ، حتى جاء الطلسم فأبدل وحول ، فريضة وابسته مازالتا بالخارج ، ميعاد النوم يقترب ، كيف يتصرف ؟ هل ينتظرهما ويكسر تعاليم الشيخ ؟ أم ينام ثم لا يدري فى أى ساعة عادتا ؟ اضطر إلى تغيير نظام حياته وسبب هذا خسائره . دائما يغلق دكانه فى فترة الصباح بينما يذهب إلى صالات المزادات ، تجار الروبايكيا ودكاكين التحف القديمة ، يعرف الباعة الجائلون ، يطيل البحث والتنقيب فى الأشياء العتيقة ، يسعد جدا إذ يجد مجموعة من زجاجات فارغة أو آلة كاتبة قديمة ، أو أغلقة مجلدات

أنتزعت ، أو مخابرة نحاسية ، أو تماثيل مثبتة إلى قواعد من خشب ، أو دفاتر حسابات قديمة مثقلة بالأرقام ، ينتهى من جولته فى الواحدة ظهرا ، يدخل المخزن بما اشتراه ، يخرج إلى بيته ، يتناول غداءه ، إنه يعتمد على زبون آخر الليل بالنسبة للدكان ، منذ سنوات طويلة لاحظ أن دكاكين البقالة فى الحى تغلق أبوابها بعد الحادية عشرة ، كثيرون يبحثون عن أطعمة خفيفة أو عشاء لأولادهم بعد هذه الساعة ، حتى الثانية صباحا لا يجدون إلا دكان رأس الفجلة ، ربما أدى سهره إلى سهولة عمله كمسحراتى ، لا يدري كيف ستصبح الصورة عندما يأتى شهر رمضان ؟ هل يسمح الشيخ بالسهر ؟ إلى جانب هذا هو البقال الوحيد الذى يبيع البيرة ، إن زبائن البيرة معروفون ، معظمهم يشربها بعد عودته من عمله الليلى . من المناظر المألوفة رؤية دكان رأس الفجلة مضاء وسط الشارع المظلم الضيق ، ودكة خشبية يجلس فوقها رجلان أو ثلاثة يتحدثون إلى رأس الفجلة الذى لا يفتح فيه إلا نادرا ، بعضهم يشرب زجاجة كاملة ، آخرون يحتسون كوبا .. كوبا ، إنه يفضل هؤلاء لأن بيع الزجاجة مجزأة يربحه ثلاثة قروش زيادة فى الزجاجة الواحدة . بعض شاربي البيرة يتحدثون إليه طوال جلوسهم ، يتكلمون على مهل مطيلين فترات شرايهم برغم ما يلاقونه من صمت ، راحة تغمرهم لوجود إنسان يسمع . إن رأس الفجلة يهتز تأثرا لبعض ما يصغى إليه ، لكن انفعالاته لا تتم عنها حركة أو اختلاجة ، اضطر إلى العودة مبكرا الليلة وإغلاق الدكان ، خسر زبائنه الليليين ، لاحظ منذ إشاعة ما حدث قلة تردد الرجال عليه ، سمع الحاج السنى بائع الخبز المجاور له يقول إن الرجل الزعفرانى لو لم يسيئ شيئا ثم انتقل إلى آخر سيلحقه الطلسم ، أدت هذه المخاوف والأقاويل إلى تناقص الزبائن ، ما يغيبه أيضا عدم قدرته على توفير الوقت اللازم لمروبه على تجار التحف ، كل لحظة تمر بدون بحث تعنى أن شيئا ثمينا ونادرا التفتقه آخر ، ما يعتز به أنه أحسن حالا من غيره ، طاحون أفندى اضطر إلى الرقاد فى البيت وطلب أجازة مرضية ، عجزت جهوده عن تغيير مواعيد عمله ، لم يستجب

له أحد، لم تنفعه خفة حركته، والمعلومات الدقيقة التي يعلمها عن الوزراء والمحافظين ورؤساء مجالس الإدارات وكبار الموظفين وضباط الجيش عبر السنوات العديدة المتعاقبة، لا يذكر اسم مسئول كبير أمامه إلا ويذكر فوراً مؤهلاته وعائلته وأسرة امرأته، أصدقاءه والمراكز التي يحتلها أقاربه، إنه ملازم الآن لبيته، يتحدث بصوت عال من النافذة عن مشروع يجب البدء فيه، يعلن عن نواياه في نقل تفاصيله إلى الشيخ ليشرح عليه، منذ يومين أثناء نزول رأس الفجلة فتح طاحون باب شقته، بدأ يتحدث عن السراهل الذي سيفضي به إلى جاره الغالي، تحدث عن أنفاق يمكن حفرها. تهدف إلى المساواة التامة بين الفقراء والأغنياء، أصغى إليه جامد الوجه، عندما أتم طاحون حديثه أكمل نزوله كأنه لم يسمع حرفاً، إن طاحون يظل من النافذة دائماً، يتحدث إلى النساء جاراته، أم يوسف لم تعد ترى مطلة إلا قليلاً، الأسطى عبده لم يعد قادراً على مقاومة اضطهاد الست بثينة التي أصبحت تستفز جداً من بقائه عاجزاً كأى خرقة أو قطعة أثاث قديم، حاولت معه، استخدمت أساليب عديدة. لجأت إلى مشايخ كتبوا أحجية وتعاو يد، لم ينفع شيء، سرى نبأ في الزعفراني بهروب عبده السائق، كثيرون حاولوا التنبؤ بما سيجرى له. هل سيرفع الطلسم عنه بعد هجره الحارة؟ رد البعض مذكراً بما قاله الشيخ لحظة شروق الشمس، إن أثر الطلسم لاحق بالإنسان، أبدى آخرون أسفهم، قالوا إنه سيقضى عمره مطلقاً، بعد زوال الطلسم لن يتسامح الشيخ مع الذين تركوا الزعفراني، أو تمردوا عليه أمثال التكرلي الذي يجهره في سبيل إتمام عمل يخلص الجميع، الأسطى عبده أضاع على نفسه فرصة شفائه بين الثلاثة الذين تؤكد الهمسات عودتهم إلى أحوالهم الطبيعية خلال أيام. إن خواطر سوداء تهاجم رأس الفجلة الآن، شعور يقوى لديه بإمكانية حدوث أشياء لم يتوقعها، عندما يمضي إلى تجار التحف، عندما يبحث في الأكوام المهملة، في نفايا الزمن، لا يفارقه يقين بعثوره على شيء مبهر، غامض لا يدري ما هو، لكنه نادر جداً، ثمين للغاية، متى يعثر

عليه؟ لا يدري، ما يتوقعه الآن تغيير هائل في حياته، أفكار معينة تدركه، يراوغها، يتأمل بعض المتاعب الطارئة عليه بسبب الأوضاع الجديدة، منذ الغد سيحمل طبقاً يتجه إلى أم سهير ليحصل على افطار العائلة، سيدفع إلى عويس ثلاثة أمثال ما سيدفعه البنان، أو زنوبة، المطلقة، أو أحمد النجار زوج خديجة الصعيدية، نصت تعاليم الشيخ على أن يدفع كل زعفراني مبلغاً يوازي تكاليف إفطاره اليومي، استثنى رأس الفجلة وعاطف الجامعي، ونبيلة المدرسة والداطوري، كل منهم سيدفع خمسة عشر قرشاً، لا يذكر رأس الفجلة إنه تناول إفطاره في البيت، يجف لعابه في الصباح، عند العاشرة يتناول كوباً من الشاي في أى مقهى يلقاه، منذ الغد مضطر إلى تناول إفطاره في تمام الثامنة والرابع مع الحارة كلها، من خلال الأيام الماضية أدرك إمكانية التعود على كل شيء، أصعب الأمور لا تبدو ممتعة إلا في البداية، الآن ترن الساعة القديمة رنة واحدة باهتة الملامح، رنة تحرك رائحة معينة، ربما رائحة أركان الصالة التي لا يدركها ضوء الشمس، أو رائحة خشب المقاعد القديم، تذكره بزمن قديم، يدق قلبه، لم يبق إلا عشر دقائق ويحين نوم الزعفراني، ليغلق النوافذ، ليطفىء أنوار الحجرتين، لا يخدع، لا يناور أوامر الشيخ، لكن الخوف مما قد يحدث يرهقه، أثناء جذبه مصراع النافذة أطل لأول مرة في حياته يراقب عودة فريدة، الزعفراني هامدة، البيوت مسها شيء ما، رفع رأسه، لمح الجزء من الثانية حسن أنور يقف في الشرفة، مشدود القوام، يرتدى الحلة العسكرية التي اشتراها منه، أمس جاءه، بلهجة رسمية بدأ حديثه، طلب حلة عسكرية مهيبية، إنتاب رأس الفجلة حماساً، ذهب إلى المخزن، عاد حاملاً زياً عسكرياً كاملاً، حلة يميل لونها إلى الأصفر المشوب بخضرة، على جانبي الكتفين رمانتين من خيوط برتقالية لم يضع زهاء ألوانها، الصدر مثقل بمجموعة نياشين براقية، وصلبان زرقاء، يتسع البنطلون حول الفخذين ثم يضيق عند الساقين، القبعة لا تساعد على تحديد جنسية الذي ارتداها في الزمن القديم، يتوسط مقدمتها نسر ضخم،



جناحاه مبسوطان ، أبدى حسن أنور بهجة صادقة ، إزداد سروراً عندما قدم إليه رأس الفجلة عصا خشبية رأسها مغطى بمعدن أصفر كالذهب ، طلب رأس الفجلة خمسة عشرة جنياً ، قطب حسن أنور حاجبيه ، قال إنه سينقذه الآن عشرة جنيات ، سيدفع المبلغ الباقي أول الشهر ، وافق على توقيع إيصال بالخمسة جنيات ، أدى تحية عسكرية ، لم يهتم رأس الفجلة ، كل ما يراه هذه الأيام محيراً ، أغرب ما جرى له عجزه وبقاؤه في البيت ، الخلل أدرك هيكله العظمى ذاته ، بدل موضع الفقرات ، خواطر صغيرة كوميض مصباح كهربائي متقطع ، يرى فريدة في بيت غريب عارياً ، يرى وجهها ، يلحظ ما تحدته النشوة في ملامحها ، تستدير في غرفة ما ، أين موقعها ، ما عنوان البيت ، من رآها أثناء دخولها ؟ تنزل قدميها ، تتحسس موضع الشبشب ، تعتقد شعرها فوق رأسها ، تطلب من رجل إدارة رأسه حتى تكمل إرتداء ثيابها ، تمشط شعرها . يقوم ، يثيره ملمس قيصها الداخلي ، كأنه لم يضاجعها طوال الليل ، لم يتحسس جسدها كله ، تبدي مقاومة واهنة ، تتسرب إليه الحرارة ، تهمس بخذر ، «أنا تأخرت» ، رأس الفجلة عاجز عن معرفة مكانها ، يذكر أقوال الشيخ ، ما يسرى على الرجال يشمل النساء عدا واحدة ، ربما نجت فريدة من الطلسم ، وإذا لم تنج فهل ستبوح بما جرى لها ؟ سواء وفق الغريب أو فشل ، هل يمنع الطلسم عيث الأيدي ، وتحسس الصدر ، والأرداف ، إنه يروح ويبحث ، يفكر في الصعود إلى أمه فوق السطح ، في فتح الشرفة وتأمل حسن أنور . هل ينهى وقفته الغربية عند الثامنة ، أم يكسر النظام ؟ فكر في ضرب الجدار بقبضته ، في الصراخ ، أن ينزل المخزن ، هل يمكن اتفاق امرأته وابنته ؟ يفترقان في مكان معين ، تمضى كل منها لقضاء مأربها ، تلتقيان في المكان ذاته لتعودا معا ، يجلس متصلبا على مقعد مجاور لباب الشقة ، ترمى الساعة ثمانى دقائق كالفجعة ، جرى ما جرى ، غدا سيهرع إلى عويس ، يعلن ندمه وأسفه ، قبل أن تدق الساعة التاسعة فتح الباب ، نظر إلى فريدة ونشوى ، ينقبض قلبه ، فريدة تبدو راضية ، عبرت ابنتها الصالة ، قالت

فريدة « زمن الفرار » ، رد تحيتها ، يخيل إليه أن عبارات السلام العادية قيلت في أزمان نائية ، تمت إلى لغات متفرضة ، خطوات فريدة سرية ، تحاول الابتعاد عنه ، لم يقل حرفاً ، لم يتحدث إلى ابنته ، ما يربطها واه ، كثيراً ما ينظر إليها أثناء عبورها أمام الدكان ، يتساءل ، «أحقاً هذه ابنتي ؟» طقطقة السرير تحت جسد امرأته ، على مهل تمدد إلى جوارها ، صمت بارد ملاً الفراغ ، بعد لحظات قال وعيناه معلقتان إلى السقف ، التأخير حتى الثامنة مضر ، قالت إنها لم تتأخر كثيراً ، ليس من المعقول ترك ابنتها بمفردها مع مدرس غريب . ينقبض رأس الفجلة ، أوشك على الصراخ ، أي مدرس هذا ؟ ألم تقل إنها ستلقى الدروس مع مجموعة ؟ تذكر إنقضاء ميعاد النوم ، عدم إباحة الزعيق ، خرجت ألفاظه ممضوعة بين أسنانه ، قالت إن ابنتها اتفقت مع إحدى المدرسات لكنها لم تف نظراً لانشغالها الشديد ، حاولت الاتفاق مع أكثر من مدرس ليحضر إليها في البيت ، بالفعل جاء مدرس لكن أولاد الحرام استقبلوه ، لم يجروا على الدخول ، بعد بحث قبل مدرس إعطاءها دروساً في بيته ، لم تأمن على نشوى فذهبت معها ، صمت ، إن رأس الفجلة يغلى ، أين هذا المدرس ؟ أهو أعزب ؟ ألا تبدو الأم مغربية أكثر من الابنة ؟ هل تتسرّ البنت على أمها ؟ دائماً ردود فعله بطيئة أمام الأمور المفاجئة ، في الليل تقلب مرات ، خيل إليه أن امرأته تنهد براحة ، برقت صور قديمة ، سرورها في الأيام التالية للدخلة ، عينها تضيئان الفراش ، تأوهات الشيع والفرح باكتشاف منابع المتعة ، في اليوم التالي قطع جولته اليومية ، قرر مواجهتها ، بعين عقله رأى المدرس يحتضنها ، يميل بجسدها متمهلاً ، نشوى تنتظر في الصالة ، لم يتخذ مواقف عنيفة أبداً ، يجب ألا يتردد الآن ، يجب عليها الاحتمال ، يعرف زوجات أخلصن لرجالهن بعد دخولهم السجن والحكم عليهم بالمؤبد ، ما جرى لم يحدث له بمفرده ، الزعفراني كلها تعاني ، الرجال لا يعارضون أملاً في الخلاص ، عند مدخل البيت نادى عليه طاحون ، اضطر مرغماً إلى الوقوف ، قال إن القواد التكرلي أرسل إلى صحيفة بما جرى ، وأن صحفياً

جاء إلى مقهى الداطوري يستقصي الأحوال ، وأن طالباً يقسم الصحافة أبلغ الأحداث إلى رئيس التحرير المشرف على تدرّيبه ، ويقوم بجمع الأنباء ، لكنها لم يدخلها الزعفراني ، ولم ينشر شيئاً بعد ، وأن مخبرين من الأمن المخصوص سألا في الحى عما يحدث ، يبدو أن الحكومة شمت أخباراً ، هز رأس الفجلة رأسه ، هم بالدخول ، لكن طاحون أشار إلى أعلى ، حسن أنور يقف مرتدياً الزي العسكري ، يتأبط عصاً قصيرة ، يرفعها من حين إلى آخر ، يشير إلى أعلى ، إلى أسفل ، بسرعة دخل رأس الفجلة ، وقف أمام امرأته ، يعلو صدره ويهبط بسرعة ، حرص ألا يتلفت داخل الغرفة حتى لا تظنه يبحث عن رجل مختبئ ، مطمئن إلى هذا ، تساءلت عما يجري ، عما به ، ماذا جرى ؟ نظر إليها ، إن العبارات التي فكر فيها ، الصور المتوالية طوال الليل والنهار تبتعد الآن ، لا يدري ما جرى ، ربما الخوف من تطور الحديث إلى زعيق حرمة الشيخ ، ربما لشعوره بالحاجة إليها الآن ، لا يتخيلها بعيدة عنه ، يضيق بعجزه لكن وجودها اعتاده ، طريقة حديثها ، نظراتها ، رائحتها ، إنه في حاجة أشد إليها الآن ، فريضة تبدى دهشة ، يرفع رأسه ، لكم تبدو جميلة الآن ، تخفى ضحكة حرصاً على عدم استفزازه ، لم تعهد طريقة دخوله ، يجيئها صوته هادئاً ، فيه ذلة غريبة ، استسلام ، قال إنه لم يحدث ما يزعجها ، كل ما في الأمر أنه عثر على تحفة رائعة ولم يجد معه ما يكفى من نقود فجاء إلى البيت ليستكمل ثمنها ....» .

\*\*\*

### « مذكرة رقم ( ١ ) ، من قسم بوليس الحى القديم الى هيئة الأمن الأعلى »

« .. أفادت تحريات رجال البوليس السرى التابعين لقوة القسم أن أموراً غامضة تجرى فى حارة الزعفرانى ، منذ عدة أيام ولا أحد يستطيع دخول الحارة فيما عدا سكانها ، بدعوى الطلسمه ، وكل من يطؤها يلحقه أثر الطلسم ، ويتلخص أثره فى سلب الرجال أعلى ما يملكون ، قواهم الجنسية ، وترتب على هذا عدم تمكين بعض الموظفين الرسميين من أداء أعمالهم . وقد وردت إلينا بلاغات عديدة نوجزها فيما يلى :

١- بلاغ من موظفى مصلحة الكهرباء ( قسم التحصيل - فرع الحى القديم ) بخصوص عدم تمكنهم من الكشف على استهلاك السكان من الكهرباء عن شهر مارس ، والفرع يطلب اتخاذ إجراء عاجل وإلا اضطر إلى قطع التيار عن الحارة كلها .

٢- بلاغ من هيئة الآثار « تفتيش الحى القديم » ، بخصوص عدم قدرة مفتشة الآثار سعاد أبوزيد عن الدخول إلى الحارة ، لقيامها بأعمال التفتيش الدورية على الأثر القديم رقم ( ٤٣ ) ، وهو بقايا منزل من العصر المملوكى الثانى ، ويضم نقوشاً جصية وألواحاً رخامية ، وحشوات خشبية ، والتفتيش يتطلب اتخاذ إجراء من جانب الأمن لحماية هذا الأثر ، أو تمكين المفتشين من دخول الحارة بدون تعرضهم لأثر الطلسم .

٣- بلاغ من المدعو التكرلى ، ضد المدعو الشيخ عطية ، وبعض أهالى الزعفرانى .

٤ - بلاغ من الأسطى عبده السائق بالنقل العام ضد زوجته بثينة الشريطى ، يتهمها بطرده والاستيلاء على حاجاته .

٥ - بلاغ موقع : « رجال الزعفرانى » يطلبون حماية حرمهم من بعض القوادين المحترفين الذين بدأوا يترددون على مقهى الداطورى .  
وأقادت التحريات أن المدعو الشيخ عطية بدأ يفرض رغباته على الأهالى المطلسمين ، وحدد مواعيد ثابتة ، لنومهم واستيقاظهم ، تعارض هذا مع ظروف البعض ، كما حدث لأحد العاملين بمصلحة السكك الحديدية ، أيضاً قام الشيخ بإجبار الأهالى على الأكل فى مواعيد محددة ومن أنواع معينة ، كما يقوم بعمل إذاعة على الأهالى بواسطة أحد المتعطلين ، ويعتبر هذا تعدياً على الجمهور ، كما تدخل فى أمور تخص الجهات المسئولة ، من ذلك تعهده للأهالى بضمان الأمن والطمأنينة إذا طبقوا ما يطلبه ، وقوله إنه سيعيد ترتيب العالم ، وحديثه عن تعميم أثر الطلسم تدريجاً ، وتولييه مسئولية كافة المواطنين .

رجاء الإحاطة ، واتخاذ اللازم ... »

•••

« بعض الحوادث الزعفرانية » .

واضح أن أوامر الشيخ لا تنفذ تماماً فور صدورها . يبدو بعضها فى البداية شاق التحقيق ، يعلن البعض تمرده ويديه آخرون سراً ، لكن استمرار الرفض ضعب فى ظل الطلسم ، مخالفة الشيخ تؤدى إلى مزيد من غضبه ، حدث بعد منع المشاجرات وقوع حوادث صغيرة ، شهد منزل الصول حالتين فى يوم واحد ، اولاهما فى شقته ، لم يهمه الطلسم أو عجز الحارة كلها ، أيضاً امراته ،

الصول يقترب الآن من الخامسة والسبعين ، عمرها مشدود إليه ، سنواته جزء حى من أيامها ، لا يقدر على البقاء ساعة واحدة بدونها ، إذا خرجت لشراء خضار أو لحمة يقلق ، يظل . يلمحها قادمة فيصيح طالباً منها الإسراع ، يقضى وقته فى الحديث عن أصدقائه القدامى وزوجاتهم وعاداتهم ، أو يبحث عن صندوق قديم ليفكه ثم يعيد نجارته ، أو يدق قاعدة النافذة ، يعلق صورة ، عندما يحاول اللعب بأسلاك الكهرباء ترجوه امراته الابتعاد ، تطيل الرجاء ولا يستجيب إلا بعد أن تحلفه بحياة الأمير ولى العهد . مع مضى أيام الطلسمه بدءا يقلقان . ستعرض حياتها لحدث يساوى أثره ما جرى للأهالى ، لم يستطيعا تخمين ما سيجرى ؟ سكنى عويس فى البيت ترهبها ، يخيل لها سماع أصوات وقرقة فى عمق الليل . عندئذ يرفع الصول رأسه قليلا ، يؤكد بحىء الجان إلى غرفة الفران ، يلح عليها ألا تأتى بذكر ما تسمعه ، تهز رأسها بحميمة ، يقول إنه يعرفها ، امرأة ذات لسان طويل لا تطيق الاحتفاظ بسر . لا تحببه فى مثل هذه الحالات ، تطلب منه الهدوء عندما يسترسل فى سبها ، تقول إن الشيخ عطية سيغضب لو علم أنها يتحدثان فى جوف الليل ، التزما بكافة ما أذاعه عويس خوفاً من المجهول الذى قد يحل بها ، لكن اليوم أبدى الصول مخالفة ، حدث بعد استيقاظه أن طلبت إحضار نصيبها من الفول واللبن ، تساءل عن أى شىء تتحدث ؟ قالت إنه إذا لم ينزل الآن فلن يتناولوا لقمة واحدة وسيجوعا ، فجأة وقف ، هل من المعقول أن يأتى زمن يقف فيه الصول ، طباخ الملوك والأمراء أمام امرأة يأنف الإنسان من رائحتها لتعطيه حفنة فول وتعطيه كوب لبن ، اتسعت عينا امراته ، قالت فرعة « اهدأ يارجل يابجنون » ، هل نسى تعاليم الشيخ ؟ ، تذكرت الحجرين الواقعين أمام الفرن ، باستطاعة الشيخ مسحها فتمضى السنون ولا يتحركان ، يشاهدان ما حولهما ، يسمعان الهمسة والصيحة ، لا ينطقان أبدا ، اتخذ الصول وضعا متصلبا ، أعلن عدم خوفه من أحد ، لن ينزل تحت أى ظروف ليحصل على طعام أعد بسرعة ، حاولت امراته تكيم فم ، يمكنها التفاضى عن أى كلام إلا ما تسمعه



الآن، يمس الشيخ مباشرة، تعرف زوجها . ينسى نفسه عند استرساله، آثاره اقترب يدها منه، صرخ بأعلى صوته معلنا تأكده الآن من عدم احترامها له، تدهور الوضع إلى محاولتها تكتيفه، حياته العريضة الحافلة لا تحتل ذل يوم واحد، قطع الصلاة إلى حجرتة، هنا نسيت امرأته كل شيء، رأت الخطر مجسدا، سمع صراخها واضحا . أبدى طاحون ضيقه من هؤلاء الحمقى الذين يخرقون تعاليم الشيخ المباركة . كأن الأمر يخصهم وحدهم ناسين إن الخطأ الفردي يعم بآثاره الجميع، لحظة الصرخة تصادف صعود رمانه السياسى حاملا طبقا مغطى برغيف وكوبا صغيرا ممتلئا باللبن، زعيق المرأة دفعه إلى الصعود حتى الطابق الثانى، زعقت امرأة الصول « البارودة .. » . بعد إصغاء رمانه إلى الصول، إلى حيلته، والأمراء، والأطعمة الفاخرة، وزمان الذل الذى يحاول إجباره على الوقوف فى طابور من أجل حصوله على الأكل، قال رمانه إن الصول تاريخه معروف، لا ينكره أحد، كل ما فى الأمر مرور الزعفرانى بظروف غريبة تدهشة شخصيا، يظن إن ما يحدث فى الزعفرانى الآن نواة أمر غريب لم يتكشف بعد . الموضوع أشمل وأعمق بكثير من ظاهره، وهو لا يرى فى إجراء الشيخ الخاص بالطعام ضررا . وهذا مفيد بالنسبة له شخصيا فهو لم يلتحق بعمل منذ خروجه من المعتقل، نقوده محددة . لن يحصل على أموال من أية مصادر فى وقت قريب، النظام فى بدايته والأمور فى هذه الفترة تبدو عسيرة . بمرور الوقت يصبح كل شيء عاديا، اتكأ على الجدار واتخذ وضعا مسترخيا متجاهلا الغدارة المصوبة إلى رأس الصول، قال إن حياته مليئة بمثل هذه المواقف، عندما دخل السجن الانفرادى لأول مرة فى حياته، فوجيء بضيق الزنزانه، قضى الليلة الأولى مثقلا بالأحزان، أيقن موته لو مضت عليه ثلاثة أيام، استحالة الحياة فى هذا الحيز الضيق حيث لا يمكنه المشى أكثر من خطوتين فى خط مستقيم، حيث لا يمكنه النوم متمددا، حيث لا إنسان يبادل الحديث، فوجيء بمرور أيام العمر، انضغاط الزمن داخل الزنزانه، ربما لعدم تحركه فى المكان حركة واسعة، مر

أسبوع، بعد فترة نسى معالم الأيام، أصبح الزمن متشابها، لا فرق بين الجمعة والسبت والأحد وبقية الأيام، بدأ يحفر خطوطا صغيرة ضئيلة على جدار الزنزانه، هل يدري الصول كم يوما انقضى؟ هز الصول رأسه، لاحظ رمانه تدلى يده المسكة بالغدارة، ستة شهور وأربعة أيام لم يكلم مخلوقا، توقف رمانه، قال إنه سيذكر حادثة أخرى ذات دلالة أعمق . فى أول أيام السجن عندما دخل العنبر جاء إليهم أحد السجناء بالغذاء، إناء كبير ملىء بسائل أخضر اللون، تطفو فيه أوراق نبات، وأجسام مستديرة، اسطوانية الشكل، نظر إلى الطعام بتقزز، أدار ظهره، لحظ إقبال زملائه الذين قضوا فترات متقطعة من أعمارهم فى المعتقلات، لاحظ شرههم، يذكر قوله لنفسه وقتئذ، السجن يعلم الروح الإنسانية الغلظة، فى المساء جاء العشاء، فول مدمس، حبات لم يرى مثلها، لابد من نزع القشور عنها ثم استخراج السوس من داخلها حتى يمكن أكلها، ابتلع حبات، فى اليوم التالى جرع الشربة الخضراء المسوخة بشراهة، فيما تلا ذلك استمتع بها، أقسى الأمور تلين مع الزمن، ما فعله الشيخ لا يخلو من خير، أثناء وقوفه فى الطابور سمع طاحون يتحدث عن خروجه مرة ليشتري إفتارا لأولاده، رأى أول الحارة احدى النساء المطلقات، الضيق يمسك بها، اقتربت منه، دعت له بالسّر، طلبت منه قرشين لتشتري بها طعاما، قال رمانه إن الاجراء الأخير يجنب النساء الخروج الى بائعى الخضار والجزارين ووقوفهن أمام الجمعيات التعاونية، خاصة أن البائعين دأبوا على التعرض لهن بسخيف الألفاظ خلال الأيام الأخيرة، بالطبع فإن امرأة كريمة كزوجة الصول .. هنا لوح مقاطعا ان من يجرؤ على التعرض لامرأته سيفرغ فيه هذه، هنا أدرك رمانه اللحظة المناسبة، طلب منه وضع الطبنجة الملكية مكانها، عندئذ نظر الصول إلى امرأته، قال إنه من أجل الرجل الذى عانى وسجن سنوات طويلة من أجل المبدأ سيعيد النظر فى موقفه الحالى، عاد رمانه إلى حجرتة، تذكره تلك الأيام بالسجن، فنذ سر يان الطلسم لا يخرج . جزء كبير من وقته يقضيه فى قراءة كتب، أو استرجاع الأيام

النائية . منذ أيام زاره شاب زعفرانى ، قال إنه حسان بن حسن أنور ، علم  
بخروج رمانه ، يرغب فى توثيق علاقته به ، ابدى ترحيبا أضمر شكاً ، علمته  
الأيام الجهممة المليئة بالجواسيس ان يشك دائما فيمن يقبل عليه . تحدث إلى  
حسان بحذر ، بعد يومين ايقن حماس الشاب وطمأه الى المعرفة . تذكر ايامه  
الخضراء عند جلوسه الى « بدر » الذى علمه الاشتراكية وحب الناس ودله على  
أولى خطوات العمل السياسى السرى ، رمانه ينتظر حسان اليوم ، حتى الآن  
طرقا موضوعات عامة ، يرغب رمانه فى استكشاف هذا الجيل ، يود مناقشته فى  
امور كثيرة ، بعضها يتعلق بالجامعة ، ما يجرى فيها ، ما يحدث فى الزعفرانى ،  
أحوال والده الذى سمع عنه أقوالا متضاربة ، لم يستطع الاسترسال فى تفكيره .  
سمع صراخ طفل فوق السلم ، ولأن اتفه الحوادث يمكن اكتسابه أهمية الآن فقد  
أسرع بفتح باب غرفته ، مال فوق الحاجز الخشبي ، امرأة ضخمة تميل على طفل  
صغير ، ترفع يدها لتنهال عليه ضربا ، صاح رمانه ، « حرام ياست » احتسى  
الطفل به ، سب المرأة من خلال بكائه ، فوجىء رمانه بالسب بثينة تقرب منه ،  
لامسه صدرها الضخم ، برقت عينها من خلال البرقع واليشمك الذهبى ،  
عينان واسعتان تعبران عن كل ما يحمله الجسد الهائل من رغبة ، قالت إن هذا  
الولد اسمه يوسف وهو ابن الست أم يوسف التى تسكن تحت رأس الفجلة ،  
أثناء خروجها رآته يقف أمام حجرة عويس ولأنها سيدة حرة وشريفة لم تطلق  
المنظر ، أمرته بالانصراف ، لكنه أخرج لها لسانه ، عندئذ انهالت عليه ضربا ،  
تساءل رمانه عما لا تطيقه ؟ خفت صوتها أرسل قشيرة فى جسده ، قالت . أم  
يوسف امرأة شرهة ، فى حاجة دائما إلى رجل يبرد نارها . ظنت الغيبة أن  
عويس هو الوحيد القادر نظرا لقربه من الشيخ ، بدأت تحوم حوله وها هى ذى  
ترسل ابنها إليه ، ضربت صدرها ، هل رأى أحد أفدح من هذه المصيبة ؟ هز  
رمانه رأسه بدهشة ، جرأة السيدة أدهشته ، خوضها هذه الموضوعات ببساطة  
شديدة ، نظراتها وحركات يديها تقول معانى أكثر مما تحكيه ، كأنها تود أن ينطق

رمانه مصرحا أنه هو الوحيد الذى أشار إليه الشيخ عطية ، قالت إنها لن تقبل  
الحال المائل ، نزلت السلم متمهلة ، عند كل درجة تلتفت إلى رمانه ، لا يدري  
أحد كيف وصل التبا إلى أم يوسف ، فوراً اندفعت محاولة الخروج ، لكن طاحون  
تصدى لها بحزم ، بصوت خفيض ذكرها بما قد يعود عليها ، إنها تخالف الشيخ ،  
تدفق الدم إلى وجهها ، أيقن أن حقها سيدفعها إلى الحارة ، الزعفرانيون ينتظرون  
دائماً مشاجرات الست بثينة وأم صبرى أولاً تليها خناقات أم سهير وأم يوسف ،  
إن المشاجرات التى تشترك فيها احداهن تصبح فرجة للأهالى ، أى منهن تتمتع  
باستيعاب ثروة كبيرة من ألفاظ السباب ، والتشبهات ، وإن تميزت كل منهن  
بخاصية معينة . الست بثينة تقرر سبابها بالتصفيق ، وتلعيب الحواجب بلا  
توقف ، وايتاء حركات راقصة ، ويرجع الزعفرانيون ذلك إلى احترافها الرقص  
زمننا ، أما الست أم صبرى فتعتمد على ضخامة صوتها وقد تلجأ إلى كشف أجزاء  
من جسدها ، ويقال إنها فرشت ملاءتها السوداء فى إحدى المشاجرات وبدأت  
ترفع ثيابها ، وعندما اندمجت فوجىء الأهالى المطلون للفرجة تخلع ثيابها كاملة  
حتى أصبحت عارية تماما كما ولدتها أمها ، وزاحت تستدير إلى جميع الجهات ،  
وكثيرا ما تدعى إلى الاشتراك فى خناقة بجارة أخرى ، وظهورها كفيل بإسكات  
أى خصم ، ويشاع أن لها معجبين يتتبعون خناقاتها ، ويمضون وراءها إلى  
الحارات القريية أو البعيدة . أم سهير تعرفها الحارة بصيحاتها الوقور التى تطلقها  
فى البداية « الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر عليك يا ابنة ال ..... » ترسل السباب  
غير ناظرة إلى الطرف الآخر الذى تشتبك معه ، تهز قبضتها مرارا ، وترعش  
اصبعها الوسطى ، ورغم بداية شجارها الوقور لكن الزعفرانى تتأهب لسماع  
أكبر قدر من الحكايات المليئة برموز جنسية ، وإذا احتد الموقف تغادر شقتها ،  
تقتحم المكان الذى تتحصن فيه خصمتها ، تنهال عليها ضربا ، تذكر الحارة  
توجهها إلى محاسن امرأة على المكوجى ، جثمت فوقها ، انهالت بفردة شبشب  
قديمة عليها ، ترتب على ذلك عدم قدرة على المكوجى الاقتراب منها شهرا . أم

يوسف تبدأ في هدوء ، توجه حديثا عاديا إلى الجارات ، عادة لا يكف الطرف الآخر بل تزداد حدة الزعيق . هنا تتوارى أم يوسف دقائق ، تعود حاملة طبلية ، تنقر عليها ، تنظم إيقاع شتاها ، اضطر طاحون إلى إمساك ذراعها دفعها إلى الجحرة الداخلية ، فوجيء ، لأول مرة يلمسها منذ أيام . نعمتها أرسلت قشعيرة في جسده . يتذكر المرات العديدة عندما أحاطته ، بأسى يذكر لحظات ملله ، ضيقه بجسمها ، يود الان لو شرع في عناقها ، لكن وماذا بعد ؟ كأنه يجري في طريق طويل ثم يصطدم فجأة بحاجز خفى ، لم يأت الصراخ بفائدة ، لو يخبط صدره ، لو يفتق عينيه ، لو يعض الأرض ، لكنه كالمثوق ، أفكاره تلقى ظلالات كشيعة على عينيه ، يأتي صوت امرأته مبوحا ، خافتا ، ترجوه تركها لترد على هذه الفاجرة ، قال طاحون إنه لا يريد اغضاب الشيخ ، انتزعت ذراعها ، ضربت صدرها ، ارتمت فوق البلاط ، تعض يدها ، تشد شعرها ، الغريب أن صوتها يعلو برغم حدة انفعالها ، من بين حشرجاتها تقول إنها لا تطيق زمتنا يضرب فيه ابنها ولا تستطيع الرد ، يزحف صوته خارجا راجيا منها الصبر مؤكدا عدم سكوت الشيخ على ما فعلته بثينة العجربة ، طوال اليوم لم تخرج أم يوسف ، لم تظل من النافذة ، لكن الست بثينة لم تهدأ ، لم تستقر في موضع واحد خمس دقائق متصلة ، تخرج لتشتري أتفه الأشياء ، الساعة الثامنة خرجت لتشتري إبرة خياطة ، مرة أخرى وصلت إلى بيت القاضى وعادت متمهلة ، إن قلبها يتفحم في صدرها لأسباب عديدة . لم يسبق إنقضاء مثل هذه المدة بدون أن يقرأها رجل ، تذكر لياليها مع الأسطى عبده الآن ، استعراضه فنونا يتقنها عندما ينظر إليها ويأصح الرضى يسعد جدا ، يغادر الفراش إلى المطبخ ، يعصر الليمون ، يقدمه إليها وهي ترقد مسترخية ، برغم فحولته يخشى إزعاجها إذا تأخرت قليلا في النوم ، كثيرا ما غادر البيت بدون أخذ مصروفه ، لا يحتفظ بنقود معه ، يسلمها مرتبه كله أول الشهر ، وتتولى تدبير الأمور كلها ، خلا البيت من الرجل الذى اعتادت أن تأمره وتناه . أن تراه قابعا في الصالة ينتظر خروجها من الحمام ، في

لحظات كثيرة تمنى لو طرق الباب وتراه داخلا ، لكنها لم تكلف نفسها عناء السؤال عنه ، لم يذهب إلى ناظر المحطة حيث يبدأ خط الأوتوبيس ، عبده لا أهل له ، لا تعرف له أما أو أبا أو شقيقة ، لم يتحدث يوما عن عمه أو خاله ، لم يتوجه لزيارة أحد أقاربه في العيد ، لم يزر مريضا ، لم يواس مصابا ينتمى إليه بصلة دم ، تذكر عجزه فلا تطيق تخيل ظله ، مع ذلك تشعر بوحشة شديدة في ليالي الزعفرانى الخالية من الحركة ، والحس ، آخر النهار دهمتها وحشة ، أطلت . لم تلمح إلا لطيفة ، نادتها ، لن تتأخر عليها ، أثناء صعودها السلم يراودها أمل الحصول على الطعام ، إنها تعاني عوزاً ، هل تستحق هذه المرأة الحديث إليها ؟ ما العمل ، لم تجد غيرها ، ستجد منها إصغاء واهتماما ، أبدت ضيقها من فجر بعض النساء ، وافقت لطيفة بهز رأسها ، ثم قالت إن الزمن فسد ، الدنيا لم تعد هى الدنيا ، الشيخ على حق عندما أبدل عبارات التحية بجملة واحدة ، فعلا هذا زمن فرار ، فرار من الحب والطيبة والاخلاص ، الحقيقة أن لطيفة لا تدع فرصة بدون الاشادة بأعمال الشيخ خوفا أن يلحق الأذى ابنها في غربته باعتباره زعفرانى الأصل ، لأول مرة تتمنى ألا يحضر ابنها خلال تلك الطلسمه ، تطرقت الست بثينة إلى موضوعات أخرى ، ذمت بعض النساء ، هزت لطيفة رأسها ، هاجمت الست بثينة رجال الزعفرانى المستسلمين لما لحقهم ، سكتت لطيفة ، موافقتها على هذا الكلام فيه مخاطرة ، هاجمت بثينة نبيلة المدرسة ، وصفتها بالنفخة الكاذبة ، الغرور ، تظن نفسها مهمة جداً لا تنسابها إلى الجامعة ، مهما تدرجت في الوظائف لن تستطيع مخالطة واحد من معارف بثينة في الزمن القديم ، قالت لطيفة إن بنات هذه الأيام متعجرفات ، خبطت بثينة ركبها ، قالت إن هذه العجرفة ظاهرة ، نبيلة هذه مرتبة عشرة جنينيات ، تطبخ حلة مكرونة يوميا في البيت وتأخذها إلى المدرسة حيث تبيع السندو يتشات إلى التلاميذ ، تضطهد من لا يشتري منها ، قالت إن عائلتها تعيش بصعوبة ، شقتهم تقع أمامها مباشرة ، لم يحدث أن شمت رائحة بصل يقلى في سمن ، كل ما يصدر عن مطبخهم رائحة



الزيت ، لا يذوقون اللحم إلا مرة كل شهر ، تضايقت لطيفة ، تبدو هزيلة  
نحيلة ، لا تشم رائحة الدسم إلا بعد وصول حوالات ابنها الشحيحة ، إنها حساسة  
جداً تجاه ما يمس فقرها ، بعد ثوان قالت لنفسها أن بثينة لا تقصد ما قالته ، كل  
تفكير بثينة اتجه إلى نبيلة هذه ، غضب مفاجيء يملؤها ، نبيلة هي الزعفرانية  
الوحيدة التي لم تخض مشاجرة حتى أمها لا يسمع لها صوت فيما عدا بعض  
مناقشات حول الأسعار مع الباعة الجائلين قبل انقطاعهم ، على مهل تتجه إلى  
الشرفة ، الوقت الآن يميل إلى الغروب ، لا شيء يرحم عقل بثينة إلا الاحتكاك  
بهذه البنات وكشف غرورها ، يبدو أن الظروف لم تدعها تنتظر طويلاً ، قذف  
بعض الصبية كرة فيما بينهم ، انهم أطفال زعفرانيون إذ أن الأمهات في الحوار  
القريبة حذرن أطفالهن من اللعب بالزعفراني ، تصارع الأولاد ، هنا ظهرت  
نبيلة ، تمسك كتاباً ، صاحت ليكف الأولاد عن لعب الكرة حتى تتمكن من  
مراجعة المحاضرات . تلك لحظة مناسبة ، علا صوت بثينة ساخراً تساءلت  
مستنكرة عن حجم الضجة التي أثارها الأولاد ، أم من الضروري افتعال المواقف  
لتذكير الناس بانتساب البرنيسية الدائخة إلى الجامعة ؟ فوجئت نبيلة تماماً ،  
بدت نبرة الهجوم واضحة لدرجة أن عدداً من النساء سار عن بالنظر ، بعضهن  
أقسمن أن اليوم لن يمر بخير ، مصممت نبيلة شفيتها دهشة ، زعقت بثينة إنها لا  
تطبيق رؤية بنت مفعوصة ، عانس تجاوزت الثامنة والعشرين ، مدرسة الزامى ،  
تموت شوقاً إلى شم عرق رجل ، لا تستحم إلا كل شهر مرة ، بنت قليلة الحياء ،  
تعاكس الرجال وتتحكم في الزعفراني ، ألا يكفي ما جرى حتى تجيء مفعوصة  
لتأمر وتنهى ، فوجئت الحارة كلها بهذا الهجوم الخاطف المركز الذي شنته بثينة ،  
بدون مقدمات ، لم يلاحظ أحد أن توترا سابقاً بين بثينة ونبيلة ، سارعت نبيلة  
بالدخول منادية أمها ، صوتك بباك مذعور ، صاح أحمد النجار مطالباً بثينة  
بالتعقل ، ما تفعله يضر الحارة كلها ، لأول مرة يرتفع صوت عاطف الجامعي « لا  
يصح يا ست بثينة » إن ماء مغلياً يصب في عروقها ، فرصتها مواتية الآن للهجوم

على شخصين لم يجرحها أحد أبداً ، تساءلت ، هل يحشر عاطف نفسه لأنها  
تدرس في الجامعة التي تخرج منها ، أم لأن الأمور وراءها ما وراءها ، لا يخفى  
عنها أمر مما يجرى في الزعفراني ، لا داعي للكلام الآن ، لكن إذا ظنا تعاليمها  
على الحارة فيها مخططان ، بثينة أعلى الأهالي مقاما ، طالما عذبت رجالاً لا يعلم  
عاطف بالجلوس إليهم ، وربما تدرس عود البوص هذه تاريخهم الآن ، يطم عاطف  
شفتيه ، يتوارى داخل شقته ، كذلك أحمد النجار . حتى خديجة الصعيدية لم  
تظهر ، يخفت صوتها ، وحشة السكون المفاجيء تدرك قلبها ، رعشة خوف  
أدركها ، تود لو رأت عبده الآن ، البلاط المكشوف ، الجدران القديمة ، الصور  
المحاطة بإطارات باهتة ، الباب الذي لا تنتظر أن يطرقه أحد ، الوحدة الليلية  
ترعبها ، الغيظ المفاجيء والانفعال الحاد يتحول الآن إلى رعب ، صوت خفي  
يكسر عليها فكرة غريبة ، لو أغمضت عينها لن تفتحها قط ، ترقب الضوء  
الرمادي المقبل في أصرار قاس ، تبدو أيامها البعيدة منتبهة إلى شخص آخر ،  
الحرب ، الصالات ، الانجليز ، إنطفاء الأنوار فجأة ، رنات آلة القانون الشجية ، لا  
تذكر اسم احد هؤلاء الأغراب ، تذكر تفكيرها الساذج قبل أن يلمسها أول  
واحد منهم ، هل ستجده مختلفاً عن المصريين ، تذكر تقلصات وجهه ، خالفت  
عادتها أن تغمض عينها ، أحد أصدقائها المصريين حدثها عن ضعفهم ، تجربتها  
معهم أثبتت العكس . أنات النشوة ، أضواء الصالات ، طرقة الزجاجات عند  
فتحها ، لكم يبدو هذا ضئيلاً الآن ، عرفت راقصات ومغنيات أمتلأن بالحرارة  
والحيوية ، بعضهن سقطن فجأة ، تخشى مداهمة الموت ، لكم يبدو مفزعاً ، تغمض  
عينها ولا تفتحها ، لا ترى أحلاماً ، لا توقظها ضجة ، لن يعرف موتها إلا بعد  
تحلل جثتها وفواح رائحتها ، ترى الزعفرانيين يحاولون كسر الباب ، أصوات تعلقو  
« فعلا لم نرها منذ أيام » ، « منذ أن زعقت لنبيلة لم يسمع صوتها » « هذا ذنب  
المسكينة التي لم تأت ذنبا » ، تجلس في الصالة مستسلمة لبرودة قاسية ، خلال  
الوقت المتبقي حتى نوم الزعفراني لم يرها أحد في الشرقة ، لم يسمع صوتها ، لكن

هذا لا يعنى أن الهدوء ساد الحارة ، سرت أخبار حوالى السابعة بظهور أغراب بمقهى الداطورى ؟ أكد على المكوجى أن بعضهم قادم من الهند يحمل حلا للمشكلة ، قال طاحون أنهم موظفون جاءوا يستقصون الأحوال . موضوع الزعفرانى لم يعد خافيا ، والدولة مكلفة بحماية المواطنين ، ربما استدعوا الأهالى واحداً ، واحداً ، ماذا سيقال لهم عندئذ ؟ اتجه إلى عويس ليطلب منه نقل تساؤل إلى الشيخ عما يمكن إجابة الأغراب به ؟ والحقيقة انه خلال اليومين الأخيرين لجأ طاحون إلى عويس عدة مرات مستفسراً عن أمور صغيرة كى يضمن ترديد اسمه لدى الشيخ ، وعده عويس بنقل استفساراته ، لم يكذب وعداً ، يقول كل ما يسمعه عن الأهالى ولا ينتظر تلقى جواب سريع ، عرف بأمر هؤلاء الأغراب ، ربما جاء أحد من البلدة يسأل عنه ، ربما أرسل المعلم أبو الغيظ يستدعيه ، لن يصل إليه إنسان ، ينسى تدريجياً ملامح بلدته البعيدة ، والمعلم أبو الغيظ ، والحمام ، والأفندية المحترمين ، بقاءه بمفرده فترات طويلة يجعله راحلاً باستمرار إلى سنوات عمره ، كثيراً ما حلم بحجرة صغيرة ، ورائحة طيبخ تنتظره ، وزوجة ، أزدادت معالم الحلم وضوحاً بعد مجيئه مصر ، برغم نومه فى الفرن ، بخار الحمام الخانق ، رطوبة بلاط الرصيف المحيط بمسجد الحسين ، اعتبر هذا كله أموراً عابرة تمهد لأيام الاستقرار ، إذن عليه الاحتمال ، عندما استأجر الغرفة استبشر خيراً ، قضى ليلته الأولى سعيداً ، يتأمل سقف الحجرة المائل والمستعمل كسلم أيضاً ، يصغى إلى وقع الخطوات الصاعدة والنازلة ، بدا نومه صعباً خاصة أن عمله وقتئذ فى الحمام يقتضى سهراً ومجهوداً عافياً مع الأفندية ، برغم مضايقات الحركة فوق السلم ، بمجرد خروجه يغود إليها خفيف الخطى ، لأول مرة فى المدينة الكبيرة هذه يمتلك مفتاحاً لمكان مغلق ، يخلع فيه ثيابه ، يتعمى ، يضحك ، يبكى ، يحن كما بهوى ، لا يخشى عسكري دورية ، أو هجوم نشال أو لص ، خلال الأيام الأخيرة ينظر بخوف إلى سنيته المنقضية ، ثلاثين قضاهاً باحثاً عن اللقمة . يقعد ساكناً بين المتحدثين ، يتردد على الأفراح ليس

مشاركاً إنما عارضاً خدماته ، فى المآتم لا يلتفت إليه أحد ، يتخطاه حاملو القهوة ، من يدري كم من السنوات ستقضى حتى يفرج عنه الشيخ ؟ فى البداية ظن أنه سيشفى سريعاً نتيجة لوضعه المتميز ، مع مرور الأيام ثقل عليه ، يودع جزءاً من عمره فى حجرة الشيخ كلما ذهب إليه . إن فكرة استمراره طوال عمره فى هذا الموضوع ليست غريبة ، سقط فى أسر مريب ، لحظات معينة تفاجئه رغبة موجعة رهيفة حادة كسن الموس فى الذهاب إلى مقهى أبو الغيظ ، يلتقى بأهالى بلدته ، يستفسر عن أخبارها ، حتى أمنيته فى امتلاك عربة خشبية ، مالها تضاءلت ؟ هل يفك الشيخ قيوده بسهولة ؟ كلما ذهب إليه يفاجئه خوف ، يحرص جداً على تنفيذ ما يطلب منه ، حتى لا يمسح قطاً أو حجراً ، الزعفرانيون لا يتجاهلون الآن ظهور قطة سوداء منذ أسبوع ، تقف قريبة من طايور الطعام ، أقسمت أم صبرى أنها سمعتها تتحدث بلغة آدمية ، لم تفسر ما قالته لتملك الخوف منها ، يعاملها الجميع برفق ، يمنعون الأطفال من مطاردتها أو قذفها بالطوب ، رهبة داخلهم تؤكد لكل منهم إمكانية لقائه نفس المصير ، سرت إشاعة لا يدري مصدرها تقول إن القطة مسخ لعن مصطفى العربى بائع الذرة المشوية ، لم يره أحد منذ فترة ، يبدو أنه أطلق تهديدات أغضبت الشيخ بعد أن لحقه الظلم أثر دخوله الزعفرانى أول يوم . أكدت أم صبرى أن التكرلى سيلقى مصيراً مشابهاً . يبدى عويس اهتماماً بالاغراب ، خاطر يئبه إلى وحدته ، إلى انقطاع الدنيا عنه ، اهتمامه بهؤلاء الرجال مشوب بحنين ، لا بد من أخبار الشيخ خاصة أنهم لا ينتمون إلى جهة واحدة ، كما يقول الزعفرانيون ، وأوهم يجلسون متباعدين ، كل منهم لا يعرف الآخر ، حوالى السابعة والربع سرى أن شجاراً يجرى أمام مقهى الداطورى حدث أثناء عودة التكرلى وامراته أن تعرض أفندى من الأغراب لها ، نهره التكرلى بهدوء لكن الرجل لم يرتدع فاشتبك ، لكن قيلت رواية أخرى ، عندما لمح الغريب التكرلى قام وصافحه ، دعاه إلى الجلوس ، لكنه بدا متحرجاً ، أشار إلى امرأته التى تقدمته خطوات ، هنا اتجه إليها الغريب ، أشار إلى التكرلى

قائلا إنه بوسعه الحصول على ثروة لو أصغى إليه ، قال إن الحارة الآن بلا رجال  
وباستطاعتها العمل فوراً ، تصاعد الدم إلى رأس التكرلى ، ارتعشت أطراف  
أصابعه ، صاح أمرا الأفندى بالابتعاد ، زعق الاخر قائلا أن مدحت بك لم ينس  
بعد الجنيحات العشرة التى سرقت منه فى بيت التكرلى ، يجمع الشهود أن جسد  
التكرلى انتفض هائجا . كأن جسده كله تحول إلى قبضة سددت إلى الرجل ،  
قفز ناحيته ، ألقاه أرضا ، مال على أذنه ، غرس أسنانه فيها ، أسرع عدد من المارة  
محاويلين تفرقة الرجلين ، قام رجلان آخران ، ابتعدا عن المقهى ، لم يتدخلوا لإنقاذ  
الأفندى الغريب الذى كان يجلس إليهما ، لا يريدان زج أنفسهما فى عراك قد  
ينتهى بقسمة الشرطة ، تتكشف حقيقة كل منهما ، أكثر الواقفين ذعرا هى امرأة  
التكرلى ، يعرف أى حد من العنف والدموية يمكن أن يصل إليه ، فى مثل هذه  
الحالات يمكنه القتل ببساطة ، نفس بساطة استقباله للزبائن العديدين أعواماً  
طويلة ، بساطة فرشته ملاءة السرير للزبائن ، جلوسه منتظرا امرأته ، اطلاعه من  
ثقب الباب على تمرغها فى أحضان غريب ، تعى المرات التى مشيا فيها معا ،  
بمجرد سماعه كلمة غزل ، أو إذا لاحظ احتكاكا متعمدا بجسدها ، ينتفض  
جموحا ، يخوض أعنف العراك ، أطلقت صرخات سريعة ، نادته مرات عديدة ،  
فى هذه اللحظة ظهر على المكوجى ، وأحمد النجار ، نفذابين المارة ، انهالا على  
الرجل الغريب ضربا ، لقد سمع على المكوجى بجيبىء بعض القوادين الى  
مقهى الداطورى ، وتعرضهم للتكرلى وامراته وتشنيعهم على الحارة ، تصادف  
جيبىء أحمد النجار يستعجل كوى جلبابه ، أخبره بما جرى ، أسرع معا ، لم يتحرك  
الداطورى من جلسته . ينفث دخان النرجيلة . كأن ما يجرى يحدث فى شارع  
آخر ، هذا ما يخيل للناظر اليه ، لكنه يشعر فى الحقيقة بجراح تتفتت داخله . لا  
يراهها أحد . الأيام تتوالى والغمة تطول ، وكلما ازداد الأمر استقرارا أصبحت  
علاقات الناس ببعضهم لبعض أكثر غرابة ، لا ينسى جيبىء الست بثينة اليه ،  
بقائها مدة ثم سؤلها المفاجيء . هل هو الوحيد الباقي ؟ رجته أن يكشف عن

نفسه . ألا يبخل عليها . إنها تخاف النوم ، ليست بثينة الوحيدة التى شكت فيه ،  
بعض الرجال نظروا إليه بريية ، طاحون جاء إليه مرتين ، حاوره وداوره ، لم يرد  
عليه إلا بهزات رأسه ، اما إيجاباً أو نفياً ، ها هم هؤلاء يقتتلون ، المارة يتفرجون ،  
أطفال يتشقلبون مقلدين الرجال المتصارعين . زبائن المقهى من أهالى الحى  
هجره منذ شيوع ما يجرى فى الزعفرانى ، من يدري ، ربما أصاب الآخرين ما  
لحق برجال الزعفرانى ، ينتقل العجز كالمرض باللامسة أو الاقتراب ، زبائن  
العمر الذين زحوا المقهى سنياً طويلة غالية بلعب الورق ، بالطولة ، بالدومينو ،  
برواية الحكايات ، بالاستماع إلى حفلات أم كلثوم ، كلهم هاجروا إلى مقاه  
بيت القاضى والحسين ، اعتاد رؤيتهم فى أيام هدوء الببال حتى أن غيبة أحدهم  
أياماً تجعله يكلف خادم المقهى بالذهاب إليه فى بيته والسؤال عنه ، حتى  
الزبائن العابرون لا يأوون إلى المقهى التماسا لكوب شاي أو تدخين الشيثة ثم  
الانصراف بسرعة ، أما أصحاب الدكاكين والورش فكفوا عن طلب الشاي  
والقهوة بعد الغذاء ، لم يعد يرقب خروج الصوانى الصفراء النحاسية تخرج من  
المقهى محمولة فوق يد الخادم فى اتزان عجيب ، يحاول تخمين ، من سيشرب هذا  
الكوب الممتلىء ، أى المشاعر ستجول بخاطره أثناء رشفه السائل الساخن ، ينظر  
إلى الأكواب الفارغة ، بعض الزبائن يترك قليلا من المشروب ، البعض الآخر  
يمضغ « التفلى » ذاته ، نوعية جديدة تتردد الآن على المقهى ، منهم هؤلاء  
القوادون ، لا يقدر على طردهم ، المقهى للجميع ، نوعية أخرى من الأغراب  
تجىء ، صباح اليوم جاء شاب فى الثلاثينات ، طلب حلبة مطحونة شرها  
متمهلا ، تلفت حوله ، نادى عم محمد الجرسون العجوز ، أشار محمد إلى المعلم  
الداطورى ، قام إليه ، ودلوا انصرف عنه ، فارقه الرغبة تماماً فى الكلام ، قال  
الشاب إنه يعمل صحفيا بجر يدة اليوم ، سمع بما يجرى وهو يريد أن يعرف فقط ،  
مثل هذا الموضوع حساس جداً ولا يمكن نشره على رأى العام قبل دراسات  
عديدة ومناقشات طويلة ، أثناء حديثه شغل ذهنه بقضية هل يجيب تحيته بنفس



الألفاظ ، أم يرد « هذا زمن الفرار » ، أمر مثل هذا بالغ الأهمية ، الوقوع فى خطأ غير مقصود ، ربما يساوى التعمد وسبق الأصرار لدى الشيخ ، تملكه خوف ، ليسمع الصحفى كما شاء ، لكن أن يتحدث المعلم عما يجرى فى الحارة فهل يجوز هذا ؟ صمت الشاب ثم عاد يسأل حول حقيقة وجود جنرال فى الحارة ؟ رفع الداطورى حاجبيه ، قال الشاب موضحاً إن بعض الأقوال تردد وجود ضابط كبير مجهول الجنسية فما حقيقة هذا ؟ لم يلفظ المعلم حرفاً ، ابتسم الشاب وقال إن اسمه جمدى ، سيتدرد كثيراً و يسره التعرف إلى المعلم ، أثناء عودة الداطورى إلى البيت مر بحجرة عويس . طلب منه نقل استفساراته الخاصة بالتحية المتبادله مع الأغراب ، وإمكانية اجابتهم عما يجرى ، نظر إلى شرفة حسن أنور ، يظنونه جنرالاً ؟ اعتادت الزعفرانى وقفته ، لم يتأخر رد الشيخ إذ أعلن عويس فى ندائه الليلى ضرورة استعمال نفس الألفاظ ، ومهما بدا للآخرين غرابتها فسوف يأتى يوم لا يتعجبون فيه حتى لو أنهم ينطقون بلسان أجنبى ، ولا ضرر من الحديث عن أمور الزعفرانى فما هو بعيد اليوم سيصبح قريباً من الآخرى غداً ، الآن ينظر إلى العراك الذى انتهى ، ابتعد الأفتدى ، أمسك التكرلى زوجته متجهاً إلى الحارة ، جاء على المكوجى وأحمد التجار ، قالوا إن هذا زمن الفرار ، رد المعلم التحية ، جلسا ، نظر إلى محمد الجرسون ، انه يدير أعقد الأمور بعينيه ، لا يتحدث إلا نادراً ، لكن محمد الجرسون وزقلة الذى يقف وراء النصبه يعرفان تماماً ما تعنيه كل التفاتة ، بعد لحظات جاء محمد بالشاى ، قالوا إنها يطلبان منع الأغراب من التردد على المقهى ، لا يريدان تهديد الأعراض واستغلال الحارة ، قال على إن المقهى قريب جداً وموقعه يسهل على أى غريب تتبع من يشاء . يلحظ الداطورى توقف بعض المارة ، ينظرون ثم يسرعون ، جلوس ثلاثة من الزعفرانى أمر مثير . تذكر كلمات عويس عن يوم يجىء فلا تبدو أحداث الزعفرانى غريبة من الغرباء . قال على المكوجى إن الداطورى لن يقبل أى ساكن فى عمارته التى سيبنيها قريباً بإذن الله ، لقد تحدث عن السكان وضرورة انتقائهم ، وعليه

• • •

أيضاً اختبار زبائنه ، يشعر الداطورى بثقل يملأ روحه ، منذ هجرة الزبائن لم يعد يتحدث عن العمارة ، لم يأتته سمسار بزبون يرجو قبوله ساكناً ، بل إنه لم يفكر فى العمارة منذ يومين ، يمتلىء بحزن ، يطفو حتى يسد حلقه ، يقتل الكلمات عند طرف لسانه ، لم يعد يضيف تفاصيل إلى صورة عمارته ، عدد أدوارها ، لون طلائها ، الطابق الذى سيسكنه ، شكل المدخل ، ينظر إلى جاريه بعينين دامعتين ، لم يجيبها ، ارتبكاً حتى عجزاً عن القيام عندما لمحا دموعاً ، بينما يبدو وجهه البدين جامد الملامح . هل وقعاً فى خطأ ، على مهل قالوا « هذا زمن الفرار » ، قبل ميعاد النوم الجماعى بربع ساعة خرج بسيونى الهجرسى من الحجرة ، زعق منادياً أهالى الحارة أنه برىء من ابنه لولى ، الولد العاصى ابن الحرام يعد عليه اللقيمات أثناء الأكل ، ارتفع صوته قائلاً إنه سيسلم ابنه إلى البوليس لأنه يعمل ضد الدولة ، ابنه عضو فى شبكه للاخوان المسلمين ، خرج لولى ، اقترب من أبيه متعباً ، حاول تقبيل رأسه ، لكن الرجل ازداد هياجاً ، كرر أنه سيبلغ البوليس الذى عمل فيه عمراً بأكمله ، لن يسكت على الأعمال التخريبية التى سيقوم ابنه بها ، لم يعد ولده ، هل وصل الأمر إلى عد لقيمات الخبىز عليه ؟ ، فى الليلة نفسها ، قبل النوم مباشرة أعلن عويس ضرورة حل الخلافات قبل ظهورها إلا سيلقى المخالف جزاءً مفزعاً ، يكفى ما حدث من مخالفات ، وحتى يأتى اليوم الذى تنتهى فيه كل المشاكل ، يصبح الجميع وحدة كموج البحر يدفع بعضه بعضاً ، كل موجة تسند الأخرى ، أعلن أيضاً أن الشيخ سيتحدث يوماً إلى عدد مختار من الزعفرانيين ، صمت عويس ، بدا الليل عميقاً ؟ وسمع صوت لم يعرف صاحبه يقول : « هذا زمن الفرار » ، جاوبه صوت آخر : « هذا زمن الفرار » ...

« بعض مما جاء فى مذكرة سرية جدا ، مرفوعة الى مدير هيئة

الامن المخصوص » :

بدأت المعلومات فى الوصول إلينا بعد تكليف الشرطى السرى ثابت عبد الجابر من قوة الأمن الممتاز بمتابعة السجين السياسى منصور سليمان وشهرته رمانة ، وذلك خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من شهر مارس ، أنهى إلينا عدم تمكنه من متابعة المذكور وأفاد بأنه عند وصوله إلى الحارة . صاح عليه أكثر من شخص مخدراً ، لو خطا خطوة واحدة فسيطلسم ، ورغم تحلى الشرطى ثابت بقدر كبير من الشجاعة ، فإنه تردد ثم قرر جسس حقيقة الأمر خوفاً من وجود حيلة متفق عليها بين المذكور وبعض الأهالى . لكن اتضح له أن ثمة أموراً غير عادية تجرى . ثم اتجه إلى مقهى الداورى (صاحبه أحد سكان حارة الزعفرانى) قرر أن يرقب حركة المذكور . ولم يره يخرج إطلاقاً خلال الأيام الثلاثة الأولى ، وبالسؤال الحذر عنه اتضح تواجده فى نفس حجرته ، لا يغادرها إلا ليحصل على طعامه الذى يعد للحارة كلها دون تفريق . لم يتردد عليه أحد نظراً لعدم إمكانية دخول الحارة ، حاول الشرطى ثابت الحصول على معلومات إضافية لكنه ووجه بصعوبات . كما لاحظ تردد شاب على نفس المقهى ، تبين إنه يعمل صحفياً بجريدة اليوم ، ويحوى لمتابعة ما يحدث فى حارة الزعفرانى ، وعراجعة السجلات ثبت عدم وجود نشاط سياسى له ، وقبل التطرق إلى دور منصور سليمان الشهرى برمانة نلفت أنظاركم إلى ما يجرى فى الحارة والذى يتلخص فيما يلى :

وجود الشيخ عطية فعلا بالحارة ، بالبحث تبين عدم وجود أى ملفات بالإدارة ، وغير معروف عنه أية معلومات ، وليس لدينا أى صور له ، وأوصافه مجهولة ، وبالبحث فى سجلات جامعة الأزهر بدار المحفوظات ، وكشوف أسماء

حفظه القرآن الكريم ، والمؤذنين ، وطلبة المعاهد الدينية ، الابتدائية والمتوسطة منذ مائة عام لم تهتد إلى اسمه ، كما لم يوجد اسمه فى سجلات المدنية ، وأخبرنا مصدر أزهرى باتباع نظام تدريس قديم لم يقض بتدوين الطلبة فى جداول ، حيث يمكن للطلاب الانتقال من حلقة درس إلى أخرى . وكثيرون تلقوا العلم فى هذه الحلقات ولم يحصلوا على إجازات علمية .

ثبوت أمر الطلسم ، وقد رصدت التقارير الموضوعية من مصادر عدة أن كثيرا من المواطنين بدأوا يشيرون إلى الزعفرانى ، والطلسم ، و يوجد فى تقرير النكت الیومی أكثر من نكتة حول لزعفرانى . آخرها ما سجل يوم ٣ / ٤ ، وتقول إن رجلا عجز من النوم مع زوجته فتبجح قائلاً إنه مر من حارة الزعفرانى ، ونكتة أخرى تقول إن شخصاً سأل أبى الهول عن سر صمته خمسة آلاف سنة ، فغمز بعينه قائلاً : « هل أنا مجنون ، أنطقه فيحسبنى الشيخ زعفرانىاً عندئذ يسلبنى قواى الجنسية » .

تتمثل الخطورة فى كشف الشيخ عطية عن نواياه ، والذى أشار إلى قيامه بطلسمة الحارة (عدا شخص واحد لم يفصح عنه) بغرض فرض أوضاع معينة ، وهى أوضاع تنتهى إلى السيطرة على الناس . بعد إلحاق عجز جسيم بهم يتعلق بأدق الأمور التى تخصهم ؟ وهذا العجز يودى إلى وضع الحقائق مجسدة أمام الأعين ، وكما يقول فإن الإنسان ذاكرته ضعيفة وأفدح الأمور ينساها بسهولة ، والبشر لا يتعلمون مما يمر بهم — كما تغيب عنهم حقائق واضحة جلية ، وتسودهم أوضاع تثبتها قوى لا بد من قهرها على حد تعبيره حتى يمكن تغيير العالم وإعادة الإنسانية إلى عناصرها الأولية ، لهذا فإن طلسمت الزعفرانى ليست إلا خطوة تتبعها خطوات . وهكذا يفنى البشر بعد إحداث الصدمة . ثم يضطرون للامتثال إلى ما يريد ، ويقولون إنه وعد الكل خيراً ، وقال إنه لن يعد بآمال ستحققها أجيال آتية ، أو عصور قادمة ، جميع الأحياء فى عالمنا سيرون تحقيق ما

يقوله ، وهكذا يلحق كل إنسان أياماً تهدأ فيها الأنفاس ، وتزول الضغائن ، ومن الأفكار التي وصلتنا عنها بعض التقارير ما يأتي :

١- المساواة الحقيقية بين البشر وفي هذا يقول إنه من الشائع وجود جنس بشري واحد ، لكن كيف يمكن وضع الفقراء المرضى المليئين بالعاهات والآمال التي لن تتحقق في زمرة واحدة مع أغنياء متخمين ، يطالب بتصحيح أوضاع البشرية .

٢- إنهاء كافة الخلافات والمنازعات بين البشر ، ويضرب في ذلك - نقلاً عنه - أمثال عديدة على اقتتال أصحاب مذهب واحد ، أو فكرة واحدة .

٣- استئصال الاحقاد ، والأوجاع .

٤- اجتثاث أسباب الآلام .

وثمة أفكار أخرى لم تصلنا عنها تفاصيل كافية . لكن لا يخفى ما تتضمنه هذه الأفكار ، والاجراءات المتخذة بالحارة من تعدد على سلطة الدولة ، وتهديد لقيم المجتمع ، والاعتداء على حريات الآخرين . وتقويض للأسس والأبنية القائمة ، ويلاحظ أن الطلسم قد عزل الحارة تقريباً عن بقية أنحاء الدولة . مما يجعل القيام بأى أعمال داخلها أمراً سهلاً ، ونشير هنا إلى المسجون السياسي السابق منصور سليمان وشهرته رمانه ، ولا يخفى تأثيره في كثير من الأفكار التي يدعو إليها الشيخ ، كما أن بقاءه داخل الحارة عدة أيام متصلة يشير إلى دوره بما لا يدع مجالاً للشك ، وباعتبارنا مسئولين عن مقاومة الأفكار الشيوعية الهدامة نوجه النظر إلى ما يمكن للمدعو منصور القيام به في ظل هذه الأوضاع الجديدة القرية ، كما يمكنه لما كينه طبع منشورات ، أو أجهزة إرسال ممنوعة ، أو وثائق متبادلة مع الحركة الشيوعية الدولية ، وستقوم من جانبنا باتخاذ كافة الإجراءات الممكنة للحد من نشاطه الهدام . ونرجو من أجهزة الدولة التعاون معنا في اتخاذ إجراءات ...

° ° °

- ١٥٤ -

ملف خاص لتفصيل  
أحوال حسن أنور



## « مقتطفات من بعض المقالات الافتتاحية »

« بات واضحا انضمام سمير إلى جانب اعداء أبيه . لم يتضح على وجه الدقة أى جانب انحاز إليه ؟ هل اختار الإلتحاق بسيد بك أبو المعاطى . أم قوات عبد العظيم الجواهري ؟ . أم انضم إلى القيادة العامة حيث الشيخ عطية ، إن الزعيم يواجه موقفا مأساويا يندر حدوثه ، الابن ييوج للأعداء بأسرار والده ، ربما قاد الهجوم الرئيسى ، إن الأمر يصبح بشعا لوجهل منها الآخر . أى لو التقى الزعيم عرضا فى شبابه المبكر بأمرأة وأنجب ابنا شب بعيدا عنه ثم جعلته الظروف أحد قواد الأعداء . حارب والده وهولا يدرى . اذن أى بشاعة يمكن تصورها فى وضعهما الحالى وكلاهما يعرف الآخر ، لكن ما نود تأكيده أن الزعيم لن يتراجع . لقد احتمل متاعب كثيرة ، وشقاء لا نهاية له ، سيعلو على جراحاته . حانت اللحظة المرتقبة منذ سنوات » .

ومن نتائج هذا التحليل أن سيد أبو المعاطى قام خلال السنين الماضية بتدبير هجوم بارد ، اعتمد أسلوب الضربات غير المباشرة . المتقطعة . بهدف الحد من قدرة الزعيم على الحلم والأمل ، استند فى هجومه إلى عوامل خفية وأخرى معلنة ، ينتمى إلى الأولى ظروف عائلة الزعيم وعدم تمكنه من الحصول على مؤهل جامعى ، واحلامه من أجل العالم ، أما الثانية فكثيرة ، احتمل الزعيم ما تعرض له . حتى الإزعاجات التى سببها له زملاؤه فى العمل حملة نفس المؤهل المتوسط . أمثال الجواهري الذى تمكن بأساليب ملتوية من الحصول على مكتب يغطيه لوح زجاج . ثم استقل بغرفة ، ثم جهاز تليفون ، وساعى خصص للوقوف بسبابه ، وعندما طلب الزعيم تركيب تليفون فى البيت تأخر بحجة قلة الخطوط ، بالطبع يحتفى سيد أبو المعاطى وراء مثل هذا التصرف . لقد تغاضى الزعيم عن

بعض ما جاء فى صحيفة حسن أنور التى يصدرها قبل نومه يوميا :

أربعة لا أمان لهم « المال لو كثر ، والحاكم لو قرب منك ، المرأة لو طالت عشتها ، الدهر لو صفا » .

ترد هذه السطور بشكل ثابت وتتصدر الصحيفة كشعار ، ثم يلى ذلك العناوين ويراها دائما حمراء ، فاقعة ، والمقتطفات التالية تنتمى إلى عدة أيام .

## « عناوين »

فشل البحث عن سمير .. ضاع سمير .

- إيقاف عمليات البحث ..
- الأعداء يتجمعون .
- توحيد قوات الأعداء تحت قيادة واحدة .
- حسن أنور يعلن .. انتقامى مروع .
- حسن أنور يصرح .. قبلت المنازلة ..
- القتال أصبح وشيكا ..
- الشيخ عطية يقود عمليات الهجوم .
- معارك متفرقة بين الأهالى .

كل المعارك الصغيرة الجانبية ، وجه طاقاته كلها لخوض معركة أشمل ، أن يخلق من حسان طبييا .. وسمير مهندسا ..

قام الشيخ بتجميع كافة ما دبر خلال ازمان مختلفة ، وجه ضربة بارعة ، وهنا نسجل شهادة الزعيم بقوة الضربة وبراعتها ، إن هروب سمير جاء نتيجة عمل عسكري رفيع . وهنا تجدر الإشارة إلى شجاعة الزعيم وقدرته على مواجهة أشد الحقائق ابلاما بموضوعية . إنه يولي اهتماما لتقاليد القتال ، تلك التقاليد التي أهدرها أعداؤه . لكن مهبا بلغت ضرورتهم فإن قوى الزعيم متعاطمة وحصيلته العسكرية لا حصر لها . وله قول مشهور ، مادام القائد قد قرر القتال فلا عذر له اطلاقا إذا لم يحارب جيدا . سيجد وراءه ذخيرة من المعارك . اذن يجب عليه أن يحارب ويفوز ..

•••

« مقتطفات من احاديث أجريت معه . آخرها قبل بدء المعارك

بساعات .. »

« الحرب بغيضة وكريهة ، وطالما استمرت فهذا دليل على أن الإنسان لم يصبح انسانا بعد ، لكنها ضرورة عندما لا نجد وسيلة الا دفع الشرور والآثام ، او دفع الحرب بالحرب .. »

• تمنيت طول حياتي أن اعيش بين حلفاء ، يعينونى وأعينهم . لكننى أكتشفت الآن أن عمري منذ ولادتي سلسلة معارك . أدق المواقف الخاصة معارك فيها كل المقومات التى تنطبق على أشمل معارك القتال ، شراء شىء ما معركة صغيرة . يحاول البائع أن يربح أكثر ، وتحاول دفع أقل . ليس هذا صراعا بين ارادتين مختلفتين ، شروعك التعرف إلى امرأة ما معركة تحاول النفاذ إلى قلبها ،

عند بدء العلاقة واستمرارها نجد كلا من الطرفين يحاول السيطرة على الآخر . الرجل السياسى يقضى عمره كله فى أوهام غريبة يلخصها احيانا فى كسبه موقعا ، تتضمن حياتهم مئات المعارك الضئيلة بالنسبة لشمول الهدف العام . ويظل الهدف نسبيا ...

• انسى لا أقصد الغناء الصراع . أردت تقديم البرهان على أن الحياة سلسلة معارك ، الصراع ضد الموت أخطرها ، صحيح أن الموت ينتصر على الانسان الفرد ، لكن الانسانية تقهره ، غير اننى بعد الانتهاء من حروبى سأشأن قتالا لا هوادة فيه ضد الموت ..

• سأنازل ما لم تشن ضده الحروب من قبل . سأهاجم الشر ، سأسحق المرض ، سيقع الخبث اسيرا لن اطلقه قط ، سأغتنال الفقراينا وجد . تلك أهداف حروبى .

• بالعكس سأجيبك .. إن جراحى عميقة والجراح الفائرة تنزف دائما فى صمت .

« خبر »

تم تجهيز كافة معدات القتال الخاصة بالزعيم ، لقد أمده رأس الفجلة رئيس أحد الدول الصديقة بثياب عسكرية كاملة ، وعتاد ، ومؤن ، وسوف يتم اعداد زى خاص بالاستعراضات التى ستقام عشية النصر النهائى ، تم تجهيز مكتبة ميدانية تضم السير والملاحم والخطط ، وتم اعداد مجموعة دقيقة من الخرائط الفريدة لميدان القتال الممتد من الزعفرانى ليشمل مواقع مختلفة وسنين عديدة . كما تم اعداد المنظار المكبر كاشف ما وراء الحجب ..

## ما قبل المعارك .

توقف طويلا أمام المرآة . لا بد أن تشعر قواته بهيبته . معاونهه القرييون منه أو جنود الخنادق الأولى . سيتناقلون فيما بينهم أوصافه وطرق تفكيره . وتعبيرات وجهه في اللحظات السابقة على اتخاذ القرار . المظهر العام هام جدا خاصة أن قواته تضم خلاصة المحاربين ، الآن يتفرغ تماما لخوض المعارك الحاسمة . قطع صلواته بكافة ما أوثقه سنينا طويلة ، انقطع عن الذهاب إلى المصلحة ، انتهى زمن الارتجاف من سيد بك وخطب وده ، يروح ويجيء داخل مسكنه ، تتبع امراته أقصى الصالة . لا تنفوه بحروف ، الليلة الماضية طلب منها تحديد موقفها ، إما الاستمرار معه كرفيقة عمر وتعصيده في لحظات الشدة ، تشد أزره خاصة عندما يأوى إلى جوارها في ساعات الهدوء الليلية . في مثل هذه الاوقات يظهر ضعف القائد الانساني . عليها الاحتفاظ بأدق ما يقول واحتمال تصرفاته ، وأما أنها ليست مؤهلة لهذا الدور فتفارقة عندئذ إلى بيت أبيها وتلحق بابنها الخائن ، إنه قوى الشكيمة ويمكنه مواجهة لحظات وحدته بمفرده . لكنه تمنى في أعماقه الا ترحل عنه . يحتاجها بلا شك ، أحنت رأسها وبكت بكاء مريرا ، قالت إنها لن تتخلى عنه ، اقتسمت العمر الجميل معا ، فهل ستهجره لحظات الشدة ؟ تأثر حتى أوشك على البكاء . لكنه يدخر دموعه لمواقف أشد إيلا . أعنى القادة لا يكون لحظة تدمير جيوشهم ، لكنهم سيكون كاطفال في مواجهة موقف إنساني بسيط . رأى فيها المرآة الصلبة الوفية ، تقدم منها . شد قامته ، رفع يده محببيا . سيدكر في يومياته الخاصة أنه أدى التحية العسكرية لأمراته لحظة قرارها البقاء معه . لا بد من تدوين الأحداث الصغيرة التي تشكل في مجموعها حياته الخاصة ، ستصبح يوما مادة ثرية يستوحى منها الفنانون أعمالهم ، ستلقى أضواء على شخصيته عندما يتناولها الباحثون والمؤرخون ، قالت أمراته إن حياتها ظلت هادئة وما يجرى الآن في البيت يشبه حلما ثقيلًا ، لقد

طعنها الزمن في كل شيء ، كل شيء ، ربت كتفها ، قال إنها ستنسى عندما يذوقان حلاوة النصر ، إنه يقدر موقفها لهذا يعدها بمنحها وساماً نساتيا بمجرد إنتهاء الحرب . وأن تحتل موقعها إلى جواره فوق منصة العرض بعد النصر ، لم يفه حسان بكلمة . عندما يراه تتذبذب الرقة ، و يترقق الحنين ، لكنه لا يثق باقرب الخلق إليه ، لا يثق بأرائه حتى . يعيد النظر مرات في الرأي الواحد قبل تنفيذه ، حتى امراته لا يوليا ثقة كاملة . من يدري ، ربما وجهت إليه ضربة خفية ، يذكر الآن ، والمرأة لو طالت عشرتها ، حتى لا يتكرر ما حدث من سمير أسند إلى ابنه مسئولية مباشرة تضعه باستمرار في موقف الحساب أمام والده . سيعلنه بالمنصب قبل اشتعال المعارك ، كتب سطورا قليلة . أول أمر من أوامره اليومية التي سيوجهها إلى نواده ووحداته . بعد لحظات قام واقفا . حذاؤه يلمع ، والحزام الجلدى العريض المحيط بخصره ، الأوسمة تغطي صدره . هذه الأوسمة سببت له حيرة ، هل يرتديها كلها شأن كثير من القادة ، أم يعلن رفعها ؟ فضل تشيبتها كلها ، رؤيتها ستبعث الثقة في نفوس رجاله ، على مهل عبر الصالة . خرج إلى الشرفة متأبطا عصا قصيرة ، يحيط عنقه بشر يطمئنته من نهايته منظار ميداني ، إن أرق الأفكار التي تمر بأذهان امثاله في مثل هذه اللحظات تظل مجهولة ، صمت ثقيل يخيم على الزعفراني ، النوافذ مغلقة . البلاط يلمع تحت اشعة الشمس . موسيقى بعيدة . تتوالى عليه الصور ، تبدو وملامح موسيقى القرب الشجية . تذكره باعياد بعيدة ، طفولة نائية تبدو الآن حصنا مباركا آمنا أوصدت أبوابه . علقته عليه طلاسمة أعنى وأقوى مفعولا . طلاسمة مانعة للأكدار ، تنفى الرعب ، الفقر ، للأسف يبلى مفعولها مع مضى السنين . تعلو موسيقى القرب ، حادة ، عازفوها يحاذون الشرفة الآن ، يتبعهم حلة الأعلام . أعلام الجيش والفرق والكتائب ، غابة من الأعلام متعددة الألوان تحفق أمامه الآن ، صراعه الدموي من أجل هذه البيارق على حصون الأعداء ، أعلام القواد الذين استدعاهم من بطون السنين لقيادة جبهاته ، نيبال ، جنكيزخان ، يوليوس



الجنرال همبلر، قائد الجستابو في الزمان القديم . مدير المحابرات حالياً .

### أول الصدام :

شاءت الظروف أن يبدأ القتال بأسرع مما قدر، إذ جاء حسان رئيس الأركان العامة إلى مقر القيادة وسلم الزعيم خطاباً شديداً باللهجة وقعه سيد أبو المعاطي، صيغ بلهجة بذيئة، تجاهل القاب الزعيم ورتبه وخاطبه بإسمه مكتفياً بوضع كلمة السيد : وصفه متهماً بأنه موظف في الدرجة الرابعة . أنذره بإحالة الأوراق إلى الشؤون القانونية بسبب ما وصفه بالتغيب بدون إذن، إنتفض واقفياً، كيف قبل حسان استسلام مثل هذا الإنذار؟ أبدى حسان تردداً، إرتعشت أطرافه « بابا .. » صاح الزعيم معبراً عن رغبته في رؤية ابنه على أحسن حال، سيجد نفسه منه الآن مشرفاً على أكفأ رجال الحروب، لن يتعامل مع نابليون وفون مولتكه وروميل إنما سيرسم لهم الخطط، إنه المسئول عن إدارة الحرب . طلب منه التوجه إلى مقر الأركان، ألا يخلق فيه هكذا، وتوجيه جورنج لشن هجمات مركزة شاملة بالطائرات القاصفة، استدار متجهماً إلى الشرفة، امرأته لا تجرؤ على المشي وراه . يفكر في إسناد بعض المهام إليها، كأن يجعلها المشرفة العليا على لجنة تضميد الجراح الدفينة، أو رئيسة مداواة الأحزان العميقة، يجب ألا تقضى الوقت في رثاء ابنها الخائن . سيحسم المسألة بقرار يصدره اليوم، أما الآن فيجب الطيران فوق مسرح العمليات، ثمة ضباب كثيف يغطي المناطق الشمالية الزعفرانية، المنظار يكشف له عن تحركات بطيئة، وأقدام متنتلة . وعجلات، بيارق، مواطنين يرتدون ملابس القتال، يحملون الحقائب، والدوسيهات، يحكون جاكيتهم، بعضهم يرشف فناجين القهوة، يلقي أعقاب السجائر . يلمح ابتسامات وانحناءات، أحذية لامعة، وأشخاصاً يخطون أوراقاً، وسعاة ينحنون، ومصاعد تفتح بسرعة، ومكانس

قيصر، لوكولوس، كراسيوس . فون مولتكه، سيدى احمد البدوى، دوق ولنجتون، خالد بن الوليد، نابليون، كوزوتوف، بسمارك، فريدريك الأكبر، روميل، جورنج، عنتره بن شداد وسيف بن ذى يزن، أبوزيد الهلالي، عباقرة النزال، بعضهم تقاتلوا حتى أفنى كل منهم الآخر، ها هو يجتمعهم في إطار واحد، يستطيع رؤية ملاحظهم، يعرف ما يتميز به كل منهم، يعلم جيداً في أى المجالات سيتم استغلال طاقات إبداعه، يرفع يده بالتحية حتى يتم مرورهم، تخلو الزعفراني لحظات، تملو موسيقى نخيلة شاحبة، أعداد هائلة من مشاة المظلومين عل مدى الدهور . يحملون كافة الأسلحة بدءاً من المقارع والدروع والسيوف والرماح حتى الصواريخ والمجنزرات، إن أياما شاقة تنتظره، ولحظات حرجة، وظروفاً وعرة . إنه يرى أيضاً أياماً يحتفل فيها الناس بنشوة النصر، سيدخل مدناً لم يرها من قبل، يشرف على بحار زرقاء تموج بالأمان .

### أمر رقم ( ١ ) :

يعين حسان حسن أنور، رئيساً عاماً لأركان القوات . ويتسلم مهام منصبه . اعتباراً من لحظة اشتعال المعارك .. »

### أمر رقم ( ٢ ) :

يتم تشكيل هيئة قيادة مشتركة لتنسيق أعمال القوات على النحو التالي :

فيلد مارشال روميل، قائد الفيلق الأفريقي في الزمان القديم . وقائد القوات الصحراوية حالياً .

أتيلا، زعيم الهون في الزمان القديم . وقائد القوات الإنتقامية حالياً، ينعم عليه بلقب فيلد مارشال .

يدعوفيه إلى إنهاء جميع المشاجرات الدائرة والاستسلام فوراً ، وأمر بتوجه عدد من الأهالى إلى مقره لتلقى التعاليم . وبالفعل مضى إليه الصول سلام ، عقد معه اجتماعاً دام سبع ساعات ، وسوف تحاول مخابراتنا النفاذ إلى ما دار فيه بعد اعتمادكم النفقات اللازمة لتطوير الأسلحة الحديثة ، بعد الاجتماع الثانى أعلن عويس المتحدث العسكرى والناطق بلسان الشيخ عطية ، أنه يجب على عاطف ورأس الفجلة ، وقرقر ، والداطورى ، التوجه إلى منزل الصول لعقد أولى الجلسات الاستشراافية . ستم الساعة الواحدة من ظهر الغد بعد توزيع وجبة الغداء » .

### « وموقف قواتنا الآن ؟ »

يقوم فيلد مارشال رميل بالتفاف واسع النطاق حول خبث عبد العظيم الجواهرى ، يعاونه فيلد مارشال جنكيزخان ، أما عن نتائج هجمة سيد أبو المعاطى فلم تسفر إلا عن بعض مشاعر الخوف اعتبرها مدرجة تحت بند الخسائر .

« أطلب تقريراً كل ساعة زمنية » .

أدى الجنرال هملىر التحية العسكرية ، بعد لحظات زعق الزعيم منادياً رئيس الأركان ، يحيىء ابنه جامد الوجه ، مد إليه ورقة صغيرة تحوى سطوراً صريحة ببداء الهجوم الفورى ضد جبهة سيد أبو المعاطى . ومحاولة تجميد الوضع على جبهة الشيخ عطية ..

• • •

تنظف أبسطة ، صوراً فى إطارات مذهبة ، ولوحات تليفونية ، رنين تليفونات ، سوداء ، حمراء ، تليفونات بأقراص ، تليفونات مصممة ، أفواه تنطق « آلو » ، أسلاكاً تهتز ، يدير المنظار ، يسدد الرؤية ، يختبىء سيد بك داخل خندق عميق من الظروف ، يستند إلى حوادث حياة بعيدة ، آمال الالتحاق بالجامعة ، طريق الوصول إلى وظيفة محترمة . إلى مناداة الآخرين له « يا حسن بك » الآمال البديلة ، سنين العمر الحافلة بلهفة الحصول على علاوة جنيه ونصف . سيد أبو المعاطى يقود الجبهة المسدودة إلى أحلامه ، يعاونه عبد العظيم الجواهرى ، خائن آخر . الشيخ عطية يقود الجبهة الرئيسية لتقويض الحياة من فيها ، الغبار ثقيل ، يستدير جانباً ، كل حركة من يديه أو إشارة من رأسه تترجم فوراً إلى واقع عملى زاخر ، تلك الاستدارة البطيئة تعنى رغبته فى استدعاء مدير المخابرات ، يحيىء الجنرال هملىر ، يحمل ملفاً يضم آخر التقارير الواردة عن أحوال الأعداء ، يلمح فى تعبيرات وجهه ملامح العرفان بالجميل ، الزعيم أسند إليه وظيفة مدير المخابرات بعد سنوات البطالة القاسية التى عاناها منذ إختفاء هتلر ، أمر أيضاً بإطلاق يده للبحث عنه هتلر . بمجرد العثور عليه سيعينه مستشاراً أعلى لشئون القوات ، وسيشرك معه المارشال زوكوف ، هكذا وفق بين عناصر التاريخ ، طلب من الجنرال هملىر الاطلاع على موقف قوات سيد أبو المعاطى ، بسط الجنرال ملفه السرى ، استند الزعيم بيديه إلى حافة المنضدة .

« بعد أن أرسل سيد أبو المعاطى إنذاره الأخير . تفيد تقارير عملائنا أن جيوشه بدأت التحرك . ومن المتوقع أن تأتى الضربة الرئيسية من إدارة المستخدمين المدعمة بالشئون القانونية والتحقيقات » .

« وبالنسبة لجبهة الشيخ عطية ؟ »

« لمدة ثلاثة أيام ساد هدوء . وفجأة قامت جيوشه باصدار بيان مركز

«التعاليم»



## محاولة للحصول على بعض المواد اللازمة لتحقيق صحفى :

فى تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً ، خرج قرقر الموسيقار متوجهاً إلى مقهى الداورى ليلتقى بحمدى الصحفى ، وصل إليه أن من بين المترددين على المقهى صحفياً شاباً يحاول الالتقاء بأحد رجال الحارة منذ يومين لكنه لم ينجح ، قرقر يقدم نفسه قائلاً إنه موسيقار وعازف قانون وزعفرانى ، يبدى حمدى الصحفى حماساً .. يصفق بيديه لكن قرقر يمنعه قائلاً إنه ضيف وهو مدعو ، يقدم حمدى علبه سجائره ، يعتذر قرقر لأنه لا يدخن ، يقطب حمدى حاجبيه ، يقول إن الاسم ليس غريباً عنه ، يبذل محاولة للتذكر ، يخرج قرقر ورقة من حافظة جلدية سوداء ، الورقة بيضاء تتوسطها قصاصة من مجلة فنية قديمة ، خبر نشر عنه سنة ١٩٥٢ ، « ويشترك فى إحياء الحفل سيد قرقر أشهر عازف للقانون فى أوساط العوالم » ، يمد يده بعدد من مجلة الاثنين تسرب لون القدم الأصفر إلى أوراقه ، يقلب الصفحات بسرعة ، يتوقف عند باب « أخبار سرية » ، يشير بأصبعه إلى سطور قليلة فى منتصف العمود الأول ، النص الكامل للخبر ، يهز حمدى رأسه ، يخرج قرقر صورة فوتوغرافية قديمة ، يمسكها حذراً بأطراف أصابعه ، عبد الحليم حافظ فى سنين شهرته الأولى ، حوله عدد من الرجال ، يبدو فى الصف الثانى وجه مبتسم ، قرقر شخصياً ، يقول حمدى إن كثيراً من المواهب الأصلية لم تلق حظها وابتعدت عن الأضواء ، تبدو البداية مشجعة لقرقر . حلم طويلاً أن يلتقى بصحفى ، يسمع عزفه ، يدرك موهبته الحقيقية ، لم يفارقه الأمل طوال سنوات عديدة قضها فوق منصات الأفراح ، يعزف للعوالم والراقصات فى الحوارى ، فوق أسطح العمارات ، فى قرى ريفية نائية ، ها هى ذى الفرصة أخيراً ، يلتقى وجهها لوجه بصحفى شاب ، خاف الاقتراب من إحدى الدور الصحفية ، من يعرفه هناك ، ثم من يتحمس له ؟ بقى ضائعاً بين أفراد التخت ، لا فرق بينه وبين

الطبال أو عازف الناي أو الرق ، بل كثيراً ما حاز الطبال اهتمام الناس لما يأتيه من حركات أثناء مصاحبة الراقصة . لم يعل صوت عزفه منفرداً أبداً ، لم يعرف صحفياً ، أو شخصاً بأحدهم . حتى لو تم هذا فهل لديه الإمكانيات ، يسمع عن المصاريف الطائلة والولائم الدسمة التى تنفق على الصحفيين ، بمضى الزمن إزداد اقتناعاً أن كبار الفنانين يجارون ظهوره ، مجرد حصوله على فرصة كليل بزحزحتهم عن مواقعهم التى يحتلونها خلف أشهر المطربات ، مع إنه أحق منهم بالشهرة ، من ضحى فى سبيل الفن مثله ؟ لم يتزوج ولم ينجب ولداً ، لومرض سيموت جوعاً ، يركب الدرجة الثالثة سعياً وراء أحياء أفراح فى مختلف أنحاء البلاد . يركب مع زملائه مختلف أنواع المواصلات حتى يصلون إلى قرية لا يلقون فيها تقريراً ، أما الكبار فيسافرون إلى البلاد العربية ويستدعيهم الملوك بالطائرات إلى قصور الملوك ، بعضهم حاربه صراحة ، لكن الجميع يسدون أمامه الطريق بعلاقاتهم مع المسؤولين فى الصحف والإذاعة . ها هى ذى الفرصة ، ما يحدث الآن بديل لمصائب الزعفرانى بالنسبة له ، يقول إن عمره ضاع من أجل الفن ، ضحى بكل شئ لإمتاع الناس لكنهم حرموه فرصة ، يقاطعة حمدى قائلاً إن الأوان جاء لفرز الحقيقى من الزائف ، يعلم تماماً ما يجرى فى الحياة الفنية وما يسودها من قيم ، يتساءل متعجباً ، لماذا لا يحتل موسيقار موهوب مثل قرقر مكانه ؟ يقول قرقر إنه ينفرد بطريقة عزف معينة وهم يعلمون لذلك يقاومونه حتى لا يصل . ألف بعض المقطوعات التى تلعب فيها آلة القانون دوراً رئيسياً ، يقول حمدى إنه يتمنى سماع بعضها ، يصبح قرقر متحمساً ليدعوه إلى مسكنه المتواضع ، يطرق حمدى الصحفى فجأة ، يتساءل عن حقيقة ما يشاع حول الحارة . يقول إنه مستعد للذهاب بكل سرور فاكشف فنان عظيم لا يتم كل يوم لكن يقال إن أى رجل يظأ الحارة يتحول الى امرأة ، يعتذر عن كلماته الأخيرة لكن المدينة تتحدث ، والجهات العليا تمنع نشر الخبر لظروف معينة ، ان هبوطاً يبدأ داخل قرقر ، هل سيتخلى عنه من أجل حوادث الزعفرانى ؟ فجأة يسأل

حمدى الصحفى ، هل قال قرقر إنه لم يتزوج ؟ يعود الحماس إلى قرقر والضياء  
يلمع فى عينيه المتعبتين ، يضحك بهدوء ، يقول إن حياته تزدهم بعشرات  
الأحداث التى تصلح مادة كتاب وليس تحقيقا صحفيا فقط . فعلا لم يتزوج ،  
يتساءل حمدى باختصار . لم ؟ اهتمامه المفاجئ بزواج قرقر جاء نتيجة عوامل  
متباينة ، لم يرغب فى اظهار نفسه مهتما بما يجرى فى الحارة فقط . لا يريد أن يخسر  
الرجل الذى قبل الحديث معه أخيرا بعدما لاقاه من رفض الأهالى ، أما الأمر  
الثانى فهو ورود طيف امرأته ، يود لو قام منصرفا ، ستعاوده الرغبة فى الجلوس  
بعد شروعه فى القيام . جاء بدافع ذاتى لجمع المعلومات عن الأحوال الزعفرانية ،  
عندما أبلغ طالب الصحافة الذى يتمرن فى الجريدة رئيس التحرير بما يجرى ،  
عقد اجتماعا مع قسم التحقيقات وطلب منهم اعتبار الموضوع شديد السرية حتى  
لا يتسرب إلى الصحف المنافسة ، قال إنه من الضرورى استغلال هذه الحادثة  
الغريبة لرفع التوزيع ، من المحتمل الا توافق الرقابة لما يتضمنه الموضوع من  
حساسية ، لكن من الضرورى إعداد التحقيقات حتى تحين الحظوظ المناسبة  
للنشر ، كلف اثنين هما عباس ونخالد للذهاب إلى الحارة الخالية من الرجال ،  
لكنها عادا فى المساء ، قالوا إن الحال مختلف عن الصورة التى عرضها رئيس  
التحرير ، الظاهرة الزعفرانية معروفة تماما ، أى رجل يطأ الحارة يصبح عينينا  
والأمر يتعلق بسحر غامض ، عرض عليها رئيس التحرير مكافأة مجزية رفضا ،  
فى الصباح التالى علم حمدى بما جرى ، أبدى استعدادة للذهاب إلى الحى  
القديم ، اتفق على تفرغه لهذا الموضوع ، وعدم تحديد وقت معين لا تمامه بشرط  
تقديمه التحقيقات المطلوبة عند تقرير النشر ، تعهد رئيس التحرير بتقديم كافة  
أنواع العلاج لو لحقت ضرر ، لم يدر حمدى ما الذى دفعه لاختيار هذه التجربة ؟  
زملاؤه سيسخرون منه ، سيقولون ، ليس لديه ما يتفقه ، منذ ستة شهور ذهب إلى  
بعض أصدقائه ليطلب منهم الشهادة على وثيقة طلاقه . أبدى بعضهم دهشة ،  
زواجه لم يمض عليه إلا أربعة شهور ، ما السبب ؟ أمر لا يصدق ، لا بد من اتاحة

أكثر من فرصة حتى يتم التأكد من استحالة العلاقة ، قال وثقبت يتسع فى قلبه  
إنها اتفقا ، قال زملاؤه إن حبها ظل سنوات الدراسة نارا لا تنطفىء حتى ضرب  
بها المثل ، آله هذا النوع من الردود . يذكر حياة بأكملها ولدت لحظة لقائهما  
بالجامعة ، البدايات المترددة ، المتأنية ، ثم التصاعد السريع المشوب الحار ، جرفا  
كل العقبات ، تهديدات أبيها بقطع مصاريف إقامتها ، مشيها المسافات  
الطويلة ، تدبيرهما قروشا قليلة لدفع ثمن كوىبى عصير ليمون . حتى تجميعها  
الجنيهات للبحث عن شقة صغيرة . دخولها جمعيات ، بحثها عما يناسب المسكن  
الصغير ، بهجة عينها عند عودتها من السوق بعد أن اشترت شيئا يلزم البيت ،  
عندما أتم النجار صنع دولاب الثياب أشارت مرحلة إلى الرفوف الداخلية ، هذا  
مكان قصانك ، خرجا إلى المدينة ، تتوسد ذراعه أثناء مشيها ، وعندما عرجا فى  
طريق جانبى قريب من النيل تظلل الأشجار شبت على أصابع قدمها ، قبلته ،  
قالت إنها تتحدى المدينة التى تراقبها باستمرار ، عناقها له قبل خروجها إلى  
العمل ، احاطتها جسده بذراعيها ، استلقاء عينها واتساعها فى ضوء الغرفة  
الناعس ، سلام ما بعد الارتواء ، تسرب جسدها إلى جسده ، كيف يستمر الحب ،  
سبع سنوات كاملة حتى ينتهى بزواج ، ثم ينتهى الزواج بعد أربعة شهور ، ما  
السبب ؟ لم يستطع الإجابة ، فى البيت حاول ادراك العلة . قالت إن حياتها لن  
تستمر لأنها تريد أن تسافر ، ان ترى الدنيا ، ان تنطلق لتسهم فى تغيير العالم ،  
لن تتحول إلى معدة طعام ومربية أطفال ومنتظرة لعودته الليلة ، اكتشفت هذا  
بعد شهر من الزواج ، قاومت فكرة الانفصال كثيرا ، لكنها ستحيل أيامه جحيا ،  
وإذا لم يوافق فستحاول السفر ، ستطوف العالم ، حمدى عالم بقوة إرادتها ، لم يبد  
إنفعالا ، اعتاد أفكارها المفاجئة ثم عدوها ، حاورها ، ناقشتها ، أبدت إصرارا  
مخيفا ، قالت إنها تعزه جدا ، وتحترمه ، وفى اعتقادها انه سيجد الكثيرات ، العالم  
واسع ومزدحم ، كما التقيا سيلتقى بغيرها ، لم يبد غضبا إنما راح ينتظر إنتهاء  
الفكرة العارضة ، تذكر أنه أحب فيها مشاريعها المفاجئة ، حماسها المفاجئ

للأشياء ، حتى لتبدو لحظة حماسها انها مستعدة بتضحية عمرها ، ثم تكتشف بعد قليل خطأها أو اندفاعها أو تبدل رأيها ، في عصر يوم خريفى شعر كأن يدا أمسكت عموده الفقري وسحبته بعيداً ، نظر إليها فكأنه يتأملها أول مرة . كأنه لم يعاشرها ، لم يضاجعها ، لم ينتقيا أشياء بيتهما الصغير ، لم يتخيلا معا طفلها المرتقب ، حول عينيه إلى الستائر ، فيما بعد تساءل بدهشة ، هل مشيت شهرت أمامه بقميص النوم فى البيت ؟ أو شك أن يسمع تمزق حبال اتصالها ، فى أصفرار الضوء النهارى المتعب أدرك ان ما استمر بينهما انتهى ، المقاومة مستحيلة ، المجادلة لا جدوى منها ، اجتازت تلك اللحظات التى لا يبادل فيها الحبيب حبيبه نظرات الود ، التى لا يحرص فيها على مشاعر الآخر ، شىء داخله ينتزع ويلقى بعيداً ، فكر بأسى ، لكم يتغير الإنسان ، لم تعد شهرت تخصه ، انفصلت عن دنياه ، فى نفس الليلة عبر الصالة وطرق باب الغرفة التى آوت إليها مبتعدة عنه ، قالت « نعم » ، خرجت إليه ، أو شك على الانهيار عندما رأى حضورها الذى أحبه . تساؤل عينها الخلو ، قال إنه سينفذ رغبتها ، قالت « شكراً » ، عاد إلى غرفته مهجوراً ، خرباً ، فى اليوم التالى سأله أصدقاؤه ، ما السبب ؟ لم يستطع الرد ، ذهب إلى بعض أهالى بلدته قالوا إن ابغض شىء عند الله الطلاق ، السواء تهتز عند حدوثه ، سألوه ، ما السبب ؟ أثناء مشيه وسط المدينة تذكر متجراً يمتلكه أحد زملاء الدراسة الثانوية ، استرجعا ذكريات الزمن القديم ، قال صاحبه إنه يتابع ما يكتبه ويفخر به ويحرص على أن يقرأه ، ثم أصغى الزميل القديم بدهشة وتساءل عن ضرورة ذلك ، قال حمدى إنها متفقان ، حاذراً ألا تتسرب دموعه ، قال الزميل القديم إنه سيأتى ومعه أخوه ، تم تحديد موعد ، استأجرا عربة تسع لأربعة ركاب ، جلس حمدى وشهرت فى المقعد الخلفى ، الشاهدان فى المكان الأمامى . من النافذة رأى متاجر رجال مرور ، راكبي دراجات بخارية يتجاوزون بسرعتهم التاكسى ، باعة فل ، أطل أحدهم ولوح بعقد ، حار حمدى ، ولت وجهها بعيداً ، عندما وصل التاكسى إلى مكتب

المأذون أصر الزميل على دفع الأجرة . جلسوا على دكة خشبية مستطيلة فى مواجهة ثلاثة رجال يرتدون الزى الريفى ، أغطية رؤوسهم من اللباد ملفوفة بشيلان بنية اللون ، علقت لوحة تحمل كلمات خطت ببراعة ، « يقينى بالله يقينى » ، ساد الصمت لحظات ، ركزت شهرت نظراتها على اللوحة ، فوجىء بنفسه يبتسم . ثم يضحك ، ضحكت شهرت ، حاول الامساك بنبرات صوتها ليستعيدنها بين الحين والحين ، أيضاً ضحكها ، تبتسم بعينها وشفيتها وأنفها وفمها ، تبدو وكأنها لن تنتهى ، ضحكة باقية أبداً ، نظر الشاهدان بدهشة ، بعد إنتهاء الإجراءات قام حمدى إلى قلة مغطاة بكوب زجاجى . شرب حتى القطرة الأخيرة . جلس ، رأى الكوب فى غير موضعه ، قام مرة أخرى ، أعاد إلى مكانه ، قالت شهرت إنه مازال يشرب الماء بكثرة ، أعادت إليه الألفاظ اهتمامها بأشيائه الصغرى ، لم يهزه توقيعه على وثيقة الطلاق ، لكن اهتمامها المفاجيء به أو شك أن يقصفه بتيار أسى لاراد له ، قالت إنها ستقيم معه الأيام القليلة المتبقية فى مصر حتى تتم إجراءات سفرها . لوضايقه وجودها ستذهب إلى سلوى صاحبها ، قال إنها لن تضايقه ، لوصح العكس يمكنه مغادرة البيت ، فوجىء بحديثها عن الرحيل . لم يسألها التفاصيل ؟ لم تعد جزءاً منه ، ترى متى أكتملت فكرة السفر فى ذهابها ؟ أين موقع اللحظة من أيامها الماضية ؟ تذكر حوارا جرى بينها منذ أيام بعد العشاء ، قال إنه لا يحب مضغ اللبان ، قالت إنها تكره من يأكل البطيخ بصوت عال ، فى الصباح خرجا معا ، عند عبورهما الطريق أمسكت يده ، فكر ، انها تذبحنى برقة ، عندما تحرك قطار المترو التقط رقه ٨١٩ ، انه يحمل قطاعا متكامل من حياته ، الركاب والمحصل لا يعلمون شيئاً ، أقسى ما مر به خلال الأيام التالية رؤيتها تعد أوراقها ، الباسور ، أجازتها ، أوراقا لا يعلم عنها شيئاً ، عندما لمح بطاقة التطعيم الصفراء تطل منها تذكرة طائرة مستطيلة عكته الجهمامة ، انفصلت عن حياته كمرحلة أخيرة ، من صاروخ تاه ولم يتخذ مداره بعد ، يرقبها كميت احتفظ بوعيه فراح يتابع إجراءات دفنه ، كلما سمع



حركاتها الليلة يرى نفسه فى مدينة أقام بها زمناً طويلاً وفجأة أجبر على الرحيل ، راح وجاء داخل حجرته ، لا يستطيع الجلوس ، لا يرقد ، لا يقف ، لا يخرج ، لا يطيق الذهاب إلى الجريدة ، فى منتصف الليل طرق بابها ، لم يدركها النعاس بعد ، « أدخل » دفع الباب قليلاً ، بدا الليل والشتاء موحشين وكأنها الأيام الأولى من خلق الدنيا حيث لا يدب إنسان ولا يسعى حيوان ولا يزحف نمل ، طال صمته ، قالت متسائلة بخوف « ماذا تريد » ؟ رجاها ألا تتركه ، بدا الصمت ثقيلاً كالوحدة فوق قم الجبال ، أو التيه فى عرض البحر ، أو هبوط اضطرارى فى صحراء مجهولة . لم ترد . لم تقل حرفاً ، انسحب إلى غرفته يتينا ، أول ليلة قضاه وحيداً حدث نفسه بصوت عال ، الهزيمة ، يجب أن يتماسك حتى يللم بقاياها ، أهذا ما دفعه إلى قبول المهمة الصعبة والحصار محكم والأسر قائم والجراح رخوة ، هل أخطأ عندما أحب حماسها المفاجيء ، إصرارها على تحقيق ما تشرع فيه ، هذا الإصرار الذى دمر وخرّب وأباد .

إنه يعود من رحيله البعيد ، ينتبه إلى قرقر الذى يواصل حديثه ، ربما أثر الاستمرار حتى لا يخرج ، قرقر يتحدث عن المرأة التى أحبا ، عزفه وراءها فى جميع الأفراح التى أحبتها ، سنوات طويلة يتبعها أينما ذهبت . لا تولى عواطفه اهتماماً ، تعمدت دائماً الحديث عن عشاقها أمامه . تجلس آخر الليل تدخن الشيشة ، ترقب تعبيرات وجهه إذ يفتح الحجرات ، قال قرقر إنها لن تعوض ولن يخلق مثلها ( فكر حمدى باسى ، إن كل رجل يرى فى حبيبته شيئاً لا يعوض ) ، قال قرقر إنها عاشت ليومها فقط ، لم تجهد نفسها فى الجرى وراء إنسان ، لم تفكر فى الغد ، كل يوم تبدو وكأنها تعيش آخر أيامها . تضحك أشد الضحك ، إذا بكّت تبك وكأنها آخر ما تمارسه ، كأنها تتزود لسنوات مقبلة ، قالت دائماً إنها لن تحب ، لو أحببت سنتهى ، ستموت إذا هجرها الحبيب ، فى أوقات إبتعاده عنها

يذهب إلى زملائه ، يبدأ الحديث ، يطرق أى موضوع وفجأة يتطرق إلى ذكرها . ربما غنى بعض أحواله لها . وأخبرهم عن شىء بها ، شيئاً فشيئاً يتحدث عن عواطفه تجاهها ، يذكر سؤالاً وجه إليه مرات ، هل تحب سكر ؟ يطرق ، قال له المعلم صبحى عازف العود المشهور إن مثل هذا الحب يعطله عن الفن ، قال قرقر إن معظم الفنانين عاشوا تجارب فاشلة ، رد المعلم صبحى ، ليس فى كل الأحوال ، وإلا أنظر إلى عبد الوهاب وملاحقه النساء له ، ينظر الآن إلى حمدى ، يقول إن المرأة تهوى الرجل الذى يجرى وراءها ، لو يعلم امرأة تحبه ولا يبادها نفس المشاعر فلن يطيق اقتربها منه . لكن المرأة عكس ذلك ، تحب الاحتفاظ بالمولين بينما تبذل مشاعرها لشخص مختلف تماماً .

يبتسم حمدى ساهما ، تساءل صامتاً ، « هل بدا ضعيفاً » ؟ بالعكس ، عاطفتها بدت متوهجة دائماً ، ما أبدته من رقة ، اهتمامها به ، قال لها إن عواطفه تعبر عن نفسها فى صمت ، لهذا لا تنزعج إذا رأته مقلًا فى ألفاظ الحب ، أسرع بضمه ، قالت إنها تود الشعور بقربه ، متى تبادلها هذه الكلمات ؟ قبل رحيلها بشهر ، قبل الطلاق بعشرين يوماً ؟ .

يسأل حمدى الآن ، هل يمكن لعاطفة من طرف واحد أن تعيش سنوات طويلة ؟ يهز قرقر رأسه ، لشدة ما أحدثته سكر من آلام أصبحت أمراً إعتاده فى حياته ، يتفتق زمن كامل ، يكشف صوراً أوشكت على الإندثار ، وروائع كاد ينساها ، أشواقاً غامضة لا يدري طبيعتها . بعد سنوات من صحبة سكر بدأ يرى فيها أكثر من امرأة ، كل شىء يتصل بها ، حتى ما تسببه من ضيق إعتاده ، أحب جفءها معه ، صدها إذا تودد إليها ، أليس تشدها نتيجة لعلمها بعواطفه ، ما من خاطرة لديه إلا مصبوغة بظلال سكر ، كيف يجيب هذا الصحفي الذى يبدو متعجباً من استمرار حبه زمناً .

جاكتته قصيرة، جوربه ممزق، لم يعد يرتدى الجلباب الأبيض، رق جلد عنقه وتجمد، أما الأستاذ الزهوري فرحل إلى الجزائر وطنه الأصلي، يجيء بعض السماسرة إلى الداظوري يصحبون الزبائن، يتخلى أحياناً عن صمته، يسأل الزبون عن عمله واسمه وعائلته، ويخرج نوتة زرقاء يضم أوراقها باستك رفيف، يزيحه، يدون بالقلم الكوبيا بعض البيانات، يطلب من الزبون المرور عليه بعد ستة شهور. يرفض أى نقود تعرض عليه بحجة أنه لن يتقاضى ملياً كخلو، تفككت حلقات كثيرة أحاطت حياته، لن يغلق المقهى حتى ولو أصبح جليسه الوحيد، حتى لو رحل محمد الجرسون فى أثر زقلة واضطر إلى إعداد الشيشة بنفسه، واجه ضغطاً من جيرانه لكنه قال إنه لا يستطيع منع أى زبون، ولن يغلق المقهى إلا إذا أمر الشيخ عطية، ألا يكفى أنه يغلق المقهى أول الليل حتى لا يتخلف عن ميعاد العشاء والنوم، والدخان أيضاً تغير، أين عصر التباك الأصيل، أنواع مختلفة، عجمى وأزميرلى وعدنى وتركى وهندى، لا يوجد الآن إلا زبالة التباك، فى الزمن الرائق البعيد لم يزد سعر الأوقية عن ثلاثة قروش، تقارب الجنيه الآن، يذكر سنوات عمله جرسوناً فى مقهى عكاشة الكبير، عاش سنينا يأمل امتلاك مقهى، وعندما تحقق حلمه اختلف الزبائن والسهر لم يعد له طعم، لكم اعتنى بمقهاه، طلاه كل عام بالزيت، علق به لوحات زيتية باعها له طالب فنون جميلة، المقهى يجمع الهموم والأشواق، إنه يطيل تأمل الأفندى الشاب الجالس إلى قرقر، يألفه، هذه الألفة ليس من السهل على صاحب المقهى الشعور بها بسرعة تجاه زبون بعينه، يحتاج نموها إلى زمن، الزبائن الدائمون يعرفهم ويوليهم اهتماماً خاصاً، مظاهر بسيطة لكنها ترضيهم، تشعرهم بتميزهم عن الزبائن العابرين، مثلاً عندما يرى الجرسون أحدهم قادماً يزعم « شيشة يا جدع للأسطى أحمد، أو شاي يا جدع للمعلم فرج »، عندما يحضر القهوة يجيء معها بكوب ماء به قطعة ثلج صغيرة، إنه يعتبر هذا الأفندى من الزبائن الدائمين برغم تردده على المقهى منذ يومين، ربما لسماحته وأدبه والوسط الطيب الذى

ينتمى إليه. عرف اسمه ومهنته من محمد الجرسون، لم يتعجل الاطلاع على الغرض من مجيئه، سيرف كل شيء فى حينه. غرباء كثيرون ترددوا على المقهى خلال الأسبوع الأخير. بعضهم تسبب فى متاعب كالقوادين، والبعض الآخر سأل بشكل عام عن الحارة، لم يرههم مرة أخرى. صباح اليوم جاءه شرطى من هيئة الأمن المخصوص. قال إن اسمه ثابت عبد الجابر وينتمى إلى قسم مكافحة الأفكار الهدامة، وجه أسئلة عديدة حول رمانه السياسى، طلب معرفة تحركاته فى الحارة ودوره فى الأحداث الأخيرة. وقال إن القسم يتخذ الاجراءات الكفيلة بالقضاء على جميع أنواع المشاكل الموجودة والتي يرجح أن سببها رمانه السياسى، لم يجبه الداظوري إلا بألفاظ محدودة، لا علاقة له برمانه، بدا الشرطى متعجلاً، انصرف بعد أن حذر الداظوري من ذكر أى شيء عن زيارته أو الحوار الذى دار بينهما، بعد حوالي ساعة جاء شاب يرتدى الملابس المدنية أيضاً، سأل الداظوري، « هل أنت زعفرانى؟ » رد محمد الجرسون بالاججاب، ابتعد قليلاً بمقعده وقال إنه ينتمى إلى هيئة الأمن المخصوص، قسم مكافحة التعصب الدينى، استفسر عن نادر بسونى الهجرسى المشهور بلولى، سأل عن أصدقائه والمتردددين عليه، والمظاهر التى تدل على نشاطه السرى، وعلاقته بالشيخ، وقال إن دوره فى أحداث الحارة غير خاف على قسم مكافحة التعصب، وإن المواطنين الشرفاء أرسلوا خطابات عديدة يحذرون من نشاطه، قال الداظوري إن علاقته واهية بشباب الزعفرانى، انصرف الضابط بعد أن طلب الانتباه إلى تحركات نادر الهجرسى الشهير بلولى حتى يمكن نجاح الاجراءات التى يتخذها القسم لمكافحة المصيبة الزعفرانية.

ينسبه الداظوري إلى قرقر، بصوت عال يقول قرقر إنه يسره جداً تقديم الاستاذ الصحفى المشهور حمدى إلى المعلم، يقوم الداظوري متثاقلاً، يسمع حمدى تردد الهواء فى صدره، تحركه كلفه جهداً، يقول قرقر إن المعلم أشد الناس أصالة

فى الحى كله ، لم تحل مشكلة صغيرة أو كبيرة إلا بفضل جهوده ، يحب الخير للجميع ، أحد الذين آمنوا بموهبته وشجاعته ، ما من رجل يسأله النصح فى إحياء فرج إلا ويشير عليه باصطحاب قرقر ، حتى وقت قريب تولى أبقاظ الناس فى الفجر والذهاب على رأسهم إلى مسجد الحسين لأداء الصلاة ، لكن الصحة لم تعد تساعد ، رفع قرقر يديه إلى المساء طالبا من الله اضعاف كل صحه وعافية على المعلم . ينفث دخان الشيشة ، كلمات قرقر تلقى صدى طيبا فى قلبه ، يأخذه التأثر . يقول قرقر إن الأستاذ حمدى من أشرف الصحفيين ، صاحب قلم نظيف ، لم يرتبط بمصلحة أو يتقيد بشخص ، يقول حمدى إن قرقر يبالغ قليلا . ما هو إلا ساع وراء الحقيقة ، والحقيقة يمكن أن توجد فى صاحب موهبة أصيلة كالأستاذ قرقر أو حادث يجرى فى مكان ما . يقوم قرقر ، يتدفق الدم إلى رأسه . يشير إلى حمدى ، لم ير انسانا أشرف منه ، عاش حياة قاسية لكن الأمل لم يفارقه أبدا فى مجيء انسان شريف يقدمه إلى الناس ، يجلو الحقيقة ، حتى لو مات فسجىء من يقدر أعماله ، لكنه حسن الحظ أذ جاء الأستاذ حمدى قبل رحيله عن الدنيا ، يجلس منفعلا ، يرى جموعا كثيفة تصفق لعزفه ، تتردد التعليقات ، أين دفنت هذه الموهبة ؟ الدنيا بخير طالما ظهرت أخيراً . ينحنى للجمهور ، يصر على صعود الأستاذ حمدى إلى جواره ، يفاجئه حزن رهيف ، لكم يود لو شهدت سكر نجاحه ، سيزور هانئى اليوم التالى ويهدى راديو ترانزستور فى منفاها الأبدى ، تسمعه فتبكي أيامها التى لم تعيشها معه ، تكتب المجلات الفنية عن حبه العظيم ، إنه ينظر بود وشعور صادق بالعرفان للأستاذ حمدى وكأن كل ما تخيله حدث فعلا . يسأل حمدى ، منذ كم من السنوات يعيش الداطورى فى الزعفرانى ؟ ترتجف عينتا المعلم ، ينظر قرقر متأهبا للرد ، لكن الأستاذ حمدى يشير إليه بما معناه انه يريد سماع المعلم نفسه ، يجيب الداطورى أنه لا يذكر ، يقول حمدى إنه يود لو رأى هذا البيت لكن ظروف الحارة تقف حائلا ، عموما يستر يوح إلى المقهى ، الصالة الداخلية والجدران المغطاة بمرايا ضخمة والصور الزيتية تبرز نكهتها

الخاصة ، يشير قرقر إلى الأستاذ حمدى ، انظر كيف يقدر الفن ؟ يقول حمدى إنه يعشق الحى القديم ، يسكت فجأة ، رأى شهرت تتأبط ذراعه ، يمشيان إلى السور القديم ، يصعدان السلالم الحجرية العريضة المرتفعة ، بدت متوثبة ، تريد أن تعرف كل شىء ، من صاحب المكان ، من بناه ، من جدده . صاحت أنظر ، أشارت إلى أحجار الجدار حيث تتوارى فى الظلال كتابة هيروغليفية ، لابد أنهم هدموا بعض الآثار الفرعونية واستخدموا حجارتها فى بناء الحصن ، نظرا من الفتحة الضيقة إلى الساحة الواسعة ، عربات يد ومارة ، لم يتابعها الحارس ، أصبحا بمفردهما ، تملكته رغبة فى احتوائها ، تلامست أطراف أصابعهما ، امتزجت أنفاسهما . تحسسته بشفتيها الجريئتين ، مررت يدها فوق ظهره برفق ، عندما خرجا إلى الضوء تمددت فى جسديهما سعادة كما يمتد البناء الأثرى فى الزمان ، آثار نشوتها ضائعة الآن ، لو سعد فى هذا الشارع عشرات الأمتار فسيمكنه تحديد المكان الذى احتواهما ، ينظر إليه الداطورى ، نظرة ثقيلة ، بطيئة ، قرقر ساكت ربما يستفسران عن صمته المفاجيء ، يقول حمدى إنه يتمنى الإقامة فى الحى ، يأمل تحقيق رغبته على يدى المعلم ، سمع عن عمارته ، ينفث الداطورى دخانا كثيفا ، يطرق الأفندى ، سيرة لا يملها ، يتخلى عن صمته وجموده ، سيقم العمارة بإذن الله ، عديد من العقبات تسبب فى تأخيرها ، منها عدم ثقته بهؤلاء المهندسين مصممي المباني الحديثة ، يريد تضمينا فيه رائحة الزمن الحلو ، الغرف متسعة ، الصالات بها نافورات صغيرة ، المشروبات بدلا من النوافذ ، لن يعبأ بتكاليف ، لا بد أن تسقى العمارة بعد وفاته كعلامة فى الحى ، عمارة الداطورى ، يريد عائلات محترمة تحفظ المبنى لكن ما جرى فى الزعفرانى أضاف عقبة أخرى . يتوقف . ينتظر بادرة حماس من حمدى بعد ذكره الزعفرانى وأحداثها ، عدم اهتمام الأفندى الصحفى خيب ظنه ، فى نفس الوقت زاد شعور الألفة تجاهه . يقول قرقر إن ما جرى لن يؤثر على مشروعات الأهالى ، وكما قال الشيخ فى خلوته الأخيرة البعض إنه لم يقصد ضررا ، ما يخيل للبعض أنه أذى ، مجرد وقفة



شاملة يتم بعدها ترتيب أوضاع الإنسان إلى الأبد . ما تم وسيلة إلى غاية . يقول الداطوري ، لم تتضح الغاية بعد لكن يكفي أن الشيخ قال ما قاله . يتدخل حمدي متسائلاً ، ألم يجد الشيخ وسيلة إلى غايته إلا تعجيز الخلق ؟ ينظر الداطوري إلى قرقر ، يدرك حمدي إندفاعه . يستعيد لهجة الداطوري . يبدو مدافعاً عن الشيخ . أهذه لهجة تتناسب مع عجزه ، خطر له سؤال قرقر عن نشاطه الفني خلال الأيام الأخيرة : أرجأ تساؤله إلى فرصة أخرى . يود التعرف إليها أكثر . يقرر العودة إلى الحديث عن عمارة الداطوري ، أخبره قرقر أن مفتاح الحديث مع المعلم هو الكلام حول العمارة ، لا يملك الداطوري تكاليفها أو الأرض التي سيقمها عليها لكنه يحلم بها منذ سنين ، يحار حمدي . كيف يعيد الحديث إلى العمارة ؟ سيسأل عن رخصة البناء . هل حصل عليها أولاً ؟ لكن قرقر يقوم واقفاً . يتجه إلى شاب طويل يرتدي حلة كاملة ، يحييه « هذا زمن الفرار » ، يصيح بحماس شديد ، « الأستاذ عاطف خريج الجامعة أحد السكان المحترمين الذين يقدرون الفن ويطربون لسماع النغم » . يمد حمدي يده مصافحاً « حمدي رشوان ، محب للحي القديم أولاً ، وصحفي بجريدة اليوم ثانياً » ..

\*\*\*

« بعض من مذكرة رفعت الى رئيس هيئة الأمن الخصوص

من قسم مكافحة التعصب الديني .. »

ومما دعم تقديراتنا تلك الخطابات التي وصلتنا عن نشاط المدعونادر بيسيوني الهجرسي الشهير بـ « لولى » ، وأحد هذه الخطابات أرسله والد المذكور ، هذا ما أثبتته تحرياتنا لأن الوالد لم يوقعه ، وجارية محاولة الاتصال به ، وللعلم فهو مخبر قديم عمل بالشرطة السرية ، ولا بد أن إلترامه القديم بالعمل ، وإخلاصه لواجبه دفعه إلى التبليغ عن نشاط ابنه ، وتدلل كل القرائن على المسؤولية المباشرة الواقعة على عاتق المذكور . ومن خلال التعاليم التي استطعنا رصدها يمكن ملاحظة بعض أفكار الهجرسي والتعصب ، والتحرّض ضد نظام الدولة والمجتمع ، وتجدر الإشارة إلى أن تجميع هذه المعلومات تم بصعوبة بالغة ، وفيما يلي بعض الخطوط العريضة التي تضمنتها أفكار الشيخ والتي أفضى بها إلى عدد من أهالي الزعفراني — بينهم المذكور .

« طلب الشيخ من المجتمعين به أن يعوا تماماً بدء تغير الأحوال ، ويجب أن يسعدوا الآن زمانهم سيشهد المنعطف الحاسم ، ظهر موعود البشر بعد احتجاج عصور كثيفة خلف ستار العزة ، بعد اتصافه بكلمات لا تحصى ، صبر لا يوصف لما رآه وسمعه ، سيكشف منابع الزلازل ويرفع الأرصاد والاعلال ، ما هو إلا حرف من كتاب عظيم وقطرة من بحر لا ساحل له . اشتغل طول حياته بالإنسان ، أفنى عمره في تأمل العالم ، ما مضى ويمضى وسيمضى ، غمره الاشتياق إلى رؤية بنى الإنسان يتعاونون ، أما الآن فما هو ذا زمن الاتفاق ، إنه يرصد نبض العالم ويرى أياماً آتية لا ريب فيها ، يسمع منها أغاني المحبة

ترتفع في مجامع الأحياء . ينفذ إلى مستقبل سعيد بالبصر الحديد ، مستقبل لا يعد به فالإنسان منذ خلق يعيش وعدالم يتحقق ، مستقبل يحققه .

قال إنه منع المشاجرات تمهيداً لاجتثاث الحروب ، يصبح الإنسان متسامحاً مع أخيه ، بعد ترتيب أوضاع البشر تحتفى العداوات . تصبح المحبة حقيقية والشفقة حقيقية . بدلا من المشاجرات يعرف كل إنسان الكمالات المودعة فيه وفي الآخرين . خلق الإنسان غنيا ، لماذا يفتقر ؟ خلق عزيزا . كيف يستذل ؟ عجن من طين الحب . كيف يبغض ؟ نزل من الرحم ممتلئا ، كيف يجوع في الدنيا ؟

فكر طويلا في الوسيلة . بعد اجتهاد طويل . ومعاناة علوية . قرآن يحرم البشر إلى حين من الثمر . في البدء فكر في حرمانه من الخبز ، لكنه سيهلك ويتقوض بنيانه . أفضل وضع ارتآه حرمانه من الثمر . يعرف أن الإنسان العقيم كالشجر الأجرد ومثل هذه الأشجار تلين للنار . لكنه أعطب العطاء إلى حين مقدر . صدمة توقظ الإنسان وتقل كثيراً عما لحقه من صدمات البغض والافتتال . بعدها يطيعه الناس . إذا لم تحدث الطاعة ستستمر الفتن والقتال . يخاصم الناس بعضهم بعضا . يستعملون جزءا كبيرا من قوتهم لدحض مجهودات الآخرين من إخوانهم بدلا من العمل جنبا إلى جنب لإزالة الأوجاع المرثية والمستوردة ، يكفي ما ضاع منذ خلق العالم في التناحر والخلاف . بعد الصدمة تتوحد أحوال البشر أجمعين في البداية . ثم تتغير الأحوال تغيرا جماعياً ، كليا ، يصبح العالم كله أوراق شجرة واحدة . حبات عقد متساوية . مصابيح ثريا . وغزلان مرعى واحد .

قال إن العالم كله سيسمع صوت الحقيقة ، ستتحدث كافة الأجهزة

التي تنقل صوت الإنسان وصورته ، وتنقل كافة المواصلات الجوية والنهرية والبحرية والبرية » .

هذا ما وصلنا عقب جلسته الأخيرة إلى المختارين من أهالي الحارة . وتردد في الحى القديم عقب الخلوة أن الطلسم سيلحق كافة العاملين بالإذاعة والتليفزيون ، ووسائل الاتصالات ، تمهيدا لانتشار أفكاره . كما اختار شخصا من الحارة اسمه الصول سلام وأطلق عليه المنذر الأول ، وفي أقوال أخرى ، رسول الميثاق رقم ( ١ ) .

•••

### العالم يتساقط :

يقول رمانه السياسى إنه سجن أربعة عشر عاما من أجل القضية . عشرة منها متصلة . بدأت عام ١٩٥٤ . وانتهت عام ١٩٦٤ . بخلاف سجنه الأخير . يردد حسان ، عشرة أعوام متصلة ؟ يعكس وجهه دهشة ، وتأمل ، ومحاولة يائسة لتجسيد هذه الفترة من حياة إنسان ، كم بلغ عمره عام ١٩٥٥ ؟ ، شهورا ! دخل رمانه السجن وهو طفل يرضع وخرج منه وحسان ينتقل إلى الثانية الإعدادية . ١٩٦٤ عرف طريقه إلى مكتبة المدرسة . إلى الشيخ تهاى بائع الكتب القديمة . يمضى إليه بعد خروجه من المدرسة . يدفع خمسة مليمات . يجلس فوق الرصيف ، يقفز قلبه مع أرسين لوبين إذ يهاجم خصومه شاهرا سلاحه ، يأخذ من الأغنياء ليعطى الفقراء . توهج خياله بمغامرات اللص الشريف . رأى نفسه مرتديا حلة سوداء وقناعا ، يدس يده في جيبه ، يأخذ الحلى والمجوهرات ، يوزعها على زنوبة العازبة ، البنان وامراته لطيفة ، يعطيها أجرة السفر حتى يلحقا بانها . يدس تحت وسادة أبيه مبلغا . يدفع عنه حيرة الأيام الأخيرة من الشهر . يعطى كل فقير

حول الحسين جنبها كاملا . لكم تبدو هذه الأيام جبلي بالأمانى . مع توالى  
الستين أصيب الخيال بضمور ، يوما بعد يوم يتنازل الانسان عن أحد أحلامه حتى  
يتنازل عن الحياة نفسها ، يذكر مشاعره عام ١٩٦٤ ، يسخر منها الآن ، بعد عشر  
سنوات هل سيسخر من أفكاره الآن ؟ لكن ما الذى فعلته هذه السنوات الطوال  
برمائه . هل مازالت لديه القدرة على الحلم ؟ يقول حسان إنه لا يستطيع تصور  
نفسه محبوسا لمدة أسبوع واحد . يضحك رمانة ، برغم طول المدة يذكر بعض هذه  
الأيام وكأنها ذكريات جميلة . لا حدود لقدرة الانسان على التكيف . يصمت  
رمانة ، يبدو السكون حادا يتعجب حسان . تمتلىء الحارة عادة بصياح الأطفال  
فى مثل هذا الوقت ، حديث النساء عبر الشرفات ، يتذكر استمرار الهدوء منذ  
أيام ، يقول رمانة إن ما يخشاه بالنسبة للحارة ، يرجع إلى قدرة الانسان على  
احتمال ظروف شديدة . ما يجرى محير وعجيب . خارج عن المنطق ، غير محكوم  
بأى قانون . يواجه الزعفرانيون قوى غيبية و يعيشون على أمل فك هذا الطلسم  
وانتهاء تلك الصدمة كما يسميها البعض ، كل يوم تسرى اشاعة بقرار الشيخ رفع  
الطلسم عن عدد معين لكن لا يحدث . يذكره هذا باشاعات الافراج فى  
المعتقل . اعتاد المعتقلون ترددها . يصل الأمر فى بعض الأحيان إلى تحديد اسماء  
المفرج عنهم ويحددون التاريخ . تسمى الأيام ولا يحدث الافراج ، تسكت  
الاشاعات فجأة لتعود من جديد . يكذبون و يصدقون أنفسهم . تشتد هذه  
الاشاعات فى الاعياد والمناسبات ، كمولد النبى وعيد الثورة وعيد الأم . هذا ما  
يجرى الآن فى الزعفرانى ، يرقب حسان رمانة متأنيا . يحتفظ عقله بفكرة ثابتة ،  
هذا الرجل قضى أربعة عشر عاما فى السجن . يبدو مقابل لفظ السجن كهوف  
مظلمة ، زنازين لا يمكن للانسان أن يقف فيها . أيام بلا نهاية وكلاب متوحشة .  
حراس غلاظ القلوب . يقول حسان إن بعض الذين ارتفعت أصواتهم باحتجاج  
هدأوا الآن وأولهم التكرلى الذى ينفى غموضا على تصرفاته . ثمة ملاحظة  
أخرى ، خلال الأيام الأولى حرص كل رجل على الايحاء بأنه المستثنى من

الطلسم ، لكنهم الآن يخفون ضعفهم . خوف الناس يتضاعف خشية أن يفشى  
الشيخ بعض أسرارهم ، يتساءلون ، كيف توصل إليها ؟ يتعجب رمانة . هل نسى  
الزعفرانيون أنهم مصدر كل ما يعرفه الشيخ عنهم ، إنه يعيد ما قالوه عندما لجأوا  
إليه لحل مشاكلهم ، يجيب حسان ، انه قضى سبع سنوات محتجبا لا يقابل أحداً  
من الخلق ، يقول رمانة إن ما جرى فى الحارة خلال السنوات الماضية غامض  
جداً بالنسبة له . يفكر حسان ، رمانة واحد من الذين يحاولون تغيير العالم . اعتقل  
وعمره ثمانية وعشرين . خرج وعمره ثمانية وثلاثين ، ثم انتقل من جديد ، الآن  
بلا أطفال أوغد مأمون . بعد اللقاء الأول أدرك حسان أنه أمام رجل صارخ  
الحياة . عمل رمانة فى بداية حياته مجلدا للكتب . ثم جرسونا فى مقهى تملكه  
والدته التى ماتت أثناء وجوده فى السجن . لكم ود حسان أن يصمد والده أيام  
المصيبة ، لكن والده احتمل الكثير ، رفض البوح بمتاعبه ، وعلق آماله على ولديه .  
رأى فى نجاحها راحتته ، لهذا جاء هروب سمير كأنهيار الأساس الذى شيد فوقه  
منزل من طابقين ، أبوه آيل للسقوط ، تزحم حلقه غصة إذ يتذكر والده حتى فى  
ساعات نومه لا يخلع الحذاء . كثيراً ما يقف متصلبا فى صالة البيت ، إذا حاول  
حسان أو والدته الحديث إليه زعق فيها أمرا اياهما بالسكوت واتاحة الفرصة له  
حتى يتلقى تقرير إبراهيم باشا قائد الخيالة ، أو يصغى إلى متاعب روميل ،  
عندئذ يأوى حسان إلى غرفته باكيا . ها هوذا يرى أباه فى وضع طالما يسمعه  
كحكايات عن آخرين ، أن يراه مطبقا على والده فهذا مؤلم ، يوقن حسان بوجود  
صلة بين أحوال أبيه وما يجرى للزعفرانى ، يسأل رمانة عن الكلية التى ينوى  
دخولها ؟ ، يرى حسان والده فى لحظات الصفاء يوم عطلة الجمعة بعد عودته من  
الصلاة فى مسجد الحسين ، يقول إنه قرأ الفاتحة على أرواح الموتى وتوجه بالدعاء  
راجيا من الله قبول دعائه حتى يحصل حسان على مجموع كبير و يدخل الطب .  
يسأل رمانة ، ماذا يعرف حسان عن الاشتراكية ؟ يقول إنه قرأ كتباً عن  
الاشتراكية ، وأن أحد الأساتذة فى المدرسة حدثهم طويلا عن سنوات ثلاث



قضاها في بلد اشتراكى ، يقول إن قراءته متناثرة لا يربطها منهج . في البداية تحمس بشكل صياني ، لا يذكر بالضبط متى قرأ أن الاشتراكية تحقق العدالة . منذ هذه اللحظة بدت شيئاً غامضاً موجوداً في مكان ما ، راح يتحمس لها في احاديثه حتى حذره أحد المدرسين ، لم يتضح في ذهنه الطريق الصعب للوصول إلى العدالة وقتئذ ، لم يدر شيئاً عما جرى من اعتقالات عام ١٩٥٩ ، لم يتم الثامنة في هذا الزمن ، يذكر انه حصل على عيديته وخرج إلى ميدان الحسين . جذب انتباهه كتاب لامع الغلاف ، « البؤساء لفكتور هوجو » . عاد به إلى البيت . قال أبوه إن الكتاب صعب ولا بد من وصوله إلى الجامعة حتى يفهم ما فيه . أخذه منه ، لكنه لاحظ فيما بعد أن والده يعرض الكتاب على أحد أقاربهم وسمعه يقول في المساء الهادئ « انظر .. ماذا يقرأ ابني ؟؟ » يذكر حتى الآن سطوراً من البؤساء .

سقطت بوجهي إلى الثرى وداعا رفاقي إلى الملتقى

يقول رمانه إن الأشياء الأولى لا تضيع من ذاكرة الانسان ، المفرح والمؤلم . قضى أياماً عديدة في السجن . لكن اليوم الأول في عقله بكل تفاصيله ، حتى ليوشك أن يرى الآن سترة المخبر الذى يقوم بوظيفة السجن في معتقل الباحث ويرى موضع زرار ناقص يظن أنه الثانى من أسفل ، يسكت رمانه لحظة ، يقول إنه سيحاول العثور على بعض الكتب ليقرأها حسان « انه ليس مثقفاً بما فيه الكفاية . غلب على عمله السياسى عنصر الحركة لكنه يعرف بعض الكتب الاساسية التى لا غنى عنها ، يقول حسان إن هذا سيساعده على بلورة العديد من أفكاره . ينظر رمانه عبر النافذة بيوت الحارة علية . اعتادت الزعفرانى الصمت منذ أن أصبحت تعاليم الشيخ بمنع الشجار واقعا محسوسا . يذكر الوقفة الغربية لوالد حسان ، يسأل . هل عمل الوالد بالجيش ؟ . يهز حسان رأسه نفياً ، لا يرغب في الحديث . يسكت رمانه أيضاً . في البداية تمنى حسان اتصال

الحديث بينها . لكن لا يمكن الاستمرار في موضوع واحد بين الزعفرانيين إلا ويمتد إلى ما يجرى . أسئلة عديدة تطفئ على ذهنه . اكتشف رمانه الطلسم ما رأيته في الحل ؟ هل يؤثر الوضع عليه ؟ ما رأيته فى أقوال الشيخ عن المساواة ؟ إن استفسارات مشابهة تشغل رمانه ، تناولا في حديثها قضايا عديدة لكنه يمس حتماً أوضاعها الشخصية فى ظل الظواهر الخاصة التى تمر بالزعفرانى . حسان لا يخشى الحديث فى هذا الموضوع ، لكنه يضيق إذ يذكره أحد بأبيه خاصة أن أحواله تتخذ الآن شكلاً مزعجاً . حدث صباح اليوم أن تسلل صبيان إلى سطح البيت المواجه لهما . أفلتنا من رقابة عائلتها . بدءا يشيران إلى والده . يصيحان بلهجة متغمة « العبيط أهه .. أهه .. » صاح إن العدو يشن حملات نفسية جبارة بالإذاعة . قذفه صبي بججر صاح منادياً ابنه رئيس الأركان . قال إن محاولة جرت لاغتياله بواسطة وحدة مدرية ، زقق ، إن الثغرات لم يحكم إغلاقها ، طلب مهلمر مدير المخبرات . أوما حسان برأسه واستدار لكن والده جذبه . صفعه بقوة . قال إنه لا بد من أداء التحية العسكرية عند الانصراف ، هذا التسيب هو السبب فيما يلاقيه هانبيال الآن من صعوبات فى إخفاء حركة قواته عبر الجزء الجنوبي من الزعفرانى . طالب ابنه بالانضباط مظهراً وجوهراً . يحزن أوما حسان . رفع يده بتحية عسكرية . عند الباب وقفت أمه تكي صامته ، همست « يا خراب بيتنا » ، سألته ، إلى أين سيمضى ؟ قال إنه سيطلع إلى سطح البيت المقابل ويمنع الصبية من قذف والده بالطوب . هل يلجأ إلى عويس راجياً منه إبلاغ الشيخ بمخالفات الصبية . حتى الآن يرفض الاعتراف بالطلسم رغم سر يان مفعوله عليه . رغم ذلك ربما اضطر إلى اللجوء إليه باعتباره مصدر القوة والسيطرة الآن فى الحارة . لم يجد الصبيين ، أطل من فوق السطح ، رأهما يقفان فى الحارة يشيران إلى الجنرال الواقف فى الشرفة ، نزل إليهما مسرعاً . لم يجدهما . دهمه خجل . لم يعتد دخول بيوت الآخرين فى الحارة ويجرى الآن مطارداً الصبية .

غالب ضيقه وأدى التحية العسكرية لوالده . قدم التقرير المطلوب منه ومضمونه إتمام الإجهاز على فرق الاغتيال .

ينظر رمانة إلى حسان ، يرى سنيته الأولى وعمله في المطبعة تحت إمرة عامل اسكندراني اسمه بدر ، تعلم منه التجليد والسياسة . كيف يطبع منشوراً ؟ كيف يهرب من المراقبة ؟ كان عفيفاً ، لم تلحقه اضطرابات العمل السياسي . لم يتغمس في الخلافات ولم يناقش زميلاً له يعتقد نفس الأفكار لكنها يختلفان في وجهة النظر لدرجة العداء الشديد . بحيث يبدو عداء كل منهما للآخر أشد وعورة من عدائهما للرجعية والمستغلين . وقتئذ لم يحركه إلا الحماس والرغبة في تحدى الجهول ، اقتلاع الظروف القديمة من أساسها . بدأ العمر فسيحاً والواقع يسمح بالتنفيذ ، في السجن وهنت الآمال ، أحياناً فكر في استعصاء العالم وثباته وضالة الإنسان بالنسبة إلى الهدف الأشمل . لكنه يذكر الآن هذا العجز الذي مات عن تسعين عاماً في المعتقل . شارك في تأسيس الحزب الأول عام ١٩٢١ . وأخلص للنقضية حتى مات في معتقل الواحات . يستعيد الآن جنازته المهيبة . جثمانه الملفوف في بطانية حمراء يتخللها شريط أسود من الطرف إلى الطرف ، الطابور الجنائزي . وقفة رجال الحرس الذين لم تستطع ملابسهم الرسمية طمس ملامحهم الريفية وانتمائهم إلى القرى والنجوع . يذكر ما والذي يقود ثمانمائة مليون من البشر . يقارب الثمانين . لكن ما أقل البشر الذين رأوا تحقق ما كافحوا من أجله بعيونهم ، هنا سر عجيب يبعد الناس عن بعضهم البعض . يوجب الخلافات الدامية سنيماً بأكملها . يدفع الزميل إلى الشك في زميله . أهو مرض تثيره جرثومة لا تقدر على العيش إلا في جو معتدل صيفاً ، معتدل شتاء كمصر . إنه ينظر إلى حسان . يحاول ألا يتيح الفرصة لأفكاره أن تنعكس على عينيه حتى لا يرصدها الشباب اليقظ المتحمس . منذ خروجه والوهن يدب في كل شيء حتى ما جرى في الزعفراني ، كأنه نتيجة لسنوات الخلاف والتناحر وعدم

الوحدة وضيق أهداف . إنه يستدير إلى حسان ، تبرق عيناه ، لم ينبج طفلاً ، لكنه يشعر تجاه الفتى بمشاعر شتى أشمل بكثير من الأبوة ، تراوده راحة خفية ، الآن أمامه من سيواصل الاندفاع بحماسة القديم ، سيتحدث عنه إلى زملائه الأقربين ، سيقول لهم إن القضية متجددة ، وما أنفقوه من العمر لم يضع هدراً . عندما اعترض على حل الحزب لم يفكر في وجود فتیان جاءوا إلى الدنيا . يعرفون ما عرفه في البدايات . و يوماً يقيمون بناءهم الخالي من العطب ، إن انفعالا يدركه ، هل يوقف حسان تساقط العالم ؟

o o o

### تقرير من أجهزة المتابعة إلى هيئة الإعلام العليا

بتاريخ ٢٨ / ٣ ، نشرت جريدة « ديرا فونياز » النمساوية خبراً في صدر الصفحة الأولى ، يتحدث عن ظاهرة غريبة في عاصمة البلاد ، وكيف أعد أحد الشيوخ طلسماً مسخ به القدرة الجنسية للرجال ، وأعلن تعميم الطلسم على العالم ، وعلق الكاتب الأسباني الساخر « بار يوس دي فونجا » المقدم في النمسا بمقال تقطنتف منه ما يلي :

« من المثير حدوث هذا في القرن العشرين . إذا صح الأمر فيجب الاستعداد لمواجهة عالم بلا رجال . وعلى النساء المسارعة بارتشاف اللذة قبل أن تصبح عريضة المنال ، ونحن لا ندري رأى العلم في ذلك ، لكن الموضوع يثير قضايا عديدة ، إذا أن صاحب الطلسم يقصد غايات معينة ، وكما تقول الأنباء إنه يسعى إلى تغيير الطبيعة البشرية بواسطة إحداث صدمة تمهيداً لخلق عالم خال من الصراعات . تتوحد حدوده ولغاته ، خال من النزاعات والأحقاد ، ويقول الشيخ إن دنيانا تضم عوالم مختلفة ، وليس صحيحاً أن الجنس البشري واحد . فهناك

جنس الأغنياء . و جنس الفقراء . جنس السود ، و جنس البيض ، الإنسان ضد الإنسان ، وهذا ما يريد محوه ، أن يجعل الإنسان للإنسان ، وذلك بإيجاد الإنسانية فى وضع واحد يوقظها ثم يفرض عليها ما يريد . هذا ما تقوله تلك الأخبار الغربية . و اننى أعلن منذ الآن أننى المبشر الأول بالشيخ و تعاليمه لعل هذا يقينى أثر الطلسم ... »

و بعد نشر هذا التعليق كتب صحفى متخصص فى الشؤون السياسية بألمانيا الغربية يدعو إلى ضرورة توجيه نداء عاجل إلى حكومتنا بغرض اتخاذ موقف حاسم . و اصدار بيان رسمى يضع الأمور فى إطارها الحقيقى بالضبط حرصاً على الجنس البشرى . كما دعا هذا الكاتب حكومته إلى ضرورة التشاور مع الحكومات الأخرى فى العالم بصدده هذا الأمر الخطير . ولا يخفى ما تتضمنه هذه الدعوة المشبوهة من إعداد للتدخل فى شئون البلاد . و سارعت الأوباق المعادية بترديد هذه الأنباء . و دعت السياح إلى التردد فى السفر إلى بلادنا بقصد ضرب الحركة السياحية . و بالتالى تخريب مورد هام للاقتصاد الوطنى .. » .

•••

على أثر قيام بعض الصحفيين الأجانب بتوجيه أسئلة الى الناطق الرسمى حول حارة الزعفرانى بادر رئيس هيئة الاعلام إلى اصدار تصريح رسمى فيما يلى نصه .

« .. دأبت بعض الصحف الأجنبية خلال الفترة الأخيرة إلى ترويج أخبار مغرضة زعمت بوقوع أحداث معينة فى حارة الزعفرانى الواقعة بالحي القديم من عاصمة البلاد . و تتضمن هذه الأخبار خرافات لا يصدقها عقل متحضر فى

الربع الأخير من قرننا العشرين .. إننا نفى بشدة هذه الأخبار . و نبادر إلى القول بأن أهالى الزعفرانى يعيشون حياة عادية شأن كل أهالى العاصمة و غير العاصمة . ولا نستطيع إزاء هذه المزاعم إلا السخرية من صانعيها مضللى الرأى العام العالمى .. »

•••

### الخوف من ضياع الشك .

.. فى البداية أخفى عاطف حذراً و ريبة . منذ عام وأكثر لم يتعرف إلى صديق جديد . أصحابه القدامى أعاد النظر فيهم ، انتهى إلى انقطاع عنهم . لا يسعى للقاء فريد أو وجدى إلا إذا غمرته الوحدة تماماً حتى يوشك على الهلاك بمفرده . أو يحن إلى معاشية جو أسرى لمدة عابرة . بالرغم من هذا تأخذه حسرة بعد انقضاء لحظات على تواجده عند فريد و امرأته . يرقب مرجحها . اسراعها إلى المطبخ . احضارها الجبلى الذى أعدته بنفسها . أو تجهيزها بعض العصير فى الخلط الذى اشتراه فريد من السوق الحرة بالمطار بعد عودته من إيطاليا فى العام الماضى . شقة صاحبه صغيرة . أنيقة . يعرف قصة كل قطعة أثاث بها ، الحياة الزوجية الراقية تثير فى نفسه مشاعر رهيفة . ليس حسداً . ليس حقداً . لكنه يشعر بجراحه الرخوة ، يرى نفسه فى موضع فريد ، رحمة مكان صفاء ، يرى نفسه جالساً إلى رحمة ، يتحدثان فى أمور تخصها وأشياء يجب شراؤها ، وزيارة لابند من القيام بها . و فيلم جديد جدير بالمشاهدة . إنه يرى رحمة الآن فى مدينة أخرى . ترمق بنفس النظرات التى خصته بها أحد الذين كانوا من أقرب الناس إليه . سيفاجأ بسبيل برحمة تعرف عنه أشياء كثيرة . أدق شئونه ، تعرف عدد قصصاته . عنوان الترزى الذى يفصل عنده جاكثاته . الأفلام التى يعجب بها . الأغانى التى يطرب لها . لن تقول له إنها عرفته من خلال عاطف ، أثناء



خروجها يحدثها عن نبيل صاحبه ، يحكى لها آخر مغامراته ، أفكاره ، يقول إنه اليوم فى المكان الفلانى يفعل كذا أو كذا ، قبل أن يعرفها به حدثها عنه . عندما قدمها إليه أول مرة ملأته سعادة . جلست رحمة خجلة ، شجعها على الانطلاق فى الكلام ، أوشك أن يدمع تأثراً . صديقه الأول وحبيبة قلبه ، قام أكثر من مرة ليتصل تليفونياً ، وليدعها بمفردهما ، أثناء عودته رآها . رحمة تدير كوباً بيدها ، تبادل نبيل النظر ، تأثر للغاية ، فى نهاية اللقاء أعلن عن سعادته لبدء علاقة صداقة بين حبيبته وشقيق عمره وتوأم روحه ، وقال إنه حدث كل منهما عن الآخر بما فيه الكفاية ، أى أن لعلاقتها جذوراً غير مرئية ، أمسك بيدها وبيد نبيل ، يذكر اللقاء الأول بكل تفاصيله كما يعى المواقف التى رصد خلالها تطور الخيانة ، سألها عن نبيل بلهجة خاصة . قولها بعد فترة إنها التقت به وتحدثت إليه . وقوع الجفوة ، عاطف لا يثق بأحد منذ شهور . ربما هذا ما بدل انطلاقه صمتاً دائماً ، لكنه يفكر كثيراً فى حمدى الصحفى ، طريقة الترحيب التى أبدتها أعادت إليه بأسى أسلوبه عند التعرف إلى الآخرين . انفتاحه الذى صدأ . كان يعتبر الأصدقاء امتدادات مكملة له . لكنه لاحظ أو خيل له أن ثمة افتعالا فى حمدى هذا ، ربما لاشتغاله بالصحافة والذى يقتضى إبداء الود حتى يحصل على ما يريد وإن أكد الدافع الشخصى لبعثه إلى الحارة ، أصغى عاطف وتمنى حظاً سعيداً له ثم أصر على المشى . فى طريقه إلى البيت فكر فى شيوخ أمر ما يجرى ووصوله إلى الصحافة ، إن رعباً يدركه كلما تخيل استدعائه من قبل أحد رؤسائه وسؤاله عن الطلسم . هل يستطيع تجاهلهم عندئذ ؟ أحس بشيوع أمر الطلسم فى البلد كله . فى البداية حاول كل رجل زعفرانى إخفاء الأمر عن الآخر . لكن كل شىء افتضح ، الأيام تمر ولا أحد يدري متى الفرج ؟ يبدو أن الأجهزة الرسمية تتابع الظواهر باهتمام . جاء رجال كثيرون غامضون ، جمعوا معلومات ، وتساءلوا ، وعلم من روض أن هذا بتأثير نفوذ سيد التكرلى . أما على المكوجى فأوقفه أكثر من مرة مؤكداً اهتمام الهند بالموضوع ، ودعوتها لعدد من الأهالى

الزعفرانيين لإجراء فحوص هندية عليهم وشفائهم ، يخفى عاطف ضيقاً من طول المدة المنقضية على بدء الطلسم . يزد ضيقه عن إشاعات الحارة بقرب فك الطلسم ، يثور التخمين ، ترشح أسماء ، روض تأتى إليه فى أوقات منتظمة ، لم يعد يخشى حضور هذا ، بالطبع لاحظت الست بثينة التى نخلت وضعف بدنها دخول روض بيت أم محمد حيث يسكن عاطف الأعزب ، رصدت العلاقة الوليدة ، ظننته الذكر الوحيد الباقى على حاله . ذهبت إليه . عرضت عليه أن تغسل له ثيابه ، أن تعد طعامه ، قابلها بصد ، لم تستطع الزعيق إذ كفت عنه بعد تعاليم الشيخ ، راحت تنتقل بين النساء وتتحدث عن العلاقة المحرمة بين روض وعاطف ، قابلوها بعدم اهتمام . لم يعد أحد يصغى إليها ، ربما لانكفاء كل زعفرانى على ما جرى له ، أو لما أصابها من هوس ، ومغادرتها بيتها ونومها فى الحارة ، تخشى لონامت داخل الشقة أن يدركها الموت . قابلها طاحون أفندى تجرى فى ميدان بيت القاضى ، بدت مرعوبة . أمسكت بثيابه ، هدأها ، انتفضت كحمامة مبلولة ، قالت إنها تجرى هرباً من الموت ، لوجلس فى مكان واحد سيدركها الموت ، لم تهتم الزعفرانى بذهاب روض إلى عاطف ، وقوفها فى الشرفة معاً ، فقط لاحظ عاطف عصبية نبيلة المدرسة ، واغلاقها مصراعى الشرفة عند ظهوره ، قالت روض إن الغيرة تنهش نبيلة ، أولاً لأنها مدرسة ، عمل منذ ست سنوات ، يقال إنها أدخرت حتى الآن مائتى جنيه ، ثانياً لدراستها الجامعية ، ثم لا تلقى استجابة من الوحيد اللائق بها ، لم تفقد الأمل حتى رأت بعينها روض وعاطف فى الشرفة فأبدت تعجبا من الأفندى الذى يتجاهل الجامعية ويجرى وراء الجاهلة المطلقة ، قالت أكثر من مرة بعد ذلك إن ما جرى للزعفرانى عدل ويستحق رجالها أكثر من ذلك ، أصغى عاطف وضم روض إليه . استكان الجسد البض إلى ذراعيه . شم رائحة شعرها ، ورأى منبت نهديها الرائعين ، عندما تجيء إليه تنهى أخبار الحارة ، تفتش الدولاب ، تخرج ثيابه المتسخة ، تنظف الشقة . تلمس البلاط ، يرقب اغتائها وبروز مقدمة ركبتيها .

انحسار ثوبها عن بضاضة فخذها ، يتتبع انحناءات الجسم الرائق . تتعمد إطالة بقائها أمامه . تكثر من حركتها ، ما يخفيه الثوب من جسدها أشد ظهوراً من عريها . تأمل قيامه فجأة . يطرحها أرضاً فتهتف بنشوة وشوق ملتان « ضمنى ضمنى قوى » ثم تعطيه ما منحته اياها الأنوثة . تحتويه داخلها . بعد حين بعض شفته . الرغبة أدركها الطلسم . ضاع تأجج الشهوة وازدهارها ثم ذوبها . في البداية أوشك أن يطردها لرغبته الهروب من عجزه . لكنه عندما أبطل خروجه اليومي بدأ يألفها . يعتاد ما تبديه من همة ونشاط عالين ، حتى فوجيء بقلق غامض بسبب غيابها ذات ليلة . اعتادها . إنها تقبل عليه كتيار يهدأ حيناً وهدر حيناً آخر ، يتصورها معه منذ ثلاث سنوات ، بروض يتفادى الحيانة ، عذابات الفراق الكاوية ، يرى رحمة في الطريق كأى فتاة ، حاول تذكركم من المرات التقيا صدفة خلال علاقتها ؟ مرة واحدة في الطريق الرئيسي . تهلل حتى أوشك - أن يحتضنها . ضمت شفيتها مخدرة . لوجاءت روض قبل موعدها بثلاث سنوات لما عرفت رحمة نبيل ، لتبدلت المصائر ، أثناء إحدى جولاته توقف أمام المتجر ذاته ، اشترى نفس العطر ، أعطاه لروض ، ارتعشت أطراف شفيتها ، رآها طفلة وأنشى وفرحة ، قالت « ربنا يخليك .. عمري لم يحضر لى أحد أى حاجة » ، تتابعت هداياه ، جلباب ، قصان داخلية ، قبض وبنطلون لصغيرها ، بكت ، يوم أن اشتراها تقول همس مرتعش إنها لا تريد إلا قربه ، يرى صدقها ، يلقي العزاء فى أن ما حل به يعم رجال الزعفرانى ، أحياناً تلتقى نظراتها ، وماذا بعد ؟ ، لا تترك اللحظة تتجمد ، تسارع إلى تقبيله . يستسلم لها على أمل حدوث المعجزة ، لكن عبثاً ، تأمل أن تجد فيه الرجل الوحيد الباقي . لكنه يشك فى وجود مثل هذا الرجل . أين هو؟ أهو متزوج أم أعزب ، أم طفل مازال يرضع ؟ يشك أيضاً فيما نقله الصول سلام . عندما استدعاه مع طاحون ورأس الفجلة أضمر غماً وسخرية ، أمثل هذا الشخص الذى ينسى وجهها رآه منذ ساعة يصبح المنذر الأول . لحظ جدية حديثه ، إيقاع لهجته ، تغير لا تخطؤه عين ، قال لهم إن الشيخ

يود أن يفضى إليهم باسم الشفاعة والكوثر ، إنه يحب الأهالى حبا لو أبداه لفاض وزاحم مياه البحر فى مأوئها ، يحبهم و يشفق عليهم ، حب مادته باقية ، سداه ولحمته انشغاله بشؤونهم قبل مجيئهم إلى الدنيا ، يعلم أن الجميع يخفون كراهية لما حل بهم ، سيحين الوقت الذى يدرك كل منهم جم الفوائد والرجاء الأعظم ، إن حب الشيخ رحب ، واسع ، يتجاوز الإنسان إلى الزهور والحجارة والحيوان والصخر المتوحد عند أطراف الشواطئ . امتداده كتباعد النجوم عن بعضها . وشفافيته كظل ماء البحر ، ما يريده الشيخ أن يفتح كل إنسان بحبه المكنون ، أعمل عاطف فكره فيما نقله الصول ، ترسب معنى غامض فى أعماقه أنه يشهد حدثاً كبيراً سيغير مجرى الزمان ، يقول الشيخ إن عجز الرجال الخطوة الأولى فى طريق محبته . كيف ستظهر بقية الخطوات ؟ فى نهاية حديثه . قال الصول إن ما وصلهم ليس سرا والعالم بدأ يعرف . بدأ يفيق . كلام الشيخ واجد طريقه بين مختلف السحن وفى أعنى بحور الجنسيات ، فى اليوم نفسه أطال عاطف النظر إلى روض ، أطرقت خجلة ، يعيش تورد وجنتها وتكسر النظرات فى حدقتها . تبدو بكرة لم تمس . قال إن الشيخ فعل ما فعل لأنه يحب الأهالى . أوشكت على السخرية . لكن طالما يتعلق الحديث بالشيخ فيجب التزام الحذر . سألت متى سيرفع طلسمه إذن ؟ عبث بزوار جاكتته ، راوده احساس بالأسر . بالسجين ، مط شفتيه ، رفعت عينها ، الله قادر على جعل الفرج قريباً ، بدا رجاؤها حارا ، خجل ، قال إنه سيخرج قليلاً ، لم تبد معارضة خوفاً من اغضابه . أو عدم ثقته فى قدرتها على اقناعه . أثناء عبوره الزعفرانى تذكر سطوراً قرأها يوماً عن عزل مدينة أصيبت بالطاعون فى آسيا . الباعة لا يجيئون . الغرباء انقطعوا إذا ضل إحدهم طريقه ، أوشك على دخوها . يحذره العشرات من أهالى الحى الذين يتجمعون الآن دائماً على مسافة من مدخل الزعفرانى ، فضولهم شره . أم محمد لا تجلس أمام الباب كعادتها ، تغلق باب المندرة عليها . لا تجد من تتألمهم . لم يرها ، يشعر بخجل مصدره روض . لا بد من إضافة شىء إلى شخصه

حتى يروق كرجل في عينيها ، ما هو؟ لحظة مروره أمام المقهى يرى الداطوري جالساً فوق الكرسي ، يعقد يديه أمام بطنه يطرق برأسه ، يلمح حمدى الصحنى ، قرر تجاهله لكنه سمع نداء يقول حمدى إنه سيسعد جداً لو جلس عاطف إليه . يتردد قليلاً ، يقول إنه لو يطيل البقاء .. يجيء الداطوري ، يبتسم بهدوء وعندما يصيح حمدى منادياً محمد العجوز ، يقول هذا لا يصح ، يضحك حمدى ، إنه يعتبر نفسه من أهالى الحى ، يوشك عاطف أن يقول له ، لكنك لست من الزعفرانى ، يقول حمدى إنه منذ اللقاء الأول وهو مشدود إليه . وهو انطباع ليس من السهل أن يحدثه إنسان فى آخر ، سيتكلم بصراحة ، لقد شعر بعداء عاطف له ، طلب أن يسمح له بنداؤه « عاطف » كما رجاه أن يناديه حمدى ، لكن يشعر أن هذا الوجه الجامد يخفى روحاً بالغة الرقة ، يبتسم عاطف . يومئ شاكراً ، يعلو صوت حمدى ، انه يقصد ما يقول فعلاً ، يود التحدث إلى عاطف كانسان ، ما يحدث فى الزعفرانى تناقلته وكالات الأنباء ، لكن الرقابة تمنع الحديث لاعتبارات عليا ، يهتم عاطف ، هل عرف الموضوع ، أين ، فى الخارج ، لكنه لا يريد للحدث أن يتصل . يسأل حمدى ، هل يسكن عاطف الزعفرانى منذ فترة ؟ ، يضييق عاطف عينيه ، منذ خمس سنوات ، يمسك حمدى يد عاطف اليسرى ثم اليمنى ، « أنت أعزب ؟ » يقول حمدى ، إنه أعزب أيضاً لكن بفارق بسيط ، لقد مارس الزواج أربعة شهور فقط . لأول مرة يبدو عاطف مهتماً . هل جمع حمدى عنه معلومات ؟ لكن لا يوجد فى الحارة من يعرف أى تفاصيل عن علاقته برحمة . فيما بعد لم يدر متى بدأ يشعر بالاقتراب من حمدى ؟ هل سيعاود سيرته ؟ يتحمس للناس منذ اللقاء الأول ، تنقضى أعوام وهو أسير الانطباع الأول ، يتغاضى عن كل ما يتناقض معه . يتجاهل الأخطاء . يعامل فيما وأوصافاً داخله هو . حتى تقع المصائب فتجىء الكوارث . يلوم نفسه دائماً على نسيانه أقوالاً بسيطة سمعها بداية حياته ثم نسيها . لم يدرس قصة قابيل وهابيل ؟ ألم يوقن باستحالة انفتاح إنسان على آخر إلا بعد أن لدغته الأفعى . ادرك أن الآدمى حصن مغلق : مهما بلغت

الحبة وجسد الوهم ضخامة فى القلوب . تبقى دائماً أبواب سحرية مغلقة لا يدرى أحد ما تخفيه . تذكر قصة من ألف ليلة وليلة . يصل البطل إلى قصر فاخر به كل أنواع النعيم يحوى سبعة أبواب . يقول صاحبه للبطل . افتح ما شاء لك من أبواب واستمتع بكل ما تجده لكن احذر الباب السابع ، دائماً يوجد باب سابع فى كل علاقة ، عندما يفتح يذوب النعيم كله . عاطف أثر الا يدخل القصر ذاته حتى لا يغالب ضعفه أمام الباب السابع . ما يشده إلى روض أن العلاقة بينها مهما تمت سيظل لكل منهما عالمه . جلوسه إلى حمدى مرات لن يزيل ما أحاط نفسه به . القدرة على البوح أمر لا يقدر عليه من أصيب بجراح نافذة . صحيح البدن يجرى ، يعوم ، يغطس ، أما العليل فمن أين له هذه المقدرة ؟ إذن ليطمئن ، ستظل الحواجز مقامة ، روض الآن فى البيت . قبل نزوله قالت « ربما تمت الليلة عندك » تذكر حلم المراهقة البعيد ، أن يقضى الليل بجوار امرأة يناها وقتاً شاء ، تفاجئه فكرة مزعجة . ربما تعرف رحمة ما جرى له . تظهر سخرية ، تتبادل عنه حديثاً موجعاً مع نبيل ، يتمنيان له شفاء عاجلاً ، تبعد عنه تماماً كأمرأة حمدى ، لكن الخبر معروف فى الصحف الأجنبية ، كيف يواجه رحمة لو التقى بها بعد لحظات . منذ هذه الليلة الربيعية ، الابريلية لم يرها . ربما تغيرت ملامحها . بعد هذه الليلة اليتيمة ، استمر فترة مقتنعا أنها لو التقيا صدفة سيزول الحلم البغيض ، تبتسم تنتفض لحظاتها الحلوة ، يدب النماء ، ينفرد الخصب ، لم يدر إلا فيما بعد أن ضوء حجبها الذى رآه من الشارع وقتئذ أضاءها حقائبها ، ساعدها على ترتيب ملبسها التى لمسها وشم رائحتها مرارا ، الفستان الأصفر المنقوش بورود حمراء . الفستان الأخضر الذى تتناثر فوقه أوراق نبات صفراء ، طاقم السهرة الأسود ، جوارب النايلون القميص الداخلى المائل إلى اخضرار المحفوف الطرف بالدانتيل . كل هذا أعد لرجل آخر وجه الضربة فأصاب مقتلاً ، افسحت ثغرة وقوضت بناء ، لو قابلته رحمة فجأة ، إذا لمحت هيئته غريبة عنها ستنسى عجز الحارة ، والطمس ، ستبتسم ، تحاول التفتيش عن تأثير اللقاء المفاجيء . تحلق



سحابيات ندم فى سماء روحها . تتفحصه ، تلاحظ أنعدام مرجه . توارى عينيه كأنها تراجعنا إلى الوراء قليلا . تسأله عما به فيقول إنه مشغول بأمر هامة ، يضيق وقته للغاية لهذا لن يستطيع البقاء معها . تنظر إلى قيصره . إلى جيوبه الأمامية التى تبرز منها أوراق ملونة ، وبطاقات ، تتوقف عند الحزام الجلدى العريض المحيط بخصره ، تشهق فرعة إذ تلاحظ الجراب الجلدى البنى المتدلى من الحزام «عاطف .. ما هذا؟» لن يقول لها إنها غداره حديثة جدا ، محشوة بالرصاص ، اثنتى عشرة طلقة يمكنه إطلاقها بضغطة من الزناد ، ما يخيفها منظره الذى تضى عليه الغدارة رهبة وغموضا ، تدليها من الحزام الجلدى أبرز رشاقة جسمه . لا يعلق كثيرا على دهشتها وتساؤلاتها . ربما ناقشت الأمر مع نبيل . يدب الذعر إليه . ربما يطلق عليه عاطف الرصاصات . عاطف يمشى متمهلا ، يلتقى بحمدى الصحفى . يجيب على أسئلته بخصوص الغدارة . يحدثه عن ندرتها ، وقدرتها ، ودقتها ، مهارته فى التسديد . يثير دعر الداطورى الذى يوجه بصوت عال أن يدسها فى جرابها الجلدى ، ترهبه الحارة . فى البيت ترمقه روض باعجاب يفوق أعجابها الأول ، إنه يتوقف الآن أمام فترينة متجر سلاح وادوات صيد . بنادق ضخمة بفوهتين . حراب ، أحذية غطس ، نظارات الرؤية تحت الماء احزمة مليئة بالخرطيش ، طيور مخنطة ، فى الخلفية صورة ملونة لرجل أجنبى يصوب مسدسا فى إتجاه شىء فوق جبال مكسوة بالجليد ، إن عاطف يمر بعينه متمهلا على صف طويل من الغدارات . أحجام متنوعة وأشكال مختلفة . الخشب البنى ، الفوهات السوداء . لبعض الغدارات ملامح أنثوية . يشمئز ، يتناقض مظهرها مع جوفها المهلك ، المسدس لفظ مذكر حتى لو أطلق عليه غدارة ، تتسمر عيناه إلى غدارة محددة الملامح . صريحة الفوهة . مستطيلة المقبض . ترقد فى صندوق خشبى مبطن بقطيفة حمراء ، يطيل التأمل ، يرفع رأسه ليقرأ اسم المتجر ، ينظر فى الساعة ، الساعة ، الساعة ، أمامه نصف ساعة يكفى للعودة . ونصف آخر يتأهب خلاله

للنوم ، غدا يعود ليرقب الجسم المعدنى المحدد ، الراقد كلغم يراه المارة فى اليوم الواحد عشرات المرات ، لكنهم لا يعون ..

• • •

## من تقرير سريع لرئيس هيئة الأعلام عن تطور الأحوال الزعفرانية عالميا :

تفيد تقارير المحققين الاعلاميين فى سفارات البلاد وتقارير وكالات الأنباء ان الأحوال الزعفرانية بدأت تحتل موقعا كبيرا من اهتمامات الرأى العام العالمى ، وما يلفت النظر ان تتحدث صحيفة صغيرة تصدر بالفرنسية فى «لاباز» عاصمة كولومبيا عن الشيخ عطية ، تصفه بقديس العصر الذى سيغير العالم وفقا لأسلوب جديد ، مثل هذا النشر يعنى ذبوع أمره الى بلاد بعيدة ، أما كبرى الصحف الأوربية فلا تخلو من نشرة أخبار يومية مفصلة عن الشيخ فى صفحاتها الأولى ، حتى خصصت «اللوموند» عموداً صغيراً ثابتاً فى الزاوية اليمنى لصفحتها الأولى ، يتكون من خمسة وعشرين سطرا تطبع بحروف بارزة ، وفى عددها الأسبوعى الأخير نشر مقال بقلم البروفيسور كورتو المتخصص فى الفلسفة الاجتماعية تحدث فيه عما أسماه فكر الشيخ عطية . وموقعه بالنسبة للمفكرين العالميين الذين أحدثوا ثورات ضخمة فى تاريخ الإنسانية . وفضل عليهم الشيخ عطية لامتلاكه الوسيلة العملية التى تمكنه من تحقيق أفكاره . ورد على بعض العلماء الذين تشككوا فى قدرة الشيخ على إحصاء الرجال ، تحدث عن إمكانية تأثير الوهم فى حالة وجود شخصية قوية تعمل فى ظروف معينة . وقال إن الخوف والاحترام لدى الجماهير تجاه زعمائهم إنما يدخل فى تركيبه الوهم بدرجة عظمى . كما نشرت الصحف اليونانية ، والإيطالية والأسبانية والكندية ما زعموا أنه فكر الشيخ ، وسمى كل جزء بالمنظور ، وبلغ عدد المناظير

المنشورة حتى الآن أربعة، يتناول الأول القدرة على الحب الشامل، والثاني حول الحروب والأوبئة والمجاعات واستمرارها منذ بداية خلق العالم وعدم جدوى كل الجهود التي بذلت لانهاؤها. وضعف الذاكرة الإنسانية الجماعية. والمنظور الثالث يتحدث عن الحقيقة المخفاة، ويتناول بعض الحقائق الواضحة. الساطعة كالشمس، والتي يمكن للأنظمة السياسية تحويرها واقتناع الناس بعدم جدوى ما هو في مصلحتهم. وضرب أمثلة بالغنى والفقر، وكيف يتقبل ملايين الخلق حكم أقلية من الناس، أو الخضوع لحاكم مضلل سنوات عديدة تأكل أعمار كاملة، والرابع بعنوان «الوهم الجميل» ويدور حول الأوهام التي تقعد الخلق عن رؤية الحقيقة أو المطالبة بحقوقهم. ترجمت هذه المناظير الى لغات عديدة، طبعت في طبعات مختلفة، خاصة في الهند وأفغانستان، حيث ظهرت جماعات تعلن ولاءها للشيخ، وخلال الأسبوع الأخير تقدم السفير الدائم لدولة «مالانديا» باحتجاج يتضمن استنكار حكومته لما سماه بتدخل أجنبي في شئون شعبه الداخلية، أشار إلى وجود تجمع ضخم ظهر إلى الوجود فجأة يتلقى تعليماته من الشيخ عطية، عقد هذا التجمع عدة اجتماعات موسعة خطب فيها عدد من زعمائهم ومعظمهم كبار السن. أعلنوا ميلاد قوة لا تقهر سوف تحسم كافة أشكال الصراع والحروب بين الإنسان والإنسان، بين الإنسان وذاته. من ناحية أخرى وقعت اضطرابات واسعة بين البوليس والمتظاهرين في مدن الهند الرئيسية، ودولة مالاياشيا، عندما تجمع الآلاف في الميادين الرئيسية وهتفوا داعين الشيخ عطية مد نفوذه إلى كافة أرجاء الدنيا. وأن يغير ويدل فقد طال إنتظار البشرية. واكب هذه الدعوات أعمال عنف شرسة هوجمت خلالها مؤسسات ومراكز أعمال، وقام بعض البحارة في المحيط الهندي بالاستيلاء على ناقلة البترول «أوانشا» التابعة لاحدى الشركات الهولندية، أعلنوا انتهاء الوهم الطويل وأنهم لن يسمحوا بمص دمائهم. أبرزت وكالات الأنباء الأجنبية هذه الأنباء، كما بدأت الإذاعات العالمية تتعرض للشيخ عطية، وأول إذاعة تحدثت

عنه فى برنامج أخبارى «مونت كافرى» وأول إذاعة أعدت عنه برنامجاً خاصاً «أنقرة»، كما تولت محطة «روكسانا» الموجهة إلى البلاد العربية، وإذاعة «رسانيا» الموجهة بالعربية إلى المشرق ترديد أخبار عنه، وتشير تقارير الآراء العامة المرفوعة فى المدة من ٦-٧ إلى ١٢-٧ من قبل «جماعات الأمن الملتزم» و«هيئات الاتحاد الأمنى» و«مكاتب مكافحة السخرية والنكت» إلى اهتمام الرأى العام بالشيخ، ولهذا نقترح، أولاً، أن تنشر صحفنا أخباراً عن ظهور رجل يدعى أمورا معينة، وستقوم أجهزة اعلامنا بتدبير حملة قوية، الغرض منها إظهار الشيخ على هيئة مشعوذ مجنون، فى نفس الوقت توازها حملة أخرى عن حدث عارض، محلى، تسلط عليه الضوء بشدة، كحالة قتل معينة، أو مجنون هارب فى المدينة يهدد الأبرياء بالخنق والذبح، وسيتولى كتابنا وصحفيونا السخرية من الصحف الأجنبية والتنظيمات الموالية للشيخ ودور النشر التى تطبع أعماله. إن إذاعة أخباره ونشرها ستؤدى إلى امتصاص قدر كبير من اللغظ الدائر».

نص تأشيرة على ملخص لتقارير عدة عن الأحوال الزعفرانية:

تشكل لجنة عليا تختص بالأحوال الزعفرانية، وتضم كلا من:

- المسئول الأعلى عن المواطنين.
- رئيس هيئة الفكر العليا.
- رئيس هيئة الصحة العليا.
- منسق الشؤون الامنية.

• • •

علا صوت التكرلى بعد انقطاع . أثناء وقوف الأهالي لتسلم وجبة إفطارهم بدأ زعيقة عندما رأهم يلتفون إليه . ورأى نبيلة تخرج من الشرفة ، خديجة الصعيديّة تطل من نافذتها حتى أم محمد حجبت الضوء عن عينيها ، تطلعت إليه . صاح واصفاً الأهالي كلهم بالجبن ، طالما قبلوا السكون فسوف يحل بهم ما هو أظفح ، يسارع طاحون بمقاطعته قبل أي أحد حتى يسجل سبق الدفاع عن الشيخ ، يطلب صمت التكرلى ، يجب ألا ينسى أنه من الزعفراني ، بأعلى صوت يقول التكرلى إنه سيعزل في نفس اليوم . تأخر على أول اشتراك بعض الرجال معه ومقاومة فساد الشيخ ، لكنه لم يجد رجالاً لماذا ؟ لخلو الزعفراني من الذكور حتى قبل الطلسمة ، من الطابور يعلو صوت رأس الفجلة ذو الخنفة البسيطة . يقول إن الحارة تعرف حقيقة التكرلى بفضل الشيخ ، لو صح خلو الحارة من الرجال فلأنهم سمحوا له بالإقامة بينهم حتى اللحظة ، يصبح التكرلى هازناً ، لم يبق إلا رأس الفجلة « أبو ريانة » ليرد عليه ، يعرف أمورا عن امرأته لو حكها لشل مكانه ، يزق رأس الفجلة « اسكت يا قواد » بتردد صوت نسائي « عقي لنا » ، يتعرف طاحون إلى صوت امرأته . يخرج من الطابور ، يلتفت إلى نافذة بيته حيث تطل امرأته في قبض نوم أحمرا ، « ادخلي .. ادخلي » ، تلوح بيدها كأنها تقول « اسكت يا أخي بلاهم » ، يتزايد إنزعاج طاحون الصامت . لا تفوت فرصة إلا وتقوم امرأته بزيارة الجيران أو الحديث إلي الرجال من النافذة ، لا تعباً به ، نظراتها تعيره بما جرى له ، عندما حدثها عن مشروعه الخاص بتحقيق العدالة عن طريق الانفاق أملا منه كسب احترامها لتفكيره في أمور جلييلة ، سخرت منه وقالت إن من يكشف دماغه سيجد شبكة مجارى ، إن التكرلى يختم صياحه بصفقة قوية فوق الحارة كلها ، أثار خبر عزاله مناقشات تنوعت واختلفت . بعد تناول الإفطار تساءل كل رجل وامرأة تقرّباً ، هل

سيتمعرض عويس للتكرلى في نداءاته ؟ ، ترقبوه لكنه لم يلمح بأى إشارة إلى التكرلى . وتضمن النداء رداً قصيراً عن بعض الاستفسارات الموجهة إلى الشيخ والتي تتضمن حيرة الأهالي حول شعائر دينهم ، هل يصومون رمضان خاصة أنه على الأبواب ؟ رد الشيخ بأن ما سيجره من تعديلات على الإنسان والعالم لن يمس جوهر الأديان والعقائد والمثل . تعاليمه تمس أموراً جوهرية غير متعارضة مع الحقائق العلوية ، وعندما يتفهم العالم ما جاء ويستجيب سيتكشف الخفى ويظهر كل أمر واضح حلي ، حوالى التاسعة تساءلت أم سهير في حديثها إلى أم نبيلة عن الكيفية التي سينقل بها التكرلى أثاث بيته ، من سيجازف برجولته ويدخل الحارة لنقل العفش ؟ والحقيقة أن هذه المشكلة تجسدت وعرة فظيعة أمام التكرلى .

أثناء تناول الزعفراني إفطارها خرج ، اتجه إلى شارع البيدق حيث تكثرت شركات النقل ، فوجيء يرفض قاطع ، واستفسارات موجهة إليه ، ونظرات سخريّة ، طلسمت الحارة معروفة لدى كل أصحاب العربات ، اضطر إلى الانصراف بسرعة خاصة بعد تجمع عدد كبير من السائقين والحمالين والمارة حوله وتفحصهم الوقح له وتردد صيحات عديدة « الحقوا .. هنا زعفراني .. » ، ذهب إلى ميدان السيدة زينب محاولاً استئجار عربة كارو . لكنه لم ينجح أيضاً ، مضى إلى الدراسة ، إلى العباسية ، كوبرى القبة ، حوصر في كل مكان يرفض وتطلع شره ، قال أحد العرجية إنه ليس مستعداً أن يصبح مثله ، أخيراً نجح في اقتياد صاحب عربة كارو ، عجوز ، أصم ، يقف بميدان المطرية ، لم يناقشه في السعر الذى عرضه عليه . سلك به طريقاً طويلاً خلفياً حتى لا يراه أحد أهالي الحارة مصادفة فيفسد كلى شيء ، استغرق بحثه المضى سبع ساعات بحيث لم يقترب من الحارة إلا حوالى الرابعة . في هذا الوقت الذى يشحب فيه الضوء سمعت امرأته قرقعة عجلات فوق بلاط الحارة ، عندما أطلت رأت الأهالي كلهم



ينظرون من النوافذ والشرفات . يشير التكرلى إلى أعلى ، العرجى يهز رأسه ، صاح بعض الاهالى لكن العرجى لم يلتفت حوله ، التكرلى يدفعه إلى أعلى بينما يستدير إلى الورااء ملوحاً بقبضته مهدداً . اكرام امرأته تتألم الآن . انتقالها بسبب لها ضيقاً . فترة طويلة أقامتها هنا . صحيح أنها لا تعترض على كل ما يقوم به . حتى لو غادرها أياما بدون طعام فلن تعاقبه إنما ستنتظر إليه بنفس الخجل ، عادة لا يبقى معها نقوداً . كل ما تحتاجه يحضره هو . لا تطلب منه الخروج . أو الذهاب إلى السينما إلا إذا دعاها هو . لكنه عندما أخبرها بنيته في مغادرة الزعفرانى سألته عن السبب ؟ أبدى إنزعاجاً شديداً لأنه نادرا ما يسمعا تعترض عليه ، ولأنها تجهل ما حولها ، أما تساؤها فيتضمن إهانة له قالت أيضا إن تحذير الشيخ ينص على سر يان الطلم داخل الحارة أو خارجها ، أبدى غضبا . هل ستصدق هى أيضا هذا الشيخ المجنون ؟ اقترب منها . أحاطها بذراعيه ، قال هامسا إنه يتوق إلى استئناف سهره معها وحكاياته لها ، عضت شفتها . تخشى أن تكشف تعابير وجهها عما تبطنه ؟ إذ حدث منذ أيام أن خرجت معرضة نفسها لانظار الزعفرانى ، لاحتمال لقائها المفاجيء بزوجها . ان ذهابها إلى نبيل فى أقصى المدينة من أشد المغامرات التى خاضتها خطورة ، التقت به ، احتضنته ، قبلته . نظفت الحجرة . رتبت الكتب . أصرت على قيامها بغسل ثيابه ولكنه رجاها أن تجلس إليه ، أستدارت إليه بوجه يحتقن رغبة ، ناغته . لكن عبثا . ابتعدت عنه ، بكت ، لم يتكلم نبيل لكنه قال عند انصرافها ، يجب احترام ما يقوله الشيخ . قالت إنها خافت عليه لكنها لم تستطع بعدا عنه . تمنى لو كتب إليها خطابا وردت عليه ، يتجمع لديها مجموعة من خطابات الغرام . تقرأها كل يوم بعد خروج التكرلى . لم يلفظ نبيل الكلمات التى ترغب سماعها . التى لم تصغ إلى مثلها من التكرلى أو الرجال الذين احتووها . فى البداية ترى فنتهم وخورهم . لحظة إفراغهم لشهوتهم يرغب كل منهم فى الفرار . بعضهم لا يتبادل معها كلمة . أما نبيل فبدا متمهلا برغم صغرسنه . آخر ما يرغب فيه جسدها .

عندما علا صوت التكرلى يتعجله قبل يدها . لأول مرة رجل يقبل أناملها . ثم انصرف . طلبت منه أن يأتى نهارا ليقتضيا أطول وقت ممكن بمفردهما . ما أروعها اثناء زيارتها الأخيرة له شعورها بنفوره منها . ربما يرى فيها تهديدا لرجولته ، لهذا رجته بحرارة أن يكتب إليها . لكن لم يصلها بر يد . تعزى نفسها بامتناع سعاة البريد عن الدخول إلى الحارة بعد إصابة أحدهم بالطلسم فى الأيام الأولى ، تماما كمحصى الكهرباء . والباعة الجائلين ، وممرضات الصحة اللواتى يجئن لرش البودرة المهلكة للحشرات ، و يعن خلسة كميات منها للراغبات ، قررت القيام بزيارة أخرى خفية إلى نبيل بعد انتقالها إلى مسكنها الجديد . لو علم التكرلى ربما قتلها . إنها تودع الآن جزء من عمرها . فى حجرة النوم الداخلية المطلية بالزيت ابتسم أمامها لأول مرة . همس بخلو الكلام فى أذنيها ، فكرت فى طفولتها كثيرا ، قلبت سنين عمرها فى الصلاة أثناء غياب التكرلى . إن خوفا يعزوها على مهل . ماذا ينتظرها فى المسكن الجديد ؟ الجيران ، الرجال الجدد ، فشلهم . حيرتهم . سخطهم . ربما يفقد الأمل منها فيسعى للاقتران بأخرى ويلفظها هى . أمنية خفية ستفارقها تودلو ذهبت إلى الشيخ . تقص عليه هموما غامضة . لا تزال تذكر إشارته اليها على لسان عويس . انها سيدة طيبة ولن يحكى ما يسىء إليها . برغم كل ما جرى فإنها تفارق مكاناً عزيزاً . كل قطعة أثاث تفك وينقلها العرجى الاصم كأنها تنتزع من لحمها . تنظر بأسى الى زوجها . يتحرك بنشاط ، يحمل حقائب الثياب ، وأطباق الصينى ، والاوانى الزجاجية . يتعجل الرحيل . انها تودع الامن والاستقرار وعودة التكرلى اليومية إما بمفرده أو مصطحبا أحد الرجال . كل مقعد ينقل يبدو مكانه فارغا ، يصبح البلاط أكثر رطوبة ، والبيت كالقزم الحرب الذى خلعت أسنانه . الأهالى يرقبون رص المتاع فوق العربة كعادتهم كلما رحل جار أو جاء ساكن جديد . يحاولون التعرف الى مستواه الاجتماعى من قيمة الأثاث وما يضمه . الآن يتخيل بعضهم ما جرى فوق السرير الذى يرقد مفككا فوق العربة . بينما يرقب آخرون

العربجي الأصم . يتخيلون ما سيجرى له الليلة لو اقترب من امرأة تنتظره في مكان ما . ان رأس الفجلة يروح ويجيء الى الشرفة قلقلًا ، فريدة خرجت منذ ساعة مبكرة مع ابنتها نشوة منذ الصباح ، لم ترجعا ومنذ ساعة جاءته أمه التي لا تنزل من فوق السطح كثيرا .. قالت بصوتها المرتجف « خذ بالك من بيتك » . عادت تصعد السلم مرتعشة الخطى ، مهية كالنذير . قرر أن يخوض الليلة معركة معها ، سيمنع دروس الإنجليزية التي تجعلها يذهبان إلى بيت رجل غريب . إنه قلق أيضاً لرغبته في التحدث خلصة إلى التكرلى . يرحوه بجملة الاتصال به لو رفع عنه أثر الطلسم بعد فراق الزعفرانى . عندئذ يبذل المستحيل للانتقال إلى مسكن آخر مهما ارتفع المبلغ الذى سيدفعه كخلو أو مقدم لن يبالى بالإيجار الشهري ، المهم إنقاذ نفسه وبيته من الزعفرانى وطلاسمها حتى لو أنفق مبلغاً يوجعه . إنه لا يفارق الشرفة . عندما قاربت العربة على الامتلاء بدأ يستعد للنزول حتى يتحدث إلى التكرلى . الست بثينة أيضاً ترقب الجيران الذين يتأهبون للانتقال . ازدادت نحولاً . الطعام لا يقرب معدتها إلا على فترات متباعدة ، تظلل عينها ، تضيقها . لا تنام إلا وقتاً محدوداً خاطفاً ، تخاف الموت إذ يغلبها التعب ، طول اليقظة ، يتردد في أذنيها وقع خطى غامضة ، أنفاس تلمس جلدتها . تبدأ في السقوط عبر منحدر حلزوني لا نهائى . توثقها قيود غير مرئية . تستيقظ لاهثة ، هجرت شقتها ، تخشى موتها وحيدة ، تجلس في الحارة تقاوم النوم ، يضطرب ذهنها بصور عديدة ، ترى البيوت بعينى ما بعد الموت ، سيبقى كل شيء ، وستسمع آلاف النساء بلحظات المتعة بعد أن تمضى هي لن تدع للموت فرصة الانفراد بها أبداً في الشقة . ماذا يعنى عزال التكرلى ؟ لا بد أنه السليم العافى الذى لم يلحقه الطلسم ، يريد النجاة بنفسه ، تتعلق بأوهى الخيوط . يرى الأهالى فى هذه اللحظات . الست بثينة منفوشة الشعر ، تتجه حافية القدمين إلى بيت التكرلى ، تلتقى به فوق السلم ، بابتسامة طرية تتناقض مع ملامحها الحادة واضطراب عينها ، تتوجه إليه بالحديث « تسمح كلمة » ينظر

إليها بدهشة . حذر يوشك أن يبلغ الخوف يبدو فى عينيه . يقفز السلم مبتعداً . « نعم ياست انت » ، تقترب منه متمهلة « لو سمحت عندى خمس دقائق » ، يعلو صوت التكرلى . تقول خديجة الصعيدية إن بثينة ربما أقرضت التكرلى نقوداً وتسعى لاستردادها ، أم سهير تؤكد وجود أمر غامض ، تقول زنوبة أنها تسمع صراخ بثينة ليلاً لكن أم يوسف اقتربت من الحقيقة عندما قالت إنها تريد جس أحوال التكرلى قبل إفلاته من الحارة . يراها الأهالى الآن تخرج مندفعة فى أثر العربجي الذى يحمل فوق كتفه حشايا ، تتوسط الحارة ، تدفع أشخاصاً مجهولين عنها ، تشب فوق قدم أثر أخرى كأنها ترقص رقصة غامضة غريبة ، تبرق عينها ، تجز على شفتها بأسنانها . يزعم التكرلى « حارة مجانين .. » عندما ربط العربجي البغل إلى العربة وبدأت فى التحرك أسرع بثينة ، تعلقت بها كما يفعل الأطفال ، التفت العربجي خلفه ، رفع عصاه ، مال جسمه ، هوى بها فوق رأسها ثم يديها ، سقطت . صاح بعض الأطفال مستهزئين . لكن الأمهات نهرنهم ، إن تمزق ثياب بثينة وجربها وانتفاخ وجهها أحدث رعباً خفياً ، حزنًا فى الزعفرانى ، أم سهير لم تستطع منع دموع ذرفتها على أحسن الستات . التي لم ترتد إلا أفخر أنواع الشياب ، لطالما أغرق عطرها الزعفرانى كلها أثناء خروجها ، حتى أم يوسف راحت ترقبها بهدوء وخوف . لا يذكر أحد من قال إن ما جرى لها تستحقه تماماً لأنها بدأت بإثارة الشغب فى الحارة . لأنها سبت الشيخ علناً أكثر من مرة عند خروجها لتشتري الخضار أو السمك من السوق القريب فى بداية الطلسمه ظننت أن ما تقوله لن يبلغه ، لكنه يرى كل شيء من مكانه ، يسمع همسة ، يعرف حقيقة الآهه ونوعيتها ، إخفاء الفكرة عنه عبث ، يدرك كل شيء ، يفهم اللغات واللهجات ، يعرف القلم الغريب ، يمكنه إقامة الجسور والصلوات مع سائر أنواع الجماد والحيوانات ، هذا ما تناقله الأهالى فى الليلة نفسها ، تنبأوا للتكرلى بالمصير الأسود ، ظلت بثينة ملقاة حتى ميعاد النوم الإجبارى ، همدت فوق أرض الحارة ، لكنها فى الحقيقة لم تم الليل فى الزعفرانى ، لا أحد يحمياها من

الموت ستهيم في الطرقات والميادين ، تهرب منه ، من مدينة إلى مدينة ومن بلد إلى آخر .

بعد تحريك العربية الكارو . ظهر التكرلى متأبطاً ذراع امرائه . يمشى متمهلاً ، يحمل حقيبة صغيرة . يرتفع رأسه في تحد واضح ، لم يجي أحداً ولم يلق السلام ، تطرق امرأته إلى الأرض بخجل ، تجنبا بثينة الممددة ، في هذه اللحظات بدأ رحيل النهار واضحاً ، النساء ينسجن إلى داخل بيوتهن . يغسلن ما تبقى من أوعية . يتأهبن لاستلام وجبة العشاء . تردد لفترة قصيرة صوت بسيوني الهجرسي يزعم لامرأة ابنه لولى . « ابتعدى عنى .. ابتعدى عنى يا فاجرة أنا فى مقام والدك » ، تبع ذلك خروجها باكية وجلوسها قليلاً أمام البيت ، دخلت من جديد ، حسن أنور لم يفارق الشرفة ، يستمر فى ضرب المنضدة الصغيرة التى يضع فوقها خرائطه بقبضة يده ، لقد خسر جزءاً هاماً من قواته . انهارت جهة من أخطر جبهاته . ان الخراب يحتاج المناطق التى أحلتها قواته منذ قليل . استدعى روميل وعنفه ، يقدم القائد الألمانى الكبير حججاً تبدو مقنعة ، نقص الإمدادات والوقود ، لكن متى خففت الأدلة والبراهين مرارة الهزيمة ؟ ، استدعى ابنه رئيس الأركان العامة . جمع قادة الجيوش الميدانية ، هملمدير المحابرات ، جورنج قائد الطيران ، جو كوف قائد الفيلق الأوسط . دوق ولنجتون ، نابليون ، فون مولتكه مستشار الجبهة الوسطى ، اللورد البننى ، مونتوجرى ، إيزنهاور ، روكوفسكى ، دونيتز ، زعم فى وجوههم ملوحاً بعصاه ، لايد أن يعرف سبب الهزيمة ، كيف عرف لفظ الهزيمة طريقه إلى مصطلحاته ولغته ؟ .

### تطورات .

بعد تشكيل اللجنة العليا للأحوال الزعفرانية طرح الموضوع على أكثر من جهة . ناقشة أكثر من مسئول مع رؤسبه . أبدت الأجهزة المختلفة اهتماماً كبيراً بهذا الأمر البالغ الأهمية .

بالنسبة لجهات الأمن العليا فقد انشغلت بعدة أمور هامة . منها تدبير وسيلة لمراقبة تصرفات الأسطى رمانه الهجرسى ، أصر قسم مكافحة الأفكار الهدامة على مسؤولية الأول ، وقدم قسم مكافحة التعصب العديد من الخطابات التى جاءت تصف نشاط المدعولولى . على أعلى المستويات تقرر رصد تحركات الإثنيين . فى البداية شكلت لجنة عليا من المختصين بهيئة الأمن الأعلى . مثل فيها عن كل قسم ضابط برتبة العميد ، نشأ نزاع بين قسم مكافحة الأفكار الهدامة وقسم مكافحة التعصب عندما تقرر الاستعانة بالخير الوحيد فى البلاد الحاصل على دكتوراه علمية فى طرق اكتشاف الآثار المنسية ، أصر كل قسم على الاستعانة به ، قدم كل منها حججاً قوية ، أوشك الأمر أن يصل إلى نزاع لا تحمد عقباه ، لكن رئيس الأمن الأعلى حسم الموضوع عندما قرر عمل الخير بشكل أساسى تبعاً لقسم مكافحة الأفكار الهدامة نظراً لخطورة رمانه ، وإمكانية اتصالة بجهات أجنبية ، مع انتدابه الخير يومياً لمدة ساعة يقدم خلالها النصح والمشورة إلى مكافحي التعصب . اقترحت اللجنة بعد اجتماع دام ست ساعات كاملة تشكيل لجنة فرعية لبحث ما يمكن للأسطى رمانه القيام به فى الزعفرانى . ثم تلا ذلك سلسلة اجتماعات ، ورجوع إلى الملفات وتقارير مأمورى السجون المعتقلات التى ضمته مددا مختلفة . وملاحظات الحراس ، والجواسيس من السجناء ، والاستعانة بمراجع علمية متخصصة ، تم شراء مرجع من إيطاليا خصيصاً بالطائرة . أمكن الوصول إلى تصور لما يمكن أن يقوم به من أعمال هدامة ، تتلخص فى محاولته نشر معتقداته على الحارة ، وأكدت اللجنة هذا الافتراض بما ورد فى التقرير السرى المرفوع إلى المشرف على الأمن المستتب ، واستند إلى مصادر أمكن تجنيدها من الزعفرانيين ، و يفيد التقرير أن أحد سكان الحارة ، وهو طالب يتردد بانتظام على الأسطى رمانه ، وان خلواتها تتزايد ، ويدل هذا على نية رمانه العمل فى الأوساط الطلابية ، أما الأمر الثانى الذى استخلصته اللجنة فهو توافر الامكانيات لايواء مطبعة سرية ، أما الافتراض



الثالث فهو تجميع أسلحة تمكنه من تنفيذ أعمال تخريبية في حالة انتقاله إلى مرحلة الكفاح المسلح . رأت اللجنة الفرعية ضرورة بذل الجهود عليه عند خروجه من الحارة وعزله في معتقل بعيد . في نفس الوقت بحثت اللجنة موقف لولي الحجرسى . وتم تجميع معلومات كافية عن نشاطه . وحياته ، كما أمكن مراقبته بانتظام بسبب ذهابه اليومي إلى المصنع ، ورصدت التقارير ظاهرة محيرة ، هي عدم أدائه فرائض الصلاة ، مما دعا رئيس اللجنة إلى الشك في الخطابات المرسله ، لكن مسئول القسم أكد أن والد المدعو أحد كتبة هذه الخطابات . وبالتأكيد دفعه إخلاصه إلى وطنه وإلى مهنته القديمة كمخبر للتغلب على عواطف الأبوة . وبناء عليه تقرر استمرار مراقبته .

هذا ما تم في دوائر الأمن . في نفس الوقت صدرت توجيهات عليا بضم ممثلين عن كافة المصالح الحكومية والهيئات والمؤسسات إلى اللجان الفرعية المنبثقة عن اللجنة العليا لمتابعة الأحوال الزعفرانية ، قدم اقتراح من أحد أعضاء المجلس المنتخب باعلان حقيقة ما يجري في حارة الزعفرانى واعتبر هذا مانعا للمضاعفات وللهمسات التى تتحول إلى صرخات غير معترف بها . لكن المندوب الاعلامى رفض هذا ، سيعد نشر ما يجرى اعترفا رسميا بما سبق تكذيبه . لقد نشر الأمر فى أكثر من صحيفة عالمية قبل أن تعلم به الجهات المسؤولة فى البلاد ، ولا يدري أحد كيف تسرب الخبر ، لكن عالم اليوم لا يخفى فيه أمر وأيضاً تختفى فيه كل الأشياء . أبدى أعضاء اللجنة تعجبهم وطالبوا بايضاح هذه النقطة الأخيرة . قال المندوب الاعلامى إن ما جرى فى الزعفرانى تلقفته الجهات الأجنبية . واستغلته الجهات العادية لتشويه سمعة البلاد . وضرب حركة السياحة ، هكذا قفز اسم هذه الحارة الصغيرة إلى صدر الصفحات العالميه ، تضمنته العناوين المثيرة ، لكن يمكن رفض هذا كله . ثم قدم اقتراحا بإصدار اعلان رسمى يوزع على سفاراتنا بالخارج يتضمن نفيًا لوجود حارة الزعفرانى

بالبلاد ، يوازى هذا تنفيذ خطة سرية ترصد لها اعتمادات فورية بمقتضاها يتم انذار جميع أهالى الحارة لاخلء منازلهم ثم يتم نقلهم إلى مساكن الدولة فى جهات متباعدة بحيث لا تسكن عائلتان على مقربة من بعضهما . ويعاد تخطيط منطقة الزعفرانى بحيث يراعى فى المباني الجديدة الطراز القديم ، وستغضى هيئة الأعلام العليا المشروع بخطة محكمة تظهره على إنه أحد مظاهر الاهتمام بتجميل الأحياء القديمة والحفاظ عليها . وهكذا تتحقق عدة أهداف داخلية وخارجية ، قوبل الاقتراح بعدم ارتياح ، وقام مندوب الهيئة العليا للمباني المنشأ من الطوب الأحمر بالرد علميا وموضوعيا فقال إن ما يطلبه الزميل ينطلق من ظروف الحركة الإعلامية فقط بدون مراعاة الظروف الأخرى . هناك استحالة هدم وتخطيط وبناء المنطقة خلال أيام ، ثم إن اختيار حارة واحدة سيثير الدهشة والرؤية أكثر مما يبعث على الاقناع ، ومن الناحية العملية يستحيل اتمام المشروع فى مدة لا تقل عن ستة شهور ، أولا ، لا بد من تشكيل لجنة فنية معمارية لوضع التخطيط الجديد . ثم قيام اللجنة بمعاينة على الطبيعة . وهذه مستحيلة لطلسمه الزعفرانى ، ثم تحدث مندوب الهيئة العليا للمحافظة على الآثار فهاجم بشدة اقتراح المندوب الإعلامى ، وصفه بقصر النظر لتضحيته بتراث البلاد من أجل السمعة البراقة الكاذبة ، هدم الزعفرانى جريمة حضارية لاحتوائها على بقايا بيت يرجع تاريخه إلى العصر المملوكى الأول . هنا اعترض المندوب الاعلامى ، وقال إن هيئة الآثار تهمل فى المحافظة على آثار البلاد وتتركها عرضة للتلف ثم يهيج المندوب المحترم عندما يصبح الأمر متعلقا بهدم جدار يتوقف عليه سمعة الوطن ، رد عليه المندوب الآثارى بقلة الاعتمادات المخصصة للهيئة ، برغم ذلك فالهيئة تبذل جهودا كبيرة من أجل الحفاظ على تراث البلاد . ثم تلا قائمة بالأعمال التى نفذتها الهيئة خلال العام المالى الأخير ، طالب بنشر القائمة واتهم المندوب الاعلامى بتجاهل جهود هيئة الآثار العليا ، انتهى الاجتماع الأول بدون وصول اللجنة إلى قرارات محددة . فى نفس الوقت تضمنت تقارير الاستماع التى تقوم

بإعدادها المصلحة العليا للتصنت والمكلفة بمتابعة الأحوال الزعفرانية في جميع الإذاعات العالمية تطورات جديدة. ورد في أخبار « محطة ألبيسى زدينو جراس » إن جماعة من الرجال أطلقوا على أنفسهم « أتباع الشيخ عطية » أعلنوا إيمانهم بفكره، نيتهم في إرسال وفد إلى المدينة التي تتشرف بباوائه، كذلك أذاعت إحدى المحطات التي تبث إرسالها باللغة الهند وآسيوية انتظام أعداد كبيرة من المواطنين في ولايه هيا كوالا في صفوف طويلة وسيرهم تحت المطر ساعات، وتجمعهم في الميدان الرئيسي بعاصمه البلاد وهناك وقف رجل خطيباً فيهم، قال إن الأمر هان. والميعاد حان، والبعيد اقترب والحفى ظهر، كل شيء سيعود إلى حاله، سترجع الأمور إلى بساطتها، ستلتئم الشقوق، ستتجاوز الوديان، والسحب والأرض ستعانقان، ستشمل العالم رحمة وينتهى اللامعقول من دنيا الإنسان سيعاد تنظيم ما أعوج من نظام اختل واضطرب، ونقلت إذاعات مقديليانو، وكوبنشو، وهالوران، فقرات مطولة من خطاب الشيخ المسن، وقد وجهت المصلحة العليا للاستماع تقريراً سريراً بما تضمنته هذه الأنباء إلى المشرف الإعلامي، ورئيس الهيئة العامة للمحافظة على سمعة البلاد ثم انعقدت اللجنة الفلسفية الفرعية. ضمت أساتذة الفلسفة في الجامعات الأربع بالبلاد وذلك لدراسة أهداف الشيخ، في الجلسة الأولى انضم ضابط برتبة لواء من الأمن الخصوص اعتذر عن عدم ذكر اسمه، ثم بدأ في قراءة تقرير يتضمن الخطوط العريضة لأهداف الشيخ، وتلخص ما قاله الضابط في حب الشيخ للعالم. ثم موجز للمنظور الثاني الذي يعلن فيه شفقتة على العالم، ثم المنظور الثالث الذي يستعرض فيه بعض صنوف الشقاء التي يعانها الإنسان، أما المنظور الرابع فيتضمن خطواته في سبيل تصحيح مسار البشر، وسبيله إلى ذلك سلب الانسان أعز ما لديه إلى حين إيجاد وضع يجمع الأحوال المتضاربة المتنافرة في حال واحد، أصغى الأساتذة بعمق، قام أكبرهم سنا، شكر اللواء على تجشمه مشاق

الحضور، وأكد اهتمام اللجنة بما تلاه. لكن هناك أموراً يجب مناقشتها في حرية تامة قبل استعراض أفكار الشيخ منها مثلاً تحديد من هو الشيخ؟

أهو حقيقة أم وهم؟ أهو وسيلة أو غاية؟ أهو علة أم معلول؟ وبعد الاتفاق على الخطوط الأساسية يتم الانتقال إلى مناقشة الأفكار، ومحاولة تقريرها إلى مدرسة فلسفية معينة، أو اطلاق تعريف محدد. وتلك أمور تحتاج إلى وقت لانتاء كل من الاساتذة إلى مذهب فلسفى مخالف للباقيين، ثم طلب في صيغة مهذبة من اللواء التفضل بمغادرة الاجتماع حتى لا يمثل وجوده تهديداً لحرية الفكر، امثل اللواء، لكن هيئة الأمن الأعلى اوحى بضرورة بذل جهود مكثفة لتجنيد أحد الأساتذة لمعرفة ما يدور، ورفض رئيس الهيئة اقتراحاً بتركيب أجهزة تسجيل سرية، وقال إن تجنيد أحدهم أكثر فائدة، ربما تمت الاستعانة به لتوجيه المناقشات إلى وجهات معينة، من ناحية أخرى استمرت تدفق الشرطة السريين إلى منطقة الحى القديم، كما نشطت الهيئة العليا لتجميع النكت والأشاعات في رصد كافة ما تنطقه الألسنة، نتج عن هذا ازدحام مقاهى الحى القديم بالغرباء، ظهر بعض مهندسى المساحة فجأة في الشوارع القريبة من الزعفرانى، يقيمون آلتهم على الحوامل الخشبية في الطرقات، ينظرون من خلالها. استمر أحدهم يقيس الشارع الرئيسى لمدة أربع ساعات. ترددت إشاعة قوية عن نية الحكومة فى ازالة مجموعة ضخمة من المباني والشوارع تمهيداً لسير الأوتوبيس، و برغم عدم ظهور أى دلائل عملية تؤكد أو تكذب هذه الإشاعة فإنها لم تخمد مما أقلق سكان البيوت القديمة، ذات الأيجارات المنخفضة.

•••

حدث أثناء خروج طاحون غريب اليومى أن لمح ورقة مطوية بعناية . ملقاة فوق الارض . ولأن كل تصرف يقدم عليه الآن يفكر فيه مرتين خوفا من خطأ غير مقصود ربما أغضب الشيخ ، لذلك تردد قليلا قبل أن يميل و يلتقطها ، عندما قرأ السطور القليلة المكتوبة بخط معوج وجبر لونه أخضر انتابه ارتباك ، ففكر ، هل يبلغ عويس بما قرأه ؟ يتلفت حوله ، لا يقف أحد بالقرب منه ، لم تره امرأة أو طفل ، هل يعود إلى البيت و يبدأ تنفيذ ما جاء بالورقة ؟ إذا علمت امراته ستساعده . لن تبخل بأى جهد يحوى بصيصا من أمل فى سبيل عودة رجولته لكن لورجع سيبدو هذا مريبا ، ليمض إلى العمل ، إلى غمزات زملائه . ونظرات الزميلات الموظفات المشفقة ، إذ ترفع أحداهن عينها عن دفتر تدون به بعض الأرقام أو السطور ، يقرأ فيها ادارا كلها الحالة ، كأنها تقول ، أعان الله امرأتك ، ربما يوجد عشرات الرجال فى المصلحة لا حول لهم ولا قوة ، أحوالهم مسترة ، لكنه يمضى وكأن لافتة معلقة فوق رأسه .

شىء فظيع ، عند باب الحارة قابله الأسطى على المكوجى ، استوقفه ، سأله عن صحته ، عن احواله . قال إن الزبائن طفشوا من عنده ، لا يكوى إلا ثياب أهالى الزعفرانى فقط وتلك لا تكفى ثمن الجاز الذى يشعل به موقده ، لولا الوجبات المجانية التى توزع لمات أولاده جوعا ، رفع يديه دعا الله أن يمد عمر الشيخ ، مال هامسا على طاحون ، هل يعرف طاحون طريق أى شخص يقرضه نقودا ؟ هز طاحون رأسه . ودلوا نطق بسرعة ، لكن على المكوجى لم يبد رغبة فى الانصراف ، قال إنه يفكر فى جمع مقدار من المال ، يكفيه كى يقطع تذكره سفر إلى الهند ، هناك سيجد الطلسم المضاد لطلسم الشيخ ، الطلاسم الهندية تجب ما عداها . كل المشاكل ستحل من الهند ، قال فجأة متخليا عن اللهجة الحاملة التى

سادت صوته ، لو أقنع طاحون الأهالى بجمع أجرة سفره إلى الهند ، سيعود بالفرج ، بسط طاحون يديه وكأنه يقول ، من أين له القدرة على اقناع الأهالى ؟ فى نفس الوقت تفحص ملامح المكوجى ، سمع من امراته أن المكوجى يعود كل ليلة إلى الحارة سكران . يمضى إلى حارة قديمة فى نهاية شارع الموسكى يتجرع كشوس السبرتو ، وقبل نوم الحارة الاجبارى يظهر متمايلا ، يقف كل من يقابله يؤكد وصول الفرج من الهند قريبا ، لم تعرف الزعفرانى سكارى من سكانها إلا والد نبيلة المدرسة ، قبل موته أكثر من شرب الخمر ، رآه الأهالى مرات راجعا يتمايل و يسقط أحيانا فوق الأرض ، فى إحدى الليالى طارده عدد من الصبية ، بين الحين والحين يستدير ليواجههم ، يحاول حفظ توازنه ، يرفع يده خاطبا فيهم يزعق « اغبياء .. أنتم لا تعرفون ما أكنه فى قلبى .. » تصادف عودة طاحون ، نهر الصبية ، صحب الرجل معه ، راح يلتفت إليه متها إياه أيضاً بأنه لا يفهم ما فى قلبه ، أم نبيلة تستقبله ببكاء وحزن ، إن ادمان شخص للخمر يعتبر من الكوارث فى الزعفرانى ، وكثيرا ما سمعت الحارة زعيق أم نبيلة إذ تحاول منع زوجها المدرس القديم من الخروج إلى الشرفة ومخاطبة الحارة ، كثيرا ما تناقشت أم سهير مع زوجها ، هل سيدخل مثله الجنة ؟ هل تجوز الصلاة عليه ؟ وقيل إن موظفا محترما جاء يخطب نبيلة لكنه تراجع عندما علم بسيرة والدها وأعراض الأدمان التى ظهرت عليه خلال السنوات الثلاث الأخيرة من عمره . قال المكوجى إن الفرج آت لا ريب فيه والهند لن تسكت ، خيل لطاحون أنه شم رائحة خمر ، ضاق ، استأذن فى الانصراف ، لا بد أن يلحق بالعمل ، أسرع ممسكا بالورقة ، لمح مقهى الداطورى مفتوحا ، الجرسون يرش الأرضية الداخلية ، يجلس هذا الشاب الذى يقولون عنه إنه يعمل بالصحافة ، لم يتضمن أى نداء أذاعه عويس تحذيرا بالبعد عن هذا الصحفى ، اعتاد الأهالى رؤيته جالسا إلى عاطف الجامعى ، رأهما البعض يمشان معا عند نهاية شارع الأزهر . طاحون يعتبر نفسه محصنا ضد أمثال هذا الصحفى . يعجب للسهولة التى استدرج بها عاطف ،



أيضاً قرقر الموسيقار. قال الداطوري إن مجيء مثل هذا الشاب ( كلمة الشاب هنا تعنى الفحولة ) لا يحمل إلا معنى واحداً ، هو طمعه في نساء الحارة ، يتستر تحت عمله الصحفي الذي يحميه من المساءلة القانونية ، يلتقى هدفه بأهداف القوادين الذين تعرضوا لامرأة التكرلى ، إنه أخطر منهم لوجود من يحميه . لم يرد الداطوري ، استمر الصحفي فى التردد اليومي المنتظم ، ما يحيره الآن مجيئه المبكر فى هذا الوقت ، ربما اتفق مع امرأة ما من نساء الحارة على اللقاء بعد خروج زوجها ، يختلى بها ساعات النهار ، تعود قبل الثانية ، ترى من هي ؟ أم يوسف امرأته مثلاً ؟ إن شبقها يطل من عينها شرسا خلال الأيام الأخيرة . يحاول الهرب منه ، البعد عن مرمى عينها ، يتمهل فى خطواته ، يرى زوجته بعيني عقله تحكم الملاءة اللف حول جسدها ، تتعمد الوقوف أمام المقهى ، تفردها ثم تلفها حتى تتيح للصحفي رؤية بعض من مفاتن جسدها ، يقوم وراءها ، يلحقها فى حارة الوطاويط ، أو تحت بيت القاضى ، من ميدان الحسين يركبان عربة تاكسى تمضى بها إلى بيته ، تعجل الانفراد به ، يراها فى حجرة النوم ، طاحون يتخيل أوضاعاً فاجرة تتخذها امرأته بالإضافة إلى أن الصحفي شاب مازال فى مقتبل العمر ، وهذا سيكشف أمام عينها القوة الحقيقية لزوجها ، لا يدرى طاحون لماذا يوقن أن قواه أقل من قوى هذا الصحفي ؟ حتى لو زال الطلسم فلن تنسى الأندى بسهولة . تضطرب خطى طاحون ، تغزوه حسرة هائلة ، يتحسس الورقة ، ربما يجيء الفرج بعد تنفيذ ما جاء بها حرفياً ، لم يبق طويلاً فى المصلحة ، استأذن رئيسه فى الانصراف ، عاد يقطع الطريق إلى الحارة ، أبدى ارتياحاً عندما لمح الصحفي جالسا بالمقهى ، عندما اقترب من مسجد سيدى مرزوق صاح بعض الصبية الذين تجمعوا فجأة « آه يانى .. آه يانى يازعفرانى » ، جفل ، برغم إسراع الصبية بالاختفاء إلا أنه جرى باتجاه الزعفرانى ، عندما تجاوز مدخل الحارة شعر بأمان ، بعد الحد الأمامى للمدخل لا يمكن لإنسان أن يتعقبه ، لا يمكن لرئيسه أن ينظر إليه برية بعد إعفائه مؤقتاً من قيادة القاطرات وإسناد

عمل مكتبى إليه فى ورشة الآلات . أيضاً لا يمكن للصحفى الدخول . الزعفرانى هادئه تماماً . اضطر الآباء إلى منع أولادهم من الخروج للعب مع أولاد الحارات الأخرى بعد تعدد المشاجرات . بقاء الأطفال فى البيوت يسبب مضايقات لاخذ لها خاصة خلال عطلة مدرسية كهذه ، البيوت ضيقة ولا تحتل الضجيج ، لكن الآن لا يغادرون الحارة أو البيوت ، صاحب هذا هدوء غريب أدرك الأولاد ، لم يعد يسمع زعيق أحدهم ، لم يربعضهم يخوضون مباراة حامية فى لعب الكرة أو قذف الطوب ، معظمهم الآن يمضون أوقاتهم نائمين ، هدوء غريب لم يعتده طاحون حتى خطر له إنها ليست الزعفرانى ، ربما لعدم عودته من قبل فى مثل هذا الوقت المبكر حيث الشمس تفرش جزاء كبيراً من الزعفرانى ، والحركة الخافتة تتسرب من البيوت ، غسيل الحلل ، مسح البلاط ، يطرق الباب ، لحظات ثم يسمع الشبشب يأت فوق الأرض ، لم يصغ إلى أى صوت ، يطرق الباب مرة أخرى . مرات ، يد خشنة تقبض قلبه ، أين ذهبت ؟ .. لكن الصحفي بالمقهى . هل يجلس عامدا كى يضلله ثم يقوم ليلحق بها فى مكان اتفقا عليه مسبقاً ، ربما عاد فعلاً من لقاء تم بينها ، تأخرت هى قليلاً حتى لا تثير شكاً فى صدور رواد المقهى والجالسين أمام الدكاكين ، طاحون لا يحمل مفتاحاً ، هى تفتح الباب دائماً ، يعود إلى خارج الحارة ، أى شبشب سمع ، أهو وهم ؟ الصور تتعاقب على ذهنه الملهب ، إنه يدخل إلى المسجد . يتوضأ ، يبدأ تنفيذ ما جاء بالورقة ، فى صغره لم يفته فرض واحد ، مع مرور السنوات أصبح لا يصلى إلا الجمعة فقط ، يمضى إلى الحسين كل أسبوع ، ثم يتجه إلى مقهى قديم أزيل الآن ضمن ما أزيل من مبان قديمة ، فى العامين الأخيرين تخلف عن صلاة الجمعة مراراً ، لكنه واطب على أداء صلاة العيدين ، اعتاد أهالى الزعفرانى التجمع فى ساعة مبكرة ، يهتفون بعضهم ، يتصافحون ، حتى لو تصادف وقوع خصومة بين البعض فإن كل شىء يصفو مع نسيمات الهواء الباردة النقية التى تلتفح وجوههم إذ يخرجون من الزعفرانى إلى الطريق . كل هذا .. انتهى الآن ، يخجل الزعفرانى

من مواجهة جاره ، هل يخرج من المسجد ؟ المكان الوحيد الذى يمكنه الجلوس فيه منفردا بدون مضايقة ، مقهى الداطورى ، لو ذهب إلى أى مقهى آخر لن يجد راحته ، ربما اعترضه الجرسون ، طلب منه مغادرة المكان ، يخاف الزبائن الاتصال به ، أو الشرب من كوب رشف منه شايا أو حلبة ، الزعفرانيون معروفون فى الحى كله ، قبل الطعام الجماعى منع البعض حرمتهم من الخروج لشراء الخضار أو اللحم ، عدد من الباعة أظهروا طمعا فى النساء ، تماما كالأشقياء المرابطين أمام السجون فى أيام الزيارات ، ينصبون فخاخهم للزوجات اللواتى يفقدن ، رجالهن خلف الأسوار . لكن امرأته لم تراع هذا كله وخرجت . طاحون يشعر بوقوعه ضحية لمؤامرة عاتية ، هو الرجل الطيب المسكين الذى لم يؤذ أحداً ولم يتآمر على مخلوق ، ولم يدس على زميل له ، تآمر عليه السمسار الذى أوصله إلى الشقة ، تآمر عليه رأس الفجلة عندما قبل تأجير المسكن له ، الداطورى الذى اختار لقمها موقعاً قريباً من الحارة . الرجال المتطلعون إلى أرداف امرأته الثقيلة كلهم شركاء فى المؤامرة ، لو تضامنوا معه فى تحقيق مشروعه الضخم الذى يضح به رأسه ، تلك الشبكة من الأنفاق المتلاقية المتفرقة التى يتجمع فيها كل الجياع ، فى لحظة معينة يهبون ، يخرجون إلى الضوء ، يجتثون كل ما أمامهم . يعدلون الأوضاع .

بعد قليل وقع من الحوادث فى الزعفرانى ما جعل حمدى الصحفى يقطع تأملاته وسكونه الذى لفت نظر الداطورى ، وما جعل طاحون يقاوم إغراء قوياً بالانقطاع عن كتابة البسمة والالتفات إلى ما جرى ، قبل انتصاف النهار ، تندفع امرأة شابة تحمل حقيبة ثياب ضخمة بنية اللون تتبعها فتاة فى حوالى السابعة عشرة إنها مضطربتان ، يتدفق الدم إلى وجنتيهما ، تسند المرأة حقيبتها إلى الأرض ، قرب مدخل المسجد تميل الفتاة بحقيبتها إلى جوار الحقيبة الأولى ، تعود بسرعة إلى الزعفرانى ، تقف المرأة ، تتلفت حولها ، تفوح رائحة عطر خفيفة

من ثيابها ، تتشابك أصابعها ثم تنفرج لتتشابك من جديد ، لن يستطيع إنسان مقاومتها أو ثنيها عما قررت ، ها هى ذى ابنتها تظهر حاملة حقيبة بنية صغيرة ، منظرهما عادى حتى هذه اللحظة ، لكن لم تمض ثوان الا تندفع امرأة عجوز ينحنى ظهرها انحناء شديداً ، وعندما رآها بعض المارة قدروا تجاوزها المائة عام ، مشيتها المتعثرة وصوتها النائح لفت انتباه حمدى الصحفى ، يستدير الداطورى على مهل حتى يواجه تماماً كل ما يجرى ، تصيح العجوز ، يا عاهرة ، يا خائنة ، تطلب من المارة أن يتقدموا ، أن يمنعوها ، كلما أحست باتساع المسافة بينها وبين المرأة والفتاة يزداد نواحها ، بالفعل تقدم أحد المارة منها محاولا استفسار الأمر أو استيضاحه ، لكن تنطلق صيحتان فى وقت واحد ، الأولى من المرأة نفسها ، والثانية من أحد الواقفين بالطريق ، «إحذر . زعفرانية» ، يسأل حمدى الصحفى عن شخصية المرأة ؟ بعد لحظات يجيب الداطورى قائلاً إنها فريضة امرأة رأس الفجلة ومعها نشوة ابنتها ، يعود الداطورى إلى صمته ، تتوقف العجوز ، تهيل التراب فوق رأسها ، تطلق ألقاظاً لا معنى لها ، تبدو كطفلة شائثة فقد منها شيء ثمين تخشى العودة بدونها ، يوقف الصراخ طاحون .

لم يستطع الاستمرار ، للحظة خشى وقوع مصيبة فى بيته . قام بدون أن يعى . يخرج ممسكاً بالقلم العارى من الغطاء ، يتقدم من أم رأس الفجلة ، يزداد عويلها . تطالبه باللحاق بها ، أن يردّها إلى بيتها ، يسأل طاحون بفرع ، بخوف ، من . . من هى ؟ تقول العجوز ، الخائنة ، ابنة الحرام ، يدرك طاحون أن المقصودة امرأة ابنها ، تغمره راحة . بل تدركه سخرية عابرة وهو ينظر إلى العجوز التى وقعت تماماً فوق الأرض ، لكن هذه السخرية تطايرت عندما رأى نفسه فى لحظة آنية يصرخ مثل هذه المرأة ، كما تذكر انقطاعه عن كتابة البسمة . تتملكه حيرة ، هل يبدأ من جديد . هل يستأنف ما كتبه ؟ وإذا عاد إلى الكتابة هل يتوسلاً ؟ من يفتى له فى الأمر ؟ لا يدري ، لا يعلم من كتب الورقة ؟ هل يرجو

من عويس أو من الصول سلام الذي أصبح المنذر الأول أن يبلغا الشيخ حيرته ؟  
ربما أبدى سخطاً عليه ، يضايقه موضوع الورقة منذ البداية ، يعود ليتأمل ما كتب ،  
نسى عدد المرات ، يسب رأس الفجلة ويلعن أمه ، يلقي اللوم عليه وليس على  
فريده ، لا الطلسم نفسه . كيف يمكن لسنيورة مثلها أن تعيش مع صاحب هذه  
الخلقة ؟ يحاول تجاهل أفكاره ، ينظر إلى الورقة ، استند برفقيه إلى المنضدة -  
تتزايد حيرته - تزحف أم رأس الفجلة إلى مدخل الزعفراني ، فوق نتوء بارز  
تنوح ولا تكف عن الكلام ، تلعن الخائنة ابنة الحرام ، تسب أصلها وعائلتها ،  
وتؤكد أن أهم شيء عند اختيار الزوجة هو الأصل ، لكن ابنها لم يهتم بالأصل ،  
جذبه لون جسدها الأبيض ، أكلت عقله بمركتين في الفراش ، تاه المسكين . لم  
يخنها ولم يعرف امرأة أخرى طول عمره ، الفرص أمامه كثيرة والعديدات يرغبنه ،  
لكن قليلة الأصل بعثرت النعمة ، خربت بيتها بيديها ، إنها قادرة لا تنظف منزلها  
إلا كل شهر مرة - رائحة طبيخها تسد النفس ، عرق إبطينها يزكم الأنوف ، لم  
تنتف شعرها أبداً ، أخذت ابنتها معها ، هذا الشاب الذي أغواها سيستدير إلى  
ابنتها بعد قضاء وطره منها ، من يتزوج طفلة عليه تحمل العواقب ، دلالها وتمنعها ،  
رجوعه كل يوم فلا يجد لقمته معدة ، والصحون القذرة تملأ المطبخ ، عليه أن  
يغسلها ، أن يقشر البصل ويفصص الثوم ، عند مشيها معه تغمز للشبان والمسكين  
لا يلحظ شيئاً ، لم تحترم أمها ، لم تتذكر موتها ، لم تذهب إلى القرافة مرة  
واحدة ، في الأعياد لم تتصدق عليهم بقرش ، ولا كعكة حتى ، كل ما شغلها  
البحث عن أحضان الرجال ، المتعة الحقيقية لأمثال هذه الفاجرة لا تأتيها إلا بين  
أحضان الغرباء ، إذا تاوهمت بين ذراعي زوجها ، فهي تهدف إلى الحصول على  
قدر من المال ، أو نفقة المصيف ، الله وحده يعلم ما يجري عندما يتعري جسمها  
أمام مئات الشبان ، كل شيء أصبح مقلوباً في هذا الزمن الأسود الذي تكتمل  
فيه أنوثة المرأة عندما تتعري لغير زوجها ، لم تجرؤ في صباحها وشيخوختها على

التطلع إلى رجل غريب ، قبل مصافحة أى رجل تلف يدها طرحتها خوفاً من  
نقض وضوئك ثم يلف الزمن لتخرب امرأة بيتها بيدها .

إن رأس الفجلة يهز كتفى أمه محاولاً إسكاتها ، عيناه جاحظتان ، خيط  
نحيل من لعاب يتدفق من جانب فمه الأيسر ، خوف يغرقه شيئاً فشيئاً ، خوف لم  
يألفه من قبل ، يستدير حوله ، عاطف الجامعي يرقبه ، يبدو أنه عائد من عمله ،  
إنه صامت ، يتقدم على المكوجي من رأس الفجلة ، يقول له إنه رأى امرأته تخرج  
مع ابنتها ومعها ثلاث حقائب ، فكر في اعتراضها لكنه لم يستطع ، بأى حجة  
يتدخل في شئون الناس ؟ ستعود إليه عندما يحىء الفرج من الهند ، ينظر رأس  
الفجلة بجمود إلى المكوجي ، يلحظ الفتحة المثلثة التي تكشف جزءاً كبيراً من  
صدره ، جزء من الصديري الحر يرى الذي يرتديه ، يتذكر آقاو يل عن رجوعه  
سكران كل ليلة ، يتذكر منظراً من أحد الأفلام ، البطل يقول للبطللة ، تشرى  
ويسكى ؟ امرأته تتأمل كأساً في يد الغريب ، تهمس بدلال ، لا . انا أخاف ،  
يلحظ الآن تشققات في الجدار المواجه له ، يتذكر أسرة أقامت في نفس البناء ،  
رجل صالح اسمه الحاج بيومي يمتلك دكاناً للبياض عند حارة الرشيدى . امرأته  
الست نعيمة من أحب السيدات إلى قلوب الزعفراني ، رآها دائماً تطل من  
النافذة الضيقة ، تغطي رأسها بطرحة بيضاء ، ابنها فاضل لم ير إلا حاملاً تتيه ،  
في السنوات الأخيرة أضيف إلى ما يحمله مسطرة خشبية كبيرة ، بمجرد تخرجه  
من كلية الهندسة منذ عامين أصر على الانتقال مع والديه إلى مسكن آخر . اليوم  
صباحاً التقى رأس الفجلة بالحاج بيومي . كبر الرجل وتقدم في العمر ، رآه  
نظيفاً ، خالياً من الأصباغ ويقع الجير ، تفوح من ثيابه البيضاء رائحة عطرة ، قال  
إن فاضل أصر على أن يأخذ حقه من الرائحة ، باع الدكان وهو الآن من البيت  
إلى الحسين ومن الحسين إلى البيت ، أما فاضل فيعمل في السعودية وسيرسل  
إليها دعوة للحج العام القادم .



يسأل رأس الفجلة عن الاتجاه الذى مشيتا فيه؟ يشير على المكوجى إلى الطريق المؤدى إلى الميدان، يخفى المكوجى دهشة من الجدية الشديدة التى سألت بها رأس الفجلة وكأن معرفته الاتجاه سيبيدهما إليه، فجأة، ينطلق إلى داخل الزعفرانى، تتعثر خطواته، يتصرف فى هذه اللحظات وكأن شخصاً خفياً يحرك خطواته، يفتح باب شقته، يتجه إلى الخزانة الرئيسية، يتحسس مقبضها، كل شيء فى موضعه عدا دولاب الملابس. جميع ضلفه مفتوحة، زجاجات العطر اختفت من فوق التريجة، يتذكر زجاجة على هيئة امرأة ترفع يدها ممسكة بآلة ورود بالوانها الطبيعية رغم دقة حجمها، العطر يخرج من قلب هذه الباقة، الجزء الخاص بثيابه مفتوح، خال تماماً. ادراج المكتب الصغير المطعم بالصدف كلها مفتوحة. الدرج الرئيسى مكسور. يتحسسه. يضغط بيده لسان القفل. سيحتاج إلى تصليح يكلفه جنياً. ومشوار قصير إلى خان الخليلي، مثل هذا النوع من الاقفال يحتاج إلى صانع ماهر. يطوف بالشقة، فيما عدا هذا كل شيء فى مكانه. يتساءل متعجباً، لماذا أخذت ثيابه؟ ثمه أفكار تلح عليه، من سيعده له الطعام؟ من يغسل ثيابه؟ من يأتونها على دخول بيته؟ رفض زمنا طويلاً بجيء خادمة، أمه عجوز لا تستطيع قضاء حاجاته الخاصة، صحيح أنها تستيقظ يومياً فى الفجر، تستحم تحت الدش البارد فى أيام الشتاء القارسة. تغسل ثيابه. تطهى طعامها، تعى دائماً ما يدور حولها، تقضى معظم نهارها فى تصفيف شعرها، الاشراف على تربية الكتاكيت وصغار البط لتبيع كل ما تربيه بعد ذلك إلى امرأة تجلس فى سوق أم الغلام.

إن الوقت يمر بطيئاً، والضوء يشحب، ولا بد أن فريده تستقر الآن فى البيت الذى قصدته وثمة نداء ان اذيعا، لم يهتم بمضمونها، تدق الساعة الكبيرة فى الصالة الباردة ست دقائق، ميعاد العشاء الجماعى للزعفرانى حان. لم يتحرك، إن وجهه هادى تماماً، لولا خيط اللعاب لبدا عادياً، ينفذ هسيس من

هواء عبر النافذة، يتذكر حفيف ثيابها إذ تمر بالقرب منه، سخر يتها منه، قفزها احياناً للجلوس على ركبته، تعضه فى رقبته، فى بداية زواجهما توقظه، إذا ذهبت إلى دورة المياه، تطلب منه أن يقف لها بالصالة، الغريب أنه لم يفكر فى نشوة، عندما رأى صورتها ولى وجهه بسرعة، لا يريد أن يراها، لولاها لما ذهبت فريده. هى التى عرفت الطريق إلى مدرس اللغة الإنجليزية، منذ أيام زعقت فريده فى وجهه، قالت إنها ضاقت به وسهرت منه إلى المدرس الحلو الشاب، لم يهتم، ظلها تغيظه، بندول الساعة يروح ويحىء فى زمن خاو، ينحنى على طرف المكتب المطعم بالصدف، يتخذ أوضاعاً شديدة الانحناء ثم يعتدل، سيبحث عن المدرس، يتعرف إليه، يهديه صفيحة مليئة بالنقود الفضية فئة القرشين المسدسة الحجم، سيقول له: قيمة المبلغ لا تقاس بعدد القطع إنما بقيمة الفضة التى تحوّلها. عملة انقرضت من زمن والصياغ يجمعونها لصهرها وتشكيلها فى حلى، سيهديه أيضاً تحفة نادرة من المخزن، السيف الاثرى الذى امتلكه يوماً أحد سلاطين الهنود المسلمين، مقبضه وغمده مطعمان بالزمرد وفصوص الياقوت والفيروز، سيهديه أيضاً حلقة مصارع الثيران الاسبانى اسسوجة فى القرن السادس عشر، سيشرح له قيمتها، سيقول له إن كثيراً من تجار التحف عرضوا عليه التخلي عنها مقابل مبالغ طائلة، لكنه رفض، يكفى جلوسه أمامها وتخيّل السلطان والمصارع، كيف جاهد كل منها، كيف صارع. كل منها خصومه. هل سيرفض هذه الهدايا، سيتخلى عن فريده، ان طمأنينة من نوع آخر تراوده على مهل، منذ زواجه بفريده يتوقع ما حدث، يثق أنها ستخونه يوماً. أو تعشق غيره ثم تمضى، حاول تأجيل ما جرى إلى اطول زمن ممكن، اغرقها بالنقود، اشبعها جنسياً، حتى جاء الطلسم، لكن ما ذنبه؟ فرت فريده، القلق المؤجل ولى، انتهى انتظاره لما سيحدث، بدأ زمن افتدادها الذى تخيله طويلاً، لكثرة ما عاشه لا يتعجب الآن، كأنه عاش اللحظات من قبل، يرى يوماً تموت فيه فريده، تحمل فى نعش يكسوه قماش ملون جميل. سيصلى عليها، سيبكى، لكنه ستغمره راحة نهائية،

## من تقرير مرفوع الى اللجنة العليا لأحوال الزعفراني

وبالفعل تم استدعاء رجل صالح تقى معروف بكراماته و يقيم بقطر من أعمال محافظة قنا ، وقام باعداد طلسم الغرض منه حماية العاملين باجهزة الاعلام ، خاصة الأذاعة والتلفزيون حتى لا يهددهم الشيخ ، ويستغل اجهزة الدولة لنشر مبادئه الزعفرانية . من ناحية أخرى ثبت مسؤولية عدد من الأهالي عما جرى وهم :

• رمانة الشيوعي ، المختفى داخل الزعفراني من الرقابة البوليسية المقررة عليه .

• لولى المعروف بتعصبه الديني والذي ابلغ عنه والده نفسه .

• جنرال غامض تضاربت حوله الاقاويل ، ومن الممكن انتماءؤه إلى بلد أجنبي يعتنق الأفكار الهدامة ، ونزل إلى داخل الزعفراني بوسيلة ما .

• عميل للهند ، يتخفى فى ثياب مكوجى ،

« و ينسق أغراض هؤلاء كلهم الشيخ الذى يثير كل هذه الضجة ، وجار اتخاذ الوسائل » .

• • •

## الخيلاء

يقف الصول سلام فترات بشرفة مسكنه ، إن حيوية مفاجئه سرت إليه ، لم يعد يزعمق لامرأته أو يثير المشاكل فيما يتعلق باحواله الجديدة . على

العكس لو حدث تدمر من جانب أحد الأهالي أو أبدى أحدهم مخالفة فهو أول من يبادر إلى التحذير ، فى أحسن الأحوال ينصح ويهدى . يعرفه الزعفرانيون الآن بلقبه الجديد « المندوب الأول » قال الشيخ إنه سيختار سبعة منذرين من كافة البشر ، قال للصول سلام إن ما جرى فى الزعفراني ليس إلا البداية . حرف الألف ، الفاتحة الشهيق الأول الصرخة الأولى ، فى المستقبل القريب جداً ربما كلف منذره الأول ، بأعمال تتجاوز نطاق البلاد كلها ، كل أمروله حين ، كل حدث وله أوان ، بعد حين عندما ترتوى غصونه بماء المعرفة والحكمة سينطلق ، أشياء كثيرة تغيرت فيه بعد لقائه بالشيخ ، سنوات طويلة لا يختلط بالأهالي ولا يسمح لامرأته بزيارة جاراتها ، إذا خرجت لتشتري خضارا أو تزور الحسين يحدد له وقتا لا بد أن ترجع بعد انقضائه ، إذ تخرج ثقله وحده . يروح ويحى . يتعجل رجوعها ، ينظر من الشرفة عله يلمحها بمجرد وصولها ، يكتسى وجهه جهامة . يعنفها ، يتهمها بالتكؤ . يتحدث عن نساء عجائز ينظرن بعيون زائغة إلى شبان فى أعمار أبنائهن ، منذ طلسمه الحارة لم تخرج امرأته ، بعد عودته من لقاء الشيخ ذكرها بالحلم الذى رآه ثلاث مرات ، كيف جاءه ولى العهد ، أمسك يده ، تأبط ذراعه ، مشى معه فى الحديقة . قال « اشتقنا إلى طعامك ياسلام » عندما روى الحلم أضمرت تكذيبا صامتا ، أكدت امرأته أنها لم تكذبه أبدا . لكنه أغمض عينيه ، قال إنه يثق من تكذيبها وعموماها هى ذى الأيام تثبت صحة ما رواه ، الشيخ يستدعيه ، يجلس معه سبع ساعات كاملة ، لن يتحدثها عما قاله ، لا بد أن تعيد ترتيب البيت لتستقبل من حين إلى آخر عددا من الحارة . عند حضورهم ما عليها إلا اغلاق الباب وتركهم معه . لا ترعجهم بدخولها ، سينقل إليهم بعضا من زاد القول وثمانين الحكمة المهمة لا يمكن مقارنتها بما يقوم به الولد عويس . عويس مجرد مناد . علو صوته وقوة حنجرته هما ما أهلاه للقيام بهذه الوظيفة . مجرد المقارنة تهن الصول سلام ، قطب عينيه ، سأل هل تقصد اهانتته ، أكدت امرأته أنها لم تقصد ، تفكر فى هذا ورغم تصريحه مرارا

نيتته فى عدم قص أى تفاصيل عن لقائه بالشيخ فإنه فى نفس الليلة وقبل استغراقه فى النوم حكى لامرأته عن حجرة الشيخ، عن رائحة البخور التى تملؤها بدون أن يرى أى موقد تتوهج فيه جمرات، صوته، يأتى من وراء حجاب بنى، يصدر من فوق ومن أعلى، من كل ركن بالحجرة، هذا يدخل الرهبة إلى القلوب، لكنه اعتاد مجالسة الكبار وعظاء القوم، هذا جعله أكثر مقدرة وتحملا للرهبة. بعد أيام ثلاثة أعلن عويس أنه يجب على طاحون والبنان وعاطف والداطورى التوجه إلى المنذر الأول. حذر من التأخير وقت النداء. التفت سلام إلى امرأته، قال إن الوقت الذى تدرك فيه الحارة قيمته قد حان. لم يذكر عويس نفسه بين المدعوين لأنه المنادى، والحقيقة أن أى شخص لا يهيم مجيء عويس أو عدمه الآن، عويس لم يهتم كثيراً بتواجهه مع عاطف الجامعى أو طاحون فى اجتماع واحد، طاحون لا يدرى أحد حقيقة وظيفته، تقول امرأته إنه سائق قطار فاخر، لكن النساء فى المشاجرات يعايرن امرأته بزوجها العطشجى فى السكة الحديد. عويس لا يهتم، لا يعنيه شىء الآن، كثيراً ما يلتقى بأحد سكان الحارة بعد الانتهاء من نداءاته فلا يتوقف لتبادل الحديث. يكتفى بإلقاء التحية الزعفرانية «هذا زمن الفرار..»، لا يعنيه تبادل الحديث مع مأمور القسم نفسه، تقلصت المدينة الضخمة التى بهرتة فى البداية، ما يراه منها تلك المسافة المحصورة بين حجرة الشيخ ومأواه، غير مسموح له هو بالذات بمغادرة الزعفرانى، يستسلم لحالة غريبة. أنه يمضى إلى الشيخ، يقطع الحارة متمهلاً، منادياً، يستوعب الآن ما يملى عليه بسرعة، يأوى إلى حجرته، يتناول طعامه الجماعى. يتأمل البيوت. الوجوه، الضوء الخافت فى غرفته، يستعيد صوراً قريية وبعيدة من حياته، كأن هذا كله لا علاقة له به، كأن من ينادى أو يمشى أو يمضى إلى لقاء الشيخ آخر، بل إنه ينظر إلى حركة ذراعيه وساقيه أو أصابعه إذ تمسكان بطبق الطعام، يخيل إليه أن هذه الأعضاء تنتمى إلى شخص مختلف، كثيراً ما يستيقظ أثناء نومه النهارى المتعب المنقطع، ينظر إلى جسده فكانه يرى نفسه فى

حلم، يرى عينيه ورأسه وقفاه، عندما يقوم من النوم لا يشعر بأى ترحيب للقاء يوم جديد، أما الطعام فذواق أصنافه واحد، لا يأكل ليستمتع إنما ليسد فراغاً يجب أن يمتلىء، إنه يذكر أياماً بعيدة تنتمى إلى إنسان يجمله. أيامه الزعفرانية يوم واحد متكرر بلا ملامح، لا مجال فيه للحلم أو الأمل، لو عاد إلى البلدة سينكره كل من يراه. «عاصته المدينة»، أخذت منه كل شىء ولم تمنحه مرقداً آمناً ولا لقمة هنية، حتى الأسى لا ينتابه إذ يذكر تخيله عن حلمه بامتلاك عربة يد، عربة بيضاء فوقها رسوم وروود. وجوه أناث مبتسمات، صور نساء يرتدين الملاءات اللف، ولبيل واسم الله على مقدمتها، فى البداية ظن أن الشيخ خير مساعد له على تحقيق حلمه، لكنه شيئاً فشيئاً راح ينأى عن حلمه ذاته بامتلاكها، يتذكر بأسى جلوسه بمحطة القطار فى البندر إذ يمضى إليه أيام الأسواق طفلاً، يرقب بلهفة مروق القطار السريع، تبدو عرباته الرمادية خطاً واحداً. ترج عجلا ته الأرض، بعد مرور آخر عربة ينتهى الصخب كأنه لم يحدث أبداً، يحاول استرجاع أيامه السابقة على مجيئه إلى الزعفرانى، مقهى أبو الغيط، أسئلة المعلم عن شوارع البلدة، عن نخيلها، عن كل طوبة فيها، ملاحظها تغيب عن ذهنه لكنه لم يضع حلمه بعودته إليها يوماً، يبحث عن أبنه الحلال التى ستعود معه لتصحبه فى المدينة، يسأل، يختار، ينتقى، ما أسعد العروس، صاحباتها ينظرن إليها بحسد، ستعيش فى مصر، ستزور أهالى البيت كلهم والشايخ والاولياء، وستعود كل سنة مرة أو مرتين ترتدى الملاءة كنباء مصر، تضع البرقع واليشمك على وجهها، ربما سمح لها عويس أن تصبغ شفيتها بالأحمر والأصفر، انهن يزينها ويفصلن ثيابها ويسعين هنا وهناك يشترين لها الحاجات. يجهزن الحناء، فى أعماقهن حسد برغم ما يديتهن من فرحة، يجلس عويس مرتدياً جلبابه الأبيض وعمامة بيضاء. يدخل السجائر ويتحدث عن المباني العالية والكبارى والترموايات ونساء مصر وخلاعتن، وكيف إنه لو ترك



نفسه لمن لصاع ، لهذا آثر لم نفسه والمجىء إلى بلدته ينتقى منها أبنة الحلال التي تشاركه حياته وعمره «تسوى له الهدمة واللقمة» .

إن حزننا نحيلاً قاسياً يفري قلبه الآن ، لم يطمع في امتلاك دكان أو مقهى أو مركب في النيل أو التجارة أو العمل ساعياً في الحكومة ، السر كل ما سعى إليه ، أن يضمن خبزه وغداه ، ماذا اعاقه ؟ من حفر له كل هذه الظروف ؟ أى كراهية يضمنها لمن يجبهله ، لا يدري من ؟ من ؟ مع مضي الأيام لم يعد عينه الا لم ذاته . ماذا بهم وكل لحظة تشبه الأخرى . الأيام لا تأتى بجديد ، يقين قوى داخله يؤكد له أن كل شيء سيبقى على حاله ، لن يحدث تغيير ، لن يرى بلدته ولن يمتلك عربة يد .

ينظر طاحون إلى جيرانه صامتا . لا يدري ما يعينه لقب « المنذر الأول » ، الصول سلام لم يبدأ الحديث بعد ، لم يسبق لأحد بين الحاضرين دخول بيته إلا ليهدئه إذ يهدد باطلاق النار على نفسه ، يود طاحون لو تمكن من نقل ضيقه مما حل به إلى الشيخ ، معظم وقته يقضيه الآن خارج البيت ، المصلحة ، يود لو توارى عن الجميع ، يشيع أمر الزعفرانى فى طول البلاد وعرضها ، قال أحد زملائه إن بلادنا غريبة لأن الكثير من الأمور يشيع و يعرفه الكبير والصغير لكن الصحافة تتجاهله ، ارتجف طاحون ، ود لو اختفى عن عيني زميله ، رغبة الاختفاء تتزايد به ، منذ يومين تمنى أن يسقط فى بالوعة عندما سمع اثنين فى الطريق يمزحان ، يصيح أولها مداعبا الثانى «يا زعفرانى يا ..» أحد السعاة .. فى المصلحة زعق العامل البوفيه . وصفه بأنه يمشى متراخيا وكأنه زعفرانى ، بعد أن طلب طاحون تحويله أكثر من مرة إلى طبيب المصلحة للحصول على إجازة ، والطبيب يأمر بعودته إلى عمله كل مرة ، تزايد الهمس حوله ، قال بعضهم إنه يرجو شفاؤه لكن محال ، بل أن بعضهم اقتحم عليه مكانه عدة مرات بدون مناسبة مصطحبا بعض الأغراب ليروا الرجل الزعفرانى ، وحدث أن جاء زائر

يوما إلى أحد زملائه فدعاه إلى رؤية طاحون الزعفرانى ، وقف الضيف أمامه وراح يبدي أسفا ، ويقول بصوت مرتفع « لا حول ولا قوة إلا بالله .. إن لحيته نابتة » ، إن طاحون ساخط أكثر بعد تكرار فشله كتابة البسمة ألف مرة ، لم يتشاجر مع امراته عند عودتها ، ناقشها ، لم تسخر منه إنما رجته ألا يرهقها لأنه يشعل جوفها ثم يتركها ؟ ابتسم ابتسامة ظنت أن وراءها ما وراءها ، أحاط ذراعها . ضغط صدرها . لكن شيئاً لم يحى الأرض الموات . انقلب على ظهره بينما خرجت انفاسها كالضحك وهمست بحسرة أو جعت قلبه ، « هدتنى .. ارحنى » ، قضى الليل بعيداً عنها ، يتمنى الآن لو طلب من المنذر سلام إبلاغ الشيخ بسخطه وتساؤله ، إلى متى يدوم الحال ؟

إن المنذر الأول يرحب بضيوفه ، يقول إن ما سيحدثهم فيه أمور جليلة . لم يعرفه الحاضرون على حقيقته برغم بقائه أعواماً طويلة بجوارهم ، لكن أمثاله ممن اعتادوا القيام بأعمال صعبة لا يقدر عليها إلا الصفاة ، يخفى أمرهم عن العيون حتى تحين لحظة معينة ، إن قليلا من الأهالى يعلمون أنه قضى عشرات السنين يعد الطعام للملوك والأمراء . الزمن الذى لا يبقى على حال غير وأبدل حتى أتى به إلى الزعفرانى ، ولأنه لا يقوم إلا بالكبير من الأعمال فما هو ذا الشيخ يختاره و يصطفيه كى يبلغهم ما يريد ، إن الشيخ يريد الخير للبشر ، ويكن الحب للعالم كله ، كل زعفرانى يظن أن ما أحقه الشيخ به أمر ضار ، لكنهم لو تعمقوا فكره ، ورأوا ما يكشف عنه بصره القوى لعرفوا أن ما يبدو مصيبة هو فى جوهره خير هائل وطيب وصلاح ، سيميز الزعفرانيون إلى الأبد لأنهم أول من اتبعوا تعاليم الشيخ ، لقد درس الشيخ أحوال الخلفاء وتوارىخ الأمم وسير الشخصيات العظيمة وأخبار الأوائل وما خلفوه من تراث ومن كتب ، تعمق فى الديانات ، فى العقائد ، تشرب كل الملل والنحل ، استقصى أسباب الحروب ، والمجاعات والكوارث وعلل النفس الإنسانية ، يقول الشيخ للزعفرانيين ، لينظر

كل منكم إلى نفسه ، عندما يولد فإن خياله الطفل يحوى الرغبات والأحلام ، يزدحم بالرؤى ، أى إنسان ، تطلع يوماً إلى أن يصبح إنساناً عظيماً ، غير ، يبدل ، بعضهم وثق أنه سيصبح ملكاً أو طبيباً مشهوراً ، مع تقدم العمر تتناقص الأمنيات ، تتواضع الرغبات . تنقلص الأحلام ، بل إن الإنسان صاحب الرغبة نفسه يجيء عند حد معين من عمره ويسأل نفسه متعجباً ، هل تطلعت يوماً لأن أصبح زعيماً أو قائداً أو مهندساً أو طياراً ، ما أخيينى ..

إن المنذر الأول يتوقف لحظات عن الحديث . بعينيه الضيقتين ينظر إليهم . ربما ليستطلع تأثير ما يقوله أو ليتذكر حديث الشيخ إليه . عاطف يتأمل صورة قديمة للوصول ، معلقة فوق الجدار المقابل داخل أطار خشبي على الطراز العربى . مطعم بعاج وصدف . شبه قليل يربط بين الصورة والعجوز الجالس أمامهم . ملامح الإنسان ذاتها يدركها التغيير ، الملامح المادية فكيف لا يدرك التغيير ما هو غير ملموس ، ما لا يمكن إمساكه بأيد . أو رؤيته بعيون ، يتساءل عاطف ، هل يعيش أربعين سنة أخرى ؟ كيف ستصبح ملامحه عندئذ ؟ هل سيقراً نعى « رحمة » فى المستقبل البعيد مصادفة فى الصحف فلا يحرك الموت فيه مشاعر ولا يستثيره حزن ؟ ربما التقى بها فى مستقبل قريب بعد خمس أو ست سنوات ، تدفع أمامها عربة صغيرة يرقد فيها طفل مليح ، لن يختلج له جفن ، لن ترتجف روحه . أربعون سنة ، ثلاثون ، عشر سنوات ، لكم يبدو هذا كله وهماً . هل فكر منذ عشر سنوات فيما يجرى للزغفرانى الآن ؟-

فى اللحظة المقابلة لتلك اللحظة التى يمر بها الآن ، منذ عشر سنوات ، هل جال بفكره أنه سيجلس إلى أمثال هؤلاء ، كل منهم يعرف علة الآخر . يجمعهم العجز ورجل لا يدري أحد درجة وعيه بما حوله هو الذى ينقل التعاليم إليهم . يتحدث باستعلاء شديد ، لا يدري أحد متى سينتهى ما يجرى ؟ كلام هذا العجوز مقدد القوام يعنى امتداد الأمور الزعفرانية لتشمل مناطق أخرى ، إذن هل

سيستمر الحال ، أم سينزاح الكابوس من هنا و ينتقل إلى مكان آخر ، لا أحد يدري ، عاطف يذكر حمدى الصحفى ، ينتظره الآن على مقهى الداورى ، عاطف يميل إليه الآن ، لكنه ليس الميل القديم إلى الأصحاب ، سنوات ولت لم ينقطع خلالها عن رؤيتهم يومياً . نبيل ، عبد الرحمن ، فريد . يسهرون معاً ، يجوبون شوارع المدينة الليلية ، يستشيرهم فى أدق شؤونه ، لم يخف شيئاً عن نبيل ، فرحة اللقاء الأول برحمة نقلها إليه . يوم أن قالت له « أحبك » تفجرت منه سعادة قصوى ، اشترى زجاجة براندى ، قرعا الأكواب ، تحدث طويلاً ، رغب وقتئذ فى قص كل ما فى ذهنه وقلبه على صاحبه . حكى عن طفولته ، عن زملاء الابتدائى والإعدادى والجامعة ، عن فتاة رقيقة تهمس عندما تتحدث ، كأنها تنظر إلى بعيد ، زاملته فى الجامعة ، رفع كأسه ، طلب من نبيل أن يشربا فى صحة ابتسامتها التى حيرته زمناً ، أرسل إليها تحية حارة حيث تقيم الآن فى لاهاي بهولندية ، لم ير المدينة لكنه يخيل له أنها عاصمة رقيقة كالفتاة ، شوارعها هامسة تتلامس سقوف مبانيها ، حكى عن أمه ، عن خجلها الأثنى الذى ظل ملازماً لها حتى وفاتها فى السبعين . لم يكتف بانفتاح القلب إنما رغب أن يرى نبيل كل ما يتعلق به . أخرج حافظة نقوده . راح يطلعه على ما تحويه ، نتيجة جيب صغيرة . تذكرة قطار ، ورقة بها أرقام تليفونات . صورة لرحمة كتب عليها « إلى حبيبى الوحيد فى العالم . وإلى الأبد .. عاطف » ، يوشك الآن على الابتسام ، لم يدم هذا الأبد إلا شهوراً ، فى تلك الليلة لم يكف عن الحديث حتى الصباح ، أصغى صاحبه إليه . حدثه عن رحمة عن عاداتها ، عن إيقاع مخارج ألفاظها . فى تلك الليلة الراحلة دت صداقتها أبدية . باقية ، فى اليوم التالى ككل سهرة أو لقاء يحدثها عن أصحابه ، عن سهرهم فى المقهى ، أغانيهم الجماعية ، نكاتهم ، ما يقصه كل منهم بعد بلوغه نشوة الشراب ، تبرق عيناها ، تعكس رغبتها فى مشاركتهم الانطلاق ، رؤيتها لحظات ميلاد الرغبات المفاجئة ، وعدها أن يخصها يوماً كل أسبوع للسهر مع أصدقائه ، عاشت أحوال

الآخرين من خلاله أكثر مما عاشته هو، عرفت عاداتهم وامزجتهم أكثر مما عرفت عاداته وأمزجته هو، في لقاءاتها يحدثها عن الآخرين، تسأله، كيف أحوال فريد؟ هل استلم نبيل ثيابه من التريزي؟ هل دفع قسط التليفون المتأخر؟ هل استلم الشلاحة الجديدة؟ سعى إلى أن يعرفها بأقرب الخلق إليه، نبيل، قال لنفسه عندما تعرفه جيداً ستطلع على جانب من شخصيته هو، الأصحاب وقتئذ امتدادات طبيعية لذاته، لا يدري متى التقى برحمة وأخبرته عن اتصال نبيل بها واستفساره عن أحوالها، قالت إنه بدا رقيقاً، لحظتها أبدى حماساً، في نفس اليوم اتصل به، رجاء الاتصال بها دوماً، عندما يكلمها كأنه هو الذي يحدثها، لا يذكر الآن متى بدأ يقلق؟ لا يدري متى تساءل، هل اتصل نبيل برحمة أم هي التي خابرتة؟ لا يدري متى اكتشف إنها لا تعرف عنه قدر ما تعلمه عن الآخرين؟ عن نبيل بالذات، حتى علاقاته العاطفية تعرف كل تفاصيلها، صنع من نفسه جسراً بدون أن يقصد، هل أحب مخلوق مثله؟ لقد أحب الجدران والشوارع والأشجار والمتاجر والبيوت التي يتحرك بينها معارفه وأحبابه، ثم جرى ما جرى، وها هو ذا الشيخ يتحدث عن حب شامل آسر، أى حب هذا؟ يضيق بالجلوس هنا، لكن ثمة ما يجبره على الالتزام بكل تعاليم الشيخ، روض لا تطلب منه شيئاً، لا تجهر برغبتها التي تضج بين ضلوعها كأنثى، ما تمناه أن تبقى إلى جواره. اعتاد صحبتها لكنه يضيق بالتصاق جسدها به، إذ يشم رائحته، يشعر بليونته، بالحياة داخله فإنه يقدم على المحاولة، لعل معجزة تتحقق، أو استثناء يحدث، ربما غفل عنه الطلسم ليلة واحدة أو ساعة، تتوهج قبلاته، كثيراً ما يلتصق بها، في لحظة معينة يدرك إنه لا فائدة، يهدم ولا تهدأ هي، ثم تفيق إلى حقيقة ما تعيشه الحارة، يصفو صوتها من اختناقات الرغبة، همس أنها تريد القرب منه فقط، ينزل صمت بينها في مثل هذه اللحظات، يرى عاطف نفسه واقفاً أمامها. عارياً تماماً إلا من حزام جلدي يتدلى منه هذا المسدس أسود اللون، ذو المقبض الحاد الخواف، الدائرة الصغيرة الحمراء تتوسط كلا جانبيه.

والحديدة هرمية الشكل التي تعلق فوهته، سيضفي هذا على هيئته غموضاً، الرجال حاملو الغدارات قليلون.

المنذر الأول ينهى حديثه، يوحى بحفظ كل منظور يذيعه الشيخ، لا يزال في الوقت متسع حتى ميعاد النوم الاجباري، ليست لديه الرغبة في العودة، روض تغسل الآن الشياب، تجلس متفجرة الركبتين، بضاضتها توجهه، أمام البيت يقف البنان، يضيق عاطف بالحديث إلى الآخرين الآن، غير إنه يرق للعجز الذي أخرج خطاباً ورجاً عاطف أن يقرأ له، وصله الخطاب صباح اليوم ولم يجد بعد من يفك له كلماته المستعصية عليه، إذا خرج إلى الطريق، سيهرب منه الكبير أو الصغير بحجة إنه زعفراني ممسوس.

يتأمل عاطف الظروف المستطيل ملون الخواف، أربعة طواح، ثلاثة يتشابهون، كل منهم عليه رأس امرأة جميلة العنق، تنظر بوقار، الطابع الرابع عليه باقعة ورود ترفعها يد لم يستطع تحديدها، أهي يد رجل أو امرأة؟ الحروف غامضة، ليست انجليزية، ليست فرنسية، الأرقام التي تعلن سعر الطوايح واضحة، ربما تنتمي الطوايح إلى بلدة تتحرك فيها رحمة الآن، ربما أرسلت إلى أسرتها خطاباً الصقت به مثل هذه الطوايح بعد أن تبلل الورق الصغير بلسانها، بالتأكيد أتت: مثل هذه الحركة. ينقبض قلبه. مرض قديم تحركه أوجاع طارئة، بدأ يقرأ الخطاب المكتوب فوق ورق خفيف شفاف، الابن يكتب من ميناء لم يذكر اسمه، لكنه في الطرف الآخر من الدنيا، الليل يبدأ هناك عندما يستيقظ الزعفرانيون، إنه بخير، يعمل فوق مركب يونانية، منذ شهر أرسل إليها عشرين جنيتها استرلينا وقطعة قماش ومعطفاً وبلحاً محشواً باللوز، يرجوهما ألا يقلقا عليه، كما يمكنها الكتابة إليه على المقر الرئيسي للشركة في اثينا التي سيصلها بعد أربعة شهور من تاريخ كتابة الخطاب. يتوقف عاطف عن القراءة، يقول: هذا



يعنى وصوله إلى اثينا بعد شهرين من اليوم . يقول إن الخطاب تأخر ، يقول  
البنان إن قلبه اكله على الولد فى الأسابيع الأخيرة خاصة بعد ما حدث  
للزعفرانى ، وانقطاع ساعى البريد قرر الذهاب إلى المقر الرئيسى للبوستة فى  
شارع الأزهر . هناك وجد بوستة الزعفرانى كلها مكدسة فى جانب ، وبعد أن  
طلب منه رئيس المكتب الوقوف على بعد من الحاجز الذى يفصل الموظفين عن  
الجمهور . ألقى إليه الخطاب كما يلقي كرة فى مرمى ، يبدو الرجل متأثراً وهو  
يسأل عاطف ، هل يعرف موظفا فى مصلحة البريد حتى يساعده فى البحث عن  
هذا الطرد الذى لم يصل ؟ يفكر عاطف لحظات ، إنه لا يعرف لكنه سيبدل  
محاولة ربما وفق ، يقول البنان إنه كلما سمع بزيرة ابنه لبلدة ما فكأنه ذهب إليها  
ورآها بعينيه ، بدا الأمر غامضا لعاطف ، عندما لعب الابن فى هذه الحارة  
وشارك والديه النوم فى غرفتها الفقيرة ، هل جال بذهنها إنه سيجوب العالم  
بحارا . هؤلاء الأغراب الذين يرونه فى كل ميناء ، الفتيات اللواتى يضاجعهن ،  
رواد الحانات التى يلجأ إليها فوق اليابسة ، كل هؤلاء ، هل يرجعه أحدهم إلى  
الزعفرانى ؟ هل يفكر مخلوق فى العالم بوجود إنسانة مثل روض ، كل ما تطلبه  
القرب منه ، أقصى امانيها الخروج معه والجلوس فوق الحضرة تحت ضوء  
الشمس ، كم مثيلاتها فى الدنيا ؟ يمد يده مصافحا العجوز ، يثق أن البنان  
سيوقف شخصا آخر و يطلب منه قراءة الخطاب ، يتمنى الا يصل أبنه حتى  
تنفجر الكروب ، منذ سنوات يتمنى رؤية أبنه لكنه الآن بنفس اللسان والقلب  
يرجو ألا يحضر ، يحار كيف يخبره بما يجرى ، هل سيصيبه الخطاب الذى يرسله  
إليه بتلف ، لن يكتب ، ربما ظن أبنة لحاق سوء بالديه فيهرع إليهما ، يظأ  
الزعفرانى فتقع الكارثة .

يقتررب عاطف من مقهى الداورى . يخطو ناحية حمدى الصحفى ،  
يفكر أن له معارف فى هيئة البريد ، تواتيه رغبة لمد جسوره إلى حمدى . المسافة

بينها أقل ، لكن لا يزال الحذر يكبل أقدامه . بعد انقضاء عشر دقائق على بداية  
حديثها تهاجمه رغبة فى الانصراف والعودة إلى الانفراد بنفسه ، وسط الجموع  
يسخر من زحام الخلق ، حوله بالآلاف لكنهم لا يستطيعون النفاذ إليه ، يتأملهم  
من صندوق زجاجى مغلق ، جدرانه لا ترى . بعد تعدد اللقاءات بينهما يقين أن  
اهتمامه بالاحوال الزعفرانية ليس نابعا من مهنته كصحفى ، لم يلمح فيه تلك  
اللامبالاة التى تجعل الصحفى يعالج كل الموضوعات بروح واحدة ولا مبالاة .  
يقول إن المنذر الأول عقد إجتماعا بعدد من أهالى الزعفرانى ، انتهى خلاله بعضا  
من أفكار الشيخ ، يقول حمدى إنه مهم بمعرفة هذه الأفكار إلا إذا حظر الشيخ  
نقلها ، ينظر عاطف إلى عقارب الساعة ، الزمن نفسه مقيد الآن ، مطلسم ، أمامه  
ثلاث ساعات ونصف حتى ميعاد النوم ، يمكنه بعد ساعة المضى إلى هذا المتجر  
يتأمل المسدس ، يقول إن ما ادركه هو رغبة الشيخ فى خلق السلام والمساواة ،  
يبدى حمدى إهتماما ، يتذكر عاطف اندفاعاته تجاه أصحابه كأنه يرى نفسه فى  
صورة باهتة ، كصورة المنذر الأول سلام أسيرة الاطار الخشبى المطعم بالصدف ،  
يقول عاطف إن الشيخ يرى طموح البشر إلى المساواة . إلى انتهاء الحروب ، أن  
يعلمو الجميع فوق المصالح ، أن يصبح الأول كالأخر ، لكن هذا لم يتحقق برغم  
تعاقب اجيال ، وإدعاء كل زعيم أو مفكر رغبة صادقة لتحقيق ذلك ، كل جيل  
يقول ، ستصبح الأسور أفضل فى السنوات القادمة ، لكن لا شىء يسير إلى  
الأحسن ، صحيح أن ثمة تغييراً وبعض تحول ، لكنه تغيير الصورة وليس الخطوة ،  
ضرب أمثلة بالحروب وتعود المجاعات واستمرار الفقر ، تحدث عن النفس  
واوجاعها ، كم من الأمور لم تحسم ، كم من الشهوات لم ترو ، وكم من الرغبات  
لم تتحقق ، تحدث عن منظور عنوانه « دليل الخيران إلى معرفة الإنسان » . فى  
وقت معين سيوزعه على الخلق ، يقول عاطف إن الشيخ قضى سنوات طويلة بعد  
طلسمه ، ما جرى فى الزعفرانى ليس إلا البداية . سيطلسم العالم عندئذ يحقق ما  
لم يقدر عليه التاريخ . يبدى حمدى إهتماما ، يقول ، على الصحافة دق ناقوس

الخطر، ماذا يجري إذا مات الشيخ قبل فك الطلسم، ما رأى العلم في مثل هذه الظاهرة؟ هل يعتمد الشيخ على قوى خفية أو ظاهرة في تنفيذ أهدافه. أم يعتمد على الإيحاء وما يحدثه من تأثير؟ يبدى عاطف شكه في الاحتمال الأخير لظهور حالات العجز قبل سر يان أى خبر عن الطلسم، يقول إن الشيخ سيصدر تقويماً جديداً بحيث يوحد في المستقبل البعيد بين مختلف التقاوم في البلاد.

سيبدأ هذا التقويم من اليوم الأول لطلسم الزعفرانى، سيقسم الأيام والشهور والسنين فيه طبقاً لما سيتم من خطوات في سبيل تحقيق كل ما حلم به البشر، يضحك حمدى، إذن سيجدون أنفسهم فى عالم مطلسم. يقول عاطف، تقصد عالماً عاجزاً، من خلال هذا العجز سيعيد الشيخ تعديل الأوضاع. يسأل حمدى هل رأى عاطف الشيخ؟ يقول إنه لم يره أبداً لاحتجابه، لم يذهب بنفسه فى المرة الأولى ليشكو ما حل به، عندما ذهب سمع صوتاً قوياً ولم يره لأن الستارة التى تقسم الغرفة جعلته بمنأى عن النظر.

\*\*\*

من مقعد مقابل ينظر إليها الداطورى. يعقد يديه أمام بطنه، بعض المارة يتوقفون ليشيروا إليه وإلى عاطف، عاطف لا يعبأ، يوقن أنه سيرى كل هؤلاء مزعفرين عندما تنفذ مشيئة الشيخ، يسأله حمدى عن أحواله؟ هل يحدثه عن المسدس الذى قرر شراؤه، هل يحدثه عن اشواقه لرحمة، هل يحدثه عن صورة المنذر الأول سلام القديمة الباهتة؟ لكنه يقول «أخبارى عادية»، يقول حمدى بدون مقدمات إن بطاقة وصلته من زوجته السابقة، يبدى عاطف اهتماماً، كيف، ماذا كتبت؟ يتوقف فجأة عن تدفق الأسئلة كما بدأها فجأة، يقول حمدى إن البطاقة جميلة جداً، من ورق فاخر لم يره مثيلاً هنا، ولونها يميل إلى زرقة سماوية، ثمة فروع نخيلة خضراء مرسومة، يتخلل كل فرع خط أبيض

نحيل، كتبت سطرًا، تذكره بالخير وأن البطاقة اعجبته فارسلتها إليه، لم تترك عنواناً، ربما رغبة منها فى إقامة حوار من طرف واحد، ربما ليس حواراً على الإطلاق، إنما رعشة ذكرى عابرة حركتها لأرسال هذه البطاقة، يقول إن هذه البطاقة كدقات المسحراتى فى الليل لكنه لا يصفى عليها أكثر من قيمتها، يعرف أنها لن تعود إليه، وحتى لو طرقت الباب يوماً، هل سيجدها نفس الإنسانية، هل ستجده نفس الإنسان؟ يتسم عاطف، مسحراتى الزعفرانى يعيش مأساة، أحببت امرأته مدرس ابنتها وذهبت إليه، ويبدو أنها الزعفرانية الوحيدة التى لم ترجع خائبة وثمة أقوال تتردد عن سعادتها، رأس الفجلة يقف يومياً فى الشرفة ينتظر إلى مدخل الزعفرانى كأنه ينتظر عودتها، وقف أكثر من مرة فى ثيابه الداخلىة غير مبال بنساء الزعفرانى، سمعه البعض يكلم نفسه بصوت عالٍ. وقيل إنه يتجرد تماماً من ملابسه فى الشقة، وينظر إلى جسد نحيل وساقيه الرفيعتين، وضلوعه البارزة، يدركه حزن غامر على نفسه، يقبل جسده ويعلو صوته فى البكاء كالأطفال، ينوح «لا تزعل يا رأس الفجلة.. لا تحزن يا رأس الفجلة» إنه يخاطب نفسه بالقلب الذى رفض سماعه سنينا، يقول حمدى، إنه سكت بعد سفرها، لم يبذل محاولة واحدة حتى ترجع عن قرارها فيما عدا دخوله عليها تلك الليلة عندما بدأ كل منها ينام فى حجرة، بدأ سفر امرأة حمدى غريباً لعاطف، يلعب السفر دوراً غامضاً فى حياة المحبين، يورث حزناً فى أى الأحوال، الشوط النهائى للفراق، هل سيأتى يوم يعشق امرأة، يهجرها ثم تعانى هى من أجله؟، يسأل، الا ترغب فى السفر؟ يقول حمدى مستفسراً، إليها؟ يهز عاطف رأسه نفيًا، يقصد السفر من أجل السفر، إنه يحن إلى الرحيل، يرى نفسه متوقفاً فى الموانئ والمطارات ينظر إلى المسافرين بدهشة وإعجاب إلى المسدس الذى يتمنطق به، لن يدعه بعيداً عنه، لن يضعه فى حقيبته. إنما ناعس أنيق، يقول حمدى إن ما يرغبه سيثير دهشة عاطف، يود لو قابل الشيخ،

يصغى إليه . أحيانا يخيل له إن هذا الشيخ لا وجود له على الإطلاق ، وإن أهالي الزعفراني وقعوا ضحية أمور غامضة . يبط عاطف شفتيه ، لم يرد ، تدركه رغبة في الابتعاد ، يمسك حمدي ورقة وقلما ، ربما يكتب بعضا مما قاله عاطف عن التعاليم ، أو يدون ملاحظات معينة .

• • •

الداطوري يرقب عاطف ، لا بد أن الأفندي الجامعي فهم تعاليم الشيخ أكثر مما أدركها هو ، ما سمعه يبدو كتنذير مصيبة ، ما معنى طلسم العالم ؟ قلب نظام الكون ، بالأمس تنبه الداطوري إلى أمر أزعجه كثيراً ، لم يقلق لندرة رواد المقهى ، لاعراض أصحاب الدكاكين والورش عن طلب المشروبات منه ، لديه مدخر يكفيه لمواجهة الأيام الصعبة ، مطالبة محدودة ، ولم يرتبط طوال عمره بكيف معين برغم ملازمته المقاهي طوال عمره ، ما أدمى روحه ، اكتشافه مرور أربعة أيام بدون أدنى تفكير في مشروع العمارة ، ليس لقلّة الرواد من المقهى ، أو لكف السماسرة عن التردد عليه فأكثر الأوقات تفكيراً في العمارة أثناء انفراده بنفسه ، وبرغم ازدياد خلواته في الأيام الزعفرانية ، فإنه لم يفكر في البناء ، لم يخص كميات مواد البناء المطلوبة ، لم يجز العديد من العمليات الحسابية في ذهنه ليتبين أسعار الحديد والأسمنت . لم يتخيل ما سيجرى بينه وبين لجان تقدير الإيجارات ، الادهي من ذلك نسيانه أسماء بعض الذين قرراسكانهم في العمارة ، منذ فترة ناقش نفسه ، هل سيقبل الناس سكني عمارة صاحبها زعفراني ؟ ألن يخافوا عدوى الطلسم ؟ الا يهابون فقدان القدرة ؟ أقنع نفسه بأن أزمة السكن ستجعلهم يرضخون ، ثم ان الطلسم لم ينص صراحة على انتقال عدواه في مثل هذه الظروف ، يرتجف قلبه الآن ، هل نسي ملامح البناء أيضاً ؟ لقد استقر رأيه بعد العديد من المشاورات ان يجعل المدخل رحبا ، فسيحا ، ان يبلط الأرض والجدران بالرخام الوردى الملون . أن يثبت في زوايا السلم مقاعد

رخامية ليستريح عليها المسنون والمتعبون أثناء صعودهم ، نسي لون الطلاء الخارجي ، صحيح أنها مرحلة نهائية ، بل يحدث كثيراً في هذه الأيام أن يأتي السكان و يقيمون بينا البناء لا يزال طوباً أحمر أو سقالات البياض لم تفك بعد ، لكنه قرر ألا يدخل واحداً من السكان إلا بعد إتمام كل شيء ، ما يحزنه الآن ، نسيان لون الطلاء ، أيضاً لون الأفار يزضاع نهائياً من عقله ، يدير أصابعه حول بعضها محاولاً التذكر لكن عبثاً ، يود لو جلس أحدهم إليه ، لو جاءه أحد الناس الذين قضوا زمننا يرجونه حجز شقة ، يبادلهم الحديث ، بل يتساءل الآن لأول مرة ، هل سيبني العمارة حقاً ؟ هل يكفي المبلغ الذي أذخره أو ينوي إيداعه ، حتى لو باع المقهى ، هل سيتغلب على أسعار البناء التي ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً ، الداطوري لا يدري ماذا حل به ؟ هل يقدم على خطوة عملية فيشترى الأرض غداً ؟ جولة بسيطة مع السماسرة و ينتقى ويختار ؟ لا شرط له إلا وقوع الأرض في الحى القديم ، لا بأس من هدم المقهى وبيعها في مقابل اعداده مكاناً فسيحاً لمقهى حديث تحت العمارة ، يحوى مناظرة كثيرة وجهاز تليفزيون ليرى الزبائن مباريات الكرة وأفلام ليلة الخميس ، وركنا خاصاً لهواة الشطرنج ، وسيوصى أحد المسافرين إلى لبنان ليشتري جهاز تسجيل يذيع عليه تسجيلات أم كلثوم ، لكن هدم المقهى الآن وبيعه سيخسره كثيراً ، سيقبل سعر المتر لأنه زعفراني ، لن يعدم مشترياً ، فالبعض سيرى في ظروفه فرصة ، يشتري الآن المقهى بثمن بخس ، وبعد زوال الأحوال الزعفرانية سيرتفع ثمنها ، لكن ... لون الطلاء ، هل نسيه بسهولة هكذا ؟ الداطوري يلمح البنان يمشى متمهلاً ، يحمل مطروفاً ، طلب إلى العديدين قراءته ، يرق الداطوري فجأة حتى ليوشك على البكاء إذ يتخيل ابن البنان مبحراً عبر العالم ، أبوه يعرف أخباره من خطاب أو خطا بين في السنة ، ثمة فجوة في نفس الداطوري ، لوتزوج وأنجب لصار ابنه الآن مهندسا ، لصار أفضل مستشاريه في أمور البناء ، لأشرف بنفسه على التصحيحات ، يعجب الداطوري ، طوال حياته لم يشعر بحاجة إلى أن يصبح أباً ، إنه يحب



الأطفال ، يلاعهم يوزع عليهم القروش فى الأعياد ، شبان الزعفرانى يذكرون عيدياته الداطورى فى طفولتهم ، لم يتصور نفسه أباً فى يوم ما ، عاش بروح قريية إلى الطفولة ، يوشك على التخلّى عن وقاره واللعب مع بعض الأولاد إذ يرون أمام المقهى يتصايحون ، يتبادلون الكرة والشتايم ، يتابعهم راضياً ، تبقى انفعالاته تحتية ، مخفاة تحت ملامح وجهه الطيب ، لأول مرة يشعر الان بمحاجته إلى طفل ، إن خوفاً غامضاً يدركه وحزناً سخياً يجعله موشكاً على البكاء ، صباح اليوم قابل الأسطى عبده زوج الست بثينة ، عاد إلى الزعفرانى بعد غيبته ، بعد اختفاء امرأته ، سأله عنها .

قال إنها تجرى فى الشوارع هرباً من الموت ، تخاف النوم حتى لا يدركها الموت ، قابلت، عديدين ، قالت إنها ستهرب من الموت فى الجيزة ، إذا شعرت به مازال يطاردها ستختفى فى النيا فى قنا ، فى أسوان ، إذا يشت من الهرب فى مصر ، ستختفى فى السودان ، فى الحجاز ، لكنها لن تموت ، لن تسمح له بأن يكتم أنفاسها ، قال الأسطى عبده إنها تجرى ناظرة إلى الخلف كل دقيقة ، حاول إقناعها بالعودة إلى الزعفرانى لكنها افلتت منه . يتضاعف حزن الداطورى ، يذكر سهرات بثينة . دعوتها أصحابها كل خميس ، ارتفاع التصفيق وعزف العود والقانون من مسكنها ، وصوت غنائها ، يحزن على المقهى الذى هجره زبائنه الأصليون ، يحزن على البنان الحائر برسالة ولده ، يحزن على الجرسون العجوز الذى ربط نفسه إلى مصير المعلم والمقهى ، لا أسرة له ولا مأوى ، يتمدد فوق الدكة آخر الليل ، وفى الصباح يقوم قبل السادسة ليشعل الركوة ويرش الأرض ، على رأس الفجلة الذى هجرته امرأته بعد عمر طويل ، على عاطف الذى غادر المقهى منذ لحظات تاركاً هذا الصحفى الفضولى ، على الصحفى ذاته وما تتضمنه مهنته من متاعب وأخطار . على الخيلاء الكاذبة التى نزلت على المنذر الأول سلام ، على حسن أنور الطيب ، ابن الأصول ، الذى لا يفارق شرفته

الآن مرتديا الذى العسكرى باستمرار ، على ابنه سمير الذى طفش ، لا يدري أحد مقره ومشواه — يحزن على سنوات عمره الضائرة ، لم يتزوج ، لم يعرف الكيف ، لم يجن اللذات ، لم يمارس البهجة ، لم يصحب دياب تاجر الورق والزهنورى وباعيسى فى نزهاتهم الليلية ، يغنون ، يطربون ، يدخلون الحشيش ، ان دموعاً صامته تسيل على وجنتيه الآن ، بينما يقترب منه على المكوجى مترنخاً ، مخموراً ، يرفع يديه زاعقاً ، سيجىء الفرج من الهند ، سيجىء الفرج من الهند .

### تقرير عاجل مرفوع الى اللجنة العليا للاحوال الزعفرانية

« اسفرت الجهود الشاقة التى بذها رجال الأمن ، جميع الفروع عن تجنيد شخص زعفرانى ، مقابل وعد بالشفاء العاجل ، وهكذا يمكن القول أن الزعفرانى لم تعد منطقة مغلقة بعد أن ظلت كذلك طوال الفترة الماضية ، لقد واجهتنا صعوبات عديدة لاعتقاد الأهالى القوى أن الشيخ يعلم كل تصرفاتهم ، من ثم فقد يلحق بهم أضراراً ، لكن استطعنا تجنيد هذا الزعفرانى بعد جهود مكثفة ، من ناحية أخرى يتيح لنا هذا فعلاً إمكانية دراسة حالته العضوية عن طريق عرضه على أكثر من طبيب اخصائى لتحديد نوعية العجز وإمكانية مقاومته ، وقد رفعنا تقارير الأطباء الذين قاموا بفحوص دقيقة على هذا الزعفرانى إلى المشرف الأعلى على الشؤون الصحية ، وقد ثبت فعلاً وجود حالة فريدة تتلخص فيما يلى :-

- ١ — العجز عن الانتصاب .
  - ٢ — اختفاء الحيوانات المنوية المنوية اختفاء تاماً .
  - ٣ — سلامة الجهاز التناسلى ، وعدم وجود أى التهابات به أو أمراض .
- ونظراً لتفرد الحالة ، أطلق عليها الأطباء « اللعنة الزعفرانية » ، وحالياً

تقوم هيئة طبية كاملة بدراستها ، وقد أفاد هذا الساكن الزعفرانى بمعلومات قيمة ،  
نوجزها فيما يلى :

١- الشيخ يقوم بطرح أفكار معينة ، لا يهدف من ورائها إلى تقويض  
نظامنا الاجتماعى فقط ، إنما إلى هدم النظم الإنسانية .

٢- يدعى الشيخ إن العقل البشرى لا يزال فى مرحلته البدائية وبرغم  
إنجازات العلم فإنه لا يزال متخلفا ، والأمور الهامة التى تحكم مصير البشر غير  
معقولة ، وغير مفهومة ، وضرب مثلا بالحرب ، وقال إن الإنسان يحلم بإنهاء كل  
الحروب لكن الذاكرة الإنسانية ضعيفة ، لهذا تنشب الحروب من جديد ، وقال  
إن قابيل وهابيل مازال يعيشان .

٣- ضرب مثلا بالعدالة ، قال إن فكرة العدالة نسبية ، تتلون طبقا  
للنظم وما هى إلا مخدر يحلم به الإنسان منذ فجر وجوده . لكن هل تحققت ؟ إن  
الناظر إلى الأوضاع البشرية الحالية يجد تحققها عبثا ، لا فائدة فى أى مفكر أو  
مدع بوجود نظرية تقول بالعدالة وهذه من الأمور التى تدل على عقم العقل وقصر  
النظر ، يولد الناس متساوون . ثم تبدأ الفروق . يحدد لكل مولود مساره الناتج  
عن ظروف لا علاقة له بها ، يقبّتع البشر بالظروف لدرجة أنهم يتقبلون أكثر  
الأمور شذوذا على إنها أوضاع طبيعية ، فيموت الآلاف جوعا ، ويموت العشرات  
تخمة ، تشهق الأبنية العالية وتتواضع أكواخ الصفيح ، العدالة أمر لا يمكن تحقيقه  
إلا بعمل خارق ، عمل بمثابة اللطمة على وعى الإنسانية ، يضعها فى مواجهة  
الخطر ، يهدد الوجود والأبدية ، من خلال هذا الوضع يمكن تحقيق ما يصبوا إليه .

تلك بعض الأفكار العامة التى استقينها من الزعفرانى ، ونظراً لخطورة  
الموضوع رأينا معالجة الأمور بسرية تامة ، وقد نما إلى معلوماتنا أن أحد الأعضاء

بمجلس المنتخبين الشرعيين ، قرر توجيه سؤال فى المجلس إلى المسئول الأعلى عن  
الشروة البشرية ، بخصوص ما يجرى فى الزعفرانى والإشاعات المغرضة التى  
تطلق فى الداخل والخارج ، وفما إلى علمنا أن هذا العضو- هو منتخب عن الحى  
القديم- ينوى فى حالة عدم وضوح الإجابة المطالبة بتشكيل لجنة اتقصى حقيقة  
ما يجرى من أحوال زعفرانية ...

### نص تأشيرات دونت على التقرير السابق :

- ١- تدعم قوة الشرطة السرية المنتشرة حول الحارة .
- ٢- يتم التركيز على متابعة المسجون السياسى السابق رمانة ، والمشتبه  
فيه « لولى » والتأكد من عدم وجود أى صلات بين أحدهما وأى دولة أجنبية .
- ٣- يتم الاتصال بالرئيس الأعلى لمجلس المنتخبين الشرعيين ، ومنع  
مناقشة أى موضوع يتعلق بالزعفرانى فى المجلس .

### محاولة انقاذ الموقف :

« كتب المحرر العسكرى »

أبدى الزعيم حسن أنور إهتماما شديدا بما يجرى على الجبهة الوسطى ،  
على أثر قيام الشيخ بمحشد فرق الهجوم وتوجيه ضربة رئيسية ، وذلك بانذاره أهالى  
الزعفرانى عن طريق مستشاره الأول لشئون الفكر ، المارشال سلام ، وتضمن  
الانذار استمرار الأحوال إلى أجل غير مسمى لكنه قريب ، أيضاً قام سيد أبو  
المعاطى بتوجيه الانذار الثالث إلى الزعيم والقائد ويقضى بفصله نهائيا من  
المصلحة ، هذا ، وقد انتقل الزعيم بنفسه ، صباح اليوم إلى موقع القيادة الميدانى  
بالجبهة الوسطى حيث تدور سلسلة معارك رهيبية ، طاحنة .

## برقية صحفية :

تفيد الأخبار أن أكثر من محاولة بذلت لاغتيال الزعيم ، تمت أبرز هذه المحاولات أثناء انتقاله من مركز القيادة الرئيسي بالشرفة المطلة على أرض المعركة بالزعفراني ، إلى النافذة الصغيرة بالحجرة المجاورة للصالة . والتي تضم موقع القيادة الميداني الحصين ، على أثر هذا بادر المارشال حسان رئيس الأركان بتعقب فرق الاغتيال .

## أمر سرى .

تدفع كتائب الهجمات الصاعقة التابعة لفيلد مارشال اتيلا إلى أعماق العدو .

## بداية الهزائم :

لم توفق جهود حسان ، ومساعدى والدته فى منع الصبية من التحرش بحسن أنور ، وقفته اليومية تغرهم بمناوشته ، خاصة عندما يعلو زعيقه مخاطبا القادة الذين أبدوا إهمالا . بالأمس ، راقبه بعض الأولاد من فوق السطح المقابل قذفه أحدهم بججر أصابه فى كتفه . علا صراخه « أين هملر .. أين هملر؟ إنه لا يخشى محاولات الاغتيال .. يجب أن يظل قدوة للرجال ، أقل هزة تبدو عليه ستنعكس بشكل مباشر على جميع المحاربين فى كافة ميادين الحرب ، الصور الملتقطة له التى تتناقلها وكالات الأنباء والصحف يجب أن تعبر عن التماسك والثبات معها أشتدت الظروف ، أضطر حسان إلى الذهاب بنفسه إلى أسر الأطفال ، لم يأت هذا بنتيجة ، يبدو أن الصغار وجدوا فى معاكسة حسن أنور سلوى تعوضهم عن فقدان مجالات اللهو واللعب ، بعد تعذر ذهابهم إلى الحارات

الأخرى . أو الخروج فى رحلات استكشافية إلى الخلاء أو المساجد القديمة ، يضاف إلى هذا أن أولياء أمورهم منعوهم من الذهاب إلى المدارس الملتحقين بها نظراً لما واجهوه من مضايقات وصلت فى أحد المواقف إلى أن بعض التلاميذ طرحوا يوسف بن طاحون ، وخلعوا ثيابه كلها بغرض الكشف عليه ، ومحاولة معرفة ، هل يشبههم أم إنه يختلف نتيجة للطمس ، أستدع حسن أنور أبته ، طلب منه الوقوف إلى جانبه طوال اليوم ، أبدى حسان ضيقا ، لن يستطيع ملازمته ، دهش حسن أنور ، قال إن هذا أمر ويجب الامتثال له ، إن حسان قادر على مناقشة والده لفتترات طويلة ، أحيانا يشترك فى استعراض أدق التفاصيل الخاصة بسير المعارك ، يتفعل و يبدى إهتماما ، لكنه لم يفكر فى ملازمة والده باستمرار ، لن يتمكن من متابعة دروسه ، البحث عن شقيقه واستقصاء احواله ، لن يستطيع الذهاب إلى رمانه ، مضى عمره باسرع مما يتصور ، عندما مر بعمر حسان بدا له سن الثلاثين نائبا ، استغرقه العمل ، الهرب من البوليس ، سنوات الاعتقال الطويلة ، كل هذا حال دون دخوله علاقة متكاملة ، إنه لا يندم على هذا ، ولكن ذلك أحد الأسباب القوية التى حرمته الحق فى الاختيار ثم الاستقرار ، كلما تقدم الإنسان فى العمر قلت الفرص المتاحة له ، ليس فى الزواج فقط إنما فى كل شىء ، أحيانا فى لحظات ضيقة يظن ضياع كل ما سجن من أجله . عندما دخل السجن لأول مرة جاء إليه أحد زملائه . همس مخذرا من الأفرط فى الحديث أو الأدلاء بأى معلومات لأن بعض الزملاء على اتصال بالادارة ، ينقلون ما يدور فى العنبر مما يساعد على تطوير التحقيق وكشف بعض الجوانب ، أخفى رمانه دهشته ، كيف يوجد بين الزملاء من يعمل لمصلحة الادارة ؟ أرقه التفكير ، لكن فيما بعد عرف كيف يتحول الإنسان من النقيض إلى النقيض . من السهل القول بتغير إنسان ، لكن الشبع متابعة ذلك التغير والسقوط ، سكت رمانه ، قال إنه لا حدود لامكانية تغير الإنسان ، كثيرا ما يصبح هذا موجعا ، رأى الكثيرين يتخلون عن القضية ، وعندما رفض حل



الحزب أبلغوا عنه ، لكن تعرفه إلى حسان . فيه عزاء وأى عزاء ، إن لقاءات حسان برمانة أصبحت شيئاً أساسياً ، أيضاً الفترات التي يخرج فيها إلى الخلاء القريب ، يجلس فوق حجر . أو مقهى صغير لا يأتيه إلا سائقو عربات النقل . حسان يضيق بأحوال والده ، يحرص على اختيار الصيغ التي يرفض بها طلبات والده ، خلال الأيام الأخيرة يشعر الزعيم بخواء ، قواته الضخمة ، كبار قادة التاريخ ، أشجع الرجال . كل هؤلاء لم يستطيعوا الحاق خسائر موجعة بالجانب المعادى . لا يزال أبو المعاطى يشن الهجمة تلو الهجمة ، يرسل الخطاب بعد الخطاب ، بضربة بارعة قطع الامداد الرئيسى ، أوقف الراتب الشهرى ، أما الشيخ فيحكم قبضته ، لكن الأدهى تعاون ابنه سمير مع الأعداء ، لا يثق إلا بابنه حسان ، لهذا استدعاه ، طلب منه ملازمته ، قال إنه لم يهتز بسبب المواقف الأخيرة ، سيشن هجمات مركزة ضد جبهة عبد العظيم أفندى الجواهرى ، وصاحب البيت المقابل ومدير المستخدمين ، يجب على حسان فقط تحمل مسئولياته ، قال حسان إنه مخلص لوالده وزعيمة . لكن هذا المطلب الأخير لن يلتزم به نظراً للعديد من الأمور التي يجب إنجازها ، قام حسن أنور واقفاً ، صاح بصوت مرتعش « هذا أمر » ، إن حسان مع مرور الأيام تنتابه حالات ضيق ، فى البداية ظن ما جرى لوالده عارضا ينتهى بعد يومين أو ثلاثة ، لكنه أوغل فى طريق لا رجعة منه . تذكر بالأمس قبل نومه ، بكى تأثراً ، لم يتوقع يوماً رؤيته ابنه هكذا ، من السهل أن يسمع بجنون فلان ، ولكن مالا يستطيع احتمالاه ، رؤيته فى أقرب الخلق إليه . ناء بالهم . وقف ، خرج فجأة ، لوبقى لحظة واحدة ربما أنهار باكياً ، لا يدري إلى أين يذهب ؟ هل يجلس قليلاً بمقهى الداطورى ، هل يذهب إلى الخلاء ، لكن ميعاد النوم الزعفرانى أقترب ، صعد السلم إلى حجرة رمانة ، فى البيت أسرعته أمه إلى الحجرة عندما سمعة صوتاً متحشرجا ، رأت وجه زوجها متصلباً ، شفتاه ترتعشان ، تصدر عنه أصوات مكتومة تحار الأذن فى تصنيفها ، ونسبتها إلى الإنسان أو الحيوان ؟ روحه مصابة بجرح

عميق ، صيحات عديدة تطالبه بالاستسلام ، ها هوذا رئيس أركانه ، ابنه الأكبر يتخلى عنه فى أوجع اللحظات ، ستردد ذلك الاذاعات المعادية ، ستتهار معنويات رجاله ، قاداته يهربون ، روميل ينتحر بالسهم بعد فشل الهجمات الصحراوية ، جنكيز خان يقع أسيراً ، طائرات جورنج تنهاوى كالذباب ، روحه تنتفض ، هل يقدم على ما يفعله القادة الكبار فى مثل هذه الظروف ، يصوب الطلقة الأخيرة إلى رأسه ، لكن يجب أن يسقط واقفاً ، الانتحار هروب ، لئتمسك بشجاعة الاستسلام ، يهز امرأته ، لتكف عن البكاء ، ولتواجهه معه مصير قائد عظيم .

« ملف خاص : الثورة ... »

خلال الأيام الأخيرة نقل عويس الفران عدة تعاليم مباشرة صادرة من الشيخ إلى الزعفرانيين بدا بعضها غامضا . والآخر مزعجا برغم اعتيادهم على صدور عدد من الإجراءات التي تغير حياتهم تدريجيا ، بالأمس أعلن عويس أن الشيخ ينوي إعادة تنظيم الأمور في الزعفراني بحيث يجب على كل ساكن الاستعداد لمغادرة بيته إلى شقة أخرى ، في اليوم نفسه عقد سلام المنذر الأول اجتماعا ، دعا إليه عددا محدودا من الزعفرانيين ، عاطف ، حسان ، الداظوري ، أحمد النجار ، البنان ، قال إنه عن قريب سينهى إليهم البشري ، بعد حين قصير لن يتجاوز ساعات سيجدون أنفسهم جزءاً من كل ، سيحتل الزعفرانيون مكان الصدارة في قلب العالم ، لم يدعهم ليقول لهم هذا فقط لكن ليبلغهم بعض الأفكار الجليلة . تحدث طويلا عن القنوات والمسارات التي تتخذها حياة البشر ، كيف يحيد بعضها عما اشتهاه الإنسان ، ما يريده الشيخ هو إتاحة حرية الاختيار بالنسبة للإنسان . ثم ذكر نصوصا وتلا سطورا تدور حول حق إعادة الاختيار ، قبل إنتهاء الاجتماع طلب من عاطف إبلاغ حسن أفندي أنور سخط الشيخ لتخلفه عن حضور ثلاثة اجتماعات دعى إليها ، نزل عاطف متوجها إلى بيت حسن أفندي ، إنه يعلم بعض أحواله من الزعفراني ، يراه واقفا في الشرفة مرتديا حلة عسكرية قديمة ، عاطف يدرك مشاركته لما يجري من أحداث زعفرانية غريبة ، قطع شوطا غامضا ولا يدري ما ينتظره . هذا ما يجعله كابيا ، فتحت امرأة حسن أفندي الباب ، عينها منتفختان بتأثير بكاء ، كتفاها منحنيتان وكأن ثقلا ضغطها إلى اسفل ، خيل له انه لمح بريقا في عينها عندما رأته ، طلبت منه الانتظار لحظات حتى تخبر زوجها . ليس عنده مانع في مقابلته ، أبدت تهللا وبشرا ، همست ، إنه لأول مرة يوافق على استقبال ضيف ، ساءت حالته خلال الأيام الثلاثة الأخيرة ، لكنها تأمل أن تخفف عنه هذه الزيارة ، دخل الغرفة جلس حسن أفندي ، انقبضت روح عاطف ، يمكنه أن يلمح نهاية شيء ما في الرجل ، حسن أفندي مستند إلى حافة مقعد ، حلته العسكرية

مفتوحة الأزرار ، رباط الحذاء مفكوك ، بسط أصابع يديه فوق منضدة من الصاج ، لحيته طويلة ، الأرضية مغطاه بأوراق وخرائط وأقلام رصاص . وأقلام ملونة ، قام على مهل ، نظر إلى عاطف مستسلما حتى بدا أن حركة واحدة من أصبعه كفيلة بتوجيهه إلى أي اتجاه ، قال بصوت خافت ، إنه يقبل كل شيء ، لكن ما يرجوه من المندوب المهذب ضمان معاملة تليق به ، حار عاطف ، منظر جاره يثير في أعماقه أشد الأحزان . أن حياة مضت منتظمة سنينا طويلة تنهار وتخرج عن تطورها الطبيعي ، تسلك دروبا وعرة الاكتشاف ، بدت رحمة له عندئذ نائية ، بعييدة ، جهد في استرجاع ملاحظاتها . روض تطل عليه بوجهها الطيب ورغباتها المتواضعة واستسلامها الحنون ، لا يدري لماذا تذكر مشيه ذات ليلة قرب كمشك أخضر الطلاء ، شابان يندفعان فجأة ، ينحنيان فوق الأرض بجوار الكمشك ، تعلقو ضحكاتها ، يجلجل عيشها ، مدا أيديها إلى رجل نائم فوق بطانية ، تبينه عاطف بصعوبة ، في صيحاته شقاء ، شعر برثاء غامر تجاهه ، بدت الحياة له غريبة . مستعصية على الفهم . ما جرى له أو ما جرى لحسن أفندي الذي ضرب به المثل في الاتزان والعقل ، قال إن كثيرين يحملون السلام إلى الرجل الطيب . انتفض حسن أفندي ، قال إنه لن يقبل رثاء ، وانه لم يقبل الاستماع إلى شروط الاستسلام إلا ليحمى أرواح جنوده المخلصين . ليعلم هذا الشيخ وسيد أبو المعاطي . هنا سمع عاطف بكاء خافتا ، تهمس المرأة « يا خراب بيتنا » ، يسأل عن حسان ، قالت إنه لا يجيء إلا في ميعاد النوم الإجباري ، طوال اليوم لا يترك رمانة السياسي ، رجعت عاطف أن يطلب من رمانة ترك ابنها الذي لم يعد لها إلا هو ، قال عاطف إنه لن يقصر لكنه يرجو حضور حسن أفندي الاجتماعات التي يدعو إليها الشيخ ، مرة أخرى صاح حسن أفندي معلنا أنه ينهزم واقفا ولن يركع ، نزل عاطف متمهلا ، خرج من الزعفراني ، لم يفكر في الوقت المتبقى على ميعاد النوم . قطع الشوارع المزدحمة الى متجر السلاح ، تردد عليه كثيراً خلال الأيام الماضية . توقف أمام المسدس الصغير في يوم واحد سبع



مرات ، فى صغره اذ يتمدد فوق السر يرهب الجدران والمصباح والمقاعد ، يتخيل الأشياء تسمع وترى . يتبادل حديثا صامتا مع المناضد ، والجدران ، يثق أن المسدس يعرفه ، يهيب به أن يحسم تردده . ان يتمنق به ثم يزهو مختالا ، بالأمس تمددت روض إلى جواره ، تميل عليه ، تقبله ، تمرريدها على شعره ، اذ تشعر بقلقه ، تحيطه بذراعيها ، ترجوه ضمها بكلتا يديه التى تمنعه من محاولة تفشل و يعقبها ضيق ، همس بأخبارها اليه ، شقيقتها لم تعد تهددها أو تضايقها ، ليس بسبب الطلسم ، انما لعلاقتها بعاطف ، لوجود رجل يدور حوله اهتماماتها ، يشغلها ، قالت إنها أثناء نشر الغسيل وقعت فوطة وجه قديمة على جارتهم خديجة الصعيدية ، لو حدث هذا فى أيام عادية لصاحت وقلبت الدنيا ، انها تهوى الخناق والفرجة على المشاجرات ، حتى انها تكافىء أى صبي بتعريفة أو قطعة حلوى لو أخبرها عن وقوع مشاجرة خارج الزعفرانى ، عندئذ تلتف بملائتها ، تترك طبيخها فوق الموقد وتمضى لتحتل موقعا مناسباً وتتابع المشاجرة ، زعمت أم سهير أن خديجة الصعيدية تمرض لو انقضت أيام بدون أن تشهد خناقة ، قالت روض إن مشاجرات خديجة تلفت النظر بلهجتها وعدم استخدامها السباب أو الألفاظ القبيحة ، انما تصيح بصوت عال ، متوجهة بالحديث إلى شخصها ذاته ، تسب نفسها وحظها المائل الذى جعلها تتعامل مع أمثال فلانة أو علانة ، أو تسكن تحت هذه ، أو تشتري من تلك ، قالت روض إنها تبدو مزعجة بحديثها الذى لا يمكن إيقافها إلا بجملة واحدة ، أن يصفها أحد بمجيئها إلى الزعفرانى من وراء الجاموسة ، عندئذ تبكى وتصرخ ، طول خناقها الغريبة تلك يتيح الفرصة لتاجرة المكرونة ، تساءل عاطف بدهشة .. من هذه ؟ ، ضيقت روض عينها كأنها تقول . ألا تعرفها حقا ؟ نفى ، قالت إنها نبيلة المدرسة ابنة « الخمورجى » ، إنها تطبخ يوميا حلة مكرونة ، تحشوها الأرغفة ، تبيعها لتلاميذ مدرستها غضبا ، أم سهير كشفت سرها عندما خيل لها أن نبيلة تقف فى الشرفة طويلا لحظة وقوف زوجها فى الشرفة المقابلة . تحت بصوت عال وخلال توجيهها الحديث أحدى

المرات إلى صبي فى الحارة ، وصفت أمه بتاجرة المكرونة ، دخلت نبيلة بسرعة خوفا من لسان أم سهير ، عادة تنتهز نبيلة زعيق خديجة الصعيدية وتطلب منها الكف عن الصياح حتى تستكمل محاضراتها الجامعية ، هدا صوت روض عندما قالت إنها كثيرا ما لاحظت وقوف نبيلة فى مواجهة عاطف . أو صياحها منادية شقيقتها تطلب منها شراء كشاكيل لتتنقل محاضرات الجامعة ، أو تنهرا بانعا يصيح على بضاعة عندما كان البائعون يدخلون الزعفرانى ، تأمره بخفض صوته لأنها لا تستطيع استذكار دروسها الجامعية ، قالت روض إنها لاحظت نظراتها ، حتى ودت لو مدت يدها لتدفعه إلى داخل شقته ، تبعده عنها ، أصغى عاطف بدهشة ، لا يتصور نفسه موضع غيرة . لكثرة ما لاقى من صد لم يظن نفسه هدفا تحوم حوله غيرة أنشى ، لكم اقتربت منه روض فى هذه اللحظة ، لكم بدت له جميلة ، طيبة ، وديعة . فتفتحت مسام نفسه لها ، وجهها يطرق خجلا أمام نظراته . هل تدرك ما يجرى بخاطره فى هذه اللحظة ؟ قرر أن يقول لها . هيا بنا نتزوج ، يرحوها أن تقاسمه عمره ، أن تحتل موقعها فى حياته ، لكن الألفاظ بقيت معقودة داخله ، هل ستظل رغبته فى امتلاك المسدس كامنة ؟

يتأمل الجسم المعدنى ، يخطو إلى داخل المتجر ، رجل قصير ميميل إلى امتلاء ، يتحدث إلى سيدة عجوز ، يبدو أنه أحد الأرمن أو اليونانيين الذين يستوطنون البلاد ، عاطف يتأمل نظارات الغطس ، خراطيش الصيد ، موتور يوضع فى مؤخرة القوارب الخفيفة ، صورة رجل أنيق يرتدى ملابس الصيد وقبة كبيرة . يغمض عينا ويفتح الأخرى ، يصوب سلاحه فى اتجاه هدف ما ، لا يبدو فى اللوحة . « نعم يا أستاذ » يباغت عاطف ، يتسم ابتسامة سريرة ، يقول انه يرغب الاستفسار عن سعر المسدس الصغير ، يتساءل الرجل « البراوننج ؟ » ، يتجه عاطف الى الفتريئة ، يشير اليه من الخارج ، يزيح الرجل الغطاء الخشبى الخلفى ، يهز رأسه ، يعود عاطف الى داخل المتجر ، ينظر الى المسدس من خلال

الفوهة الضيقة، يمد الرجل المسدس، يوشك عاطف أن يجفل، تأخذه رهبة، يتمنى ابتعاد الجسم المعدني عنه، يتلع لعابه، الجسم المعدني يملأ اليد، وزنه أثقل مما تصور. صوبه، يعيد المسدس بسرعة إلى الرجل، يتساءل عن الثمن؟ يتساءل الرجل، متى تنوى؟ يقول البائع بلهجة حادة بعد أن اتضح له أن الزبون يسأل فقط ولن يشتري فوراً «أربعون جنياً» يخرج مسرعاً، ستتقص مدخراته أربعين جنياً، أى ما يقارب الخمس، بعد رحيل رحمة صاريفق بلا حساب، لا يضع ضوابط، يمكنه شراء المسدس. يشتري حزاماً جليدياً عريضاً، يراه الزعفرانيون، يصوبه بين الحين والحين إلى الفراغ، يختار مكاناً بعيداً، يصوب الطلقات إلى الصخر، سينظفه كل أسبوع، بالتأكيد سيحصل على كتيب صغير يشرح طريق الاستخدام والتنظيف، سينظفه بقماش معين، لكن.. «مصرع عاطف وهو ينظف سلاحه»، «رجل يمشى فوق أفريز يعلو سبعة طوابق أثناء نومه»، آه، «عاطف يطلق الرصاص على نفسه أثناء نومه»، حادث غريب «تشيع القتل بالفكرة حتى نفذها أثناء نومه»، «.. والحقيقة أنه قام أثناء نومه فهو من المصايين بالمشى أثناء النوم، أخرج المسدس بهدوء، صوبه ناحية رأسه...»، روض تبكى، تنظر إلى جثته، تنزف دماؤه مبددة كل آمالها فى نزهة يدعوها إليها يوماً، تصحبه فى الحدائق، تجلس معه بجوار النيل، إنه يسرع الخطى الآن. تأخر عن ميعاد النوم نصف ساعة، العجيب إنه لم يشعر بأى خوف أو اضطراب، بل تتملكه رغبة فى الوقوف وسط الزعفرانى والصباح. لا يدري ماذا يريد أو ما سيقوله؟ لكنه سيحدث ضجة، يلتف حوله الزعفرانيون، سيفهمون، لم يمتلك ما رغب فيه لخوفه منه. هل أعد الشيخ طلسمًا خاصاً يعجزه عن شراء المسدس؟ يتجه الآن إلى مقهى صغير قريب من الزعفرانى، يطلب كوباً من الحلبة، يشفق على رجل يرتدى جلباباً مبقعاً بالجير والأصباغ، تبدو له روض الآن، هل يصارحها بما فكر فيه أمس؟ هل يطلب منها الزواج؟ هل ينحنى عليها مقبلاً، يبكى طالباً منها الزواج. أول زواج زعفرانى؛ ما أسعد

حمدى بمثل هذا الخبر. لشد ما تنأى رحمة عنه، يثق الآن من حقيقة أكيدة. لن تذكره مهما سمعت عنه، ستخفى اهتمامها حتى لا يلحظ نبيل شيئاً فهى شديدة الحرص على عدم اغضابه. من أين لها أن تعلم بشرائه مسدساً، حتى لو التقت به صدفة، هل ستتوقف لتحذره؟ هل ستسمح له الفرصة كى ترى المسدس الذى يتمنطق به يوماً، يملؤه أسى، يجهد نفسه ليجد مبرراً لعجزه عن شراء المسدس. يقوم. لا يريد أن يجلس، لا يريد أن يمشى، لا يريد الذهاب إلى البيت، لا يريد الابتعاد عن روض. يخشى الاقتراب منها، يقل المارة، تهدأ الحركة، كيف سيعلم الشيخ بعودته متأخراً؟ مقهى الداطورى مغلق، مصباح كهربائى ضعيف يرسل ضوءاً شاحباً، خيل إليه رؤية أشباح تتحرك فى الزوايا المظلمة عند المنحنيات، البيوت كلها مغلقة، تذكر الشتاء ولعان البلاط تحت المطر وضوء المصباح الوحيد ومساحة السماء الضيقة التى تبدو من خلال البيوت المتقاربة المهككة بالزمن، هل سيتحدث الزعفرانيون عما سيحدث له بسبب مخالفته التعاليم؟ لم يفارقه إحساس قوى حتى دخوله الشقة أن ثمة من يرقبه. يتعقبه، بل إنه فتح أبواب الغرف الثلاثة، انحنى تحت السرير، استدار فجأة أكثر من مرة ليضبط هذا الشيء الذى يتعقبه، فوق السرير لمح قبصاً داخلياً تركته روض، يود لو يراها الآن، يتشمم القميص، رائحة جسدها المميزة، هل يسمع وقع أقدام فى الزعفرانى؟ هل يخصص الشيخ بعض أتباعه للمرور، هل هى أصوات المكان؟ منذ عامين سافر إلى الاسكندرية ملتصقاً الهدوء، استعار مفتاح شقة أحد زملائه، عندما عاد إليها أول مساء يقضيه فيها، سمع أصواتاً هامسة، ثم زعيقاً مفاجئاً، احتكاك أحذية ببلاط، زفيراً قوياً، حفيف ثياب، صفير قاطرة، فى الليلة التالية أدرك إنها أصوات المكان، مرور الهواء من خلال فتحات المنزل، أو مروق مركبات فى الطريق القريب، فى صمت الليل يتشكل هذا كله من جديد، إن الشقة مضاءة، يمكن للناظر من الزعفرانى رؤيتها وهكذا يستمر الضوء مشتعلًا لأول مرة فى أحد المساكن الزعفرانية منذ

بداية زمن الطلسم ، إن عاطف أفندي لم يخلع ثيابه بعد ، يزداد اقتناعاً بضرورة ذهابه إلى بيت أم صبرى الآن ، يعود مصطحباً روض لتواجه معه الليل .

نبيلة المدرسة ترقب من نافذة حجرتها شقة عاطف ، تجذب مصراعى الشباك ، تضىء النور ، إن حالة من الضيق المزوج بالقرف بالأسى تنتابها ، منذ عدة أيام تسأل نفسها ، وماذا بعد ؟ عمرها يقترب من السادسة والعشرين ، وكل ما فعلته ، كل ما أجبرت نفسها على الالتزام به لم يؤت ثمراً ، ولم ينته إلى نتيجة ، قبل العشرين قهرت عواطفها تجاه شعراوى صاحب دكان العطارة ، لم تلتفت إلى لم تستجب لنظراته الهادئة والتي أطلقت تيارات من الماء الدافىء تحت جلدها ، تعرف مراقبة العيون لأى بنت ، الانظار تتابعها بشكل خاص لسمعة والدها الذى أدمن الخمر آخر حياته ، لم يترك مقهى أو بيتاً إلا وقف أمامه ، زعق مطالباً بفهم ما فى قلبه . عندما جاءها عريس بعد حصولها على الثانوية العامة ، رفضته ، قالت أمها « نبيلة ستكمل فى الجامعة ولن تتزوج الآن » ، ظنت الليسانس وسيلتها إلى زيجة راقية ، وشاب ينقلها من الزعفرانى . لكن ما أكثر الفتيات الجامعيات ، حتى جهودها العديدة ، الحذرة ، لم تجذب انتباه هذا الجامعى الأعزب الذى لا يخفى علاقته بتلك المرأة الضائعة ، روض ، إنها لا تفهم هؤلاء الرجال ، فى السابعة عشرة قالت : سيضمنى رجل عندما أبلغ الثامنة عشرة ، عنه بلوغها الواحد والعشرين ، قالت ، سيحدث هذا فى الثالثة والعشرين ، كلما صادفت أكواباً أو فوطاً أو ملاعق ، تشتري لبيتها المقبل ، لم يطلبها رجل حتى الآن ، لم يضمها إنسان ، لم تقبل قط ، لم تهصر ، متى إذن ؟ أغلقت حجرتها وسدت ثقب المفتاح بورق صحف قديم حتى لا ينظر شقيقها الأصغر من خلاله . بعد توقف قصير أمام مرآة الدولاب ، أخرجت لسانها مرات ، إنها تبدأ المشى ، تتشى ، تبرزد فيها ، همس « أطفى النور » ، تمر لحظات ، همس « لن أخلع ثيابى فى النور » ، تحدث صوتاً بفمها كأن زر النور أغلق .

تهمس بدلع أنثوى « كن رقيقاً » تخلع قميصها متمهلة ، تتشى إلى خلف وقدام ويمين وشمال ، تسمع خطى تقترب منها ، ذراعان تحيطان خصرها ، تقول بضعف « ألم أطلب منك الانتظار » تستدير ، تفك السوتيان ، تتأمل ثديها ، توجه إليهما قبيلات طائفة ، « لا .. انتظر » ، تتجرد تماماً من آخر قطعة ثياب ، تتجه إلى السرير الذى نقلته منذ فترة ليواجه المرآة ، تعلق فوقه . ترتكز إلى ركبتيها وساعديها ، تحبو ، تتأمل مؤخرتها من خلال انفراجة فخذيها ، تنقلب على ظهرها فجأة ، « لا تكن عنيفاً » ، تضم ذراعيها ، تجول أصابعها متحسنة ظهرها ، تطلق صيحات مكتومة ، قصيرة ، تنظر إلى المرآة ، إنها وحيدة غارقة فى ضوء الغرفة البارد ، منكوشة الشعر ، لاهثة ، تعض حافة الوسادة ، إلى متى ، إلى متى إذن ؟ لا يعينها تأخرها عن ميعاد النوم ، إن حزناً يكوى قلبها ، تعض الوسادة ، تبكى .

حسن أفندي لم يفارق شرفته حتى الآن ، لم تفلح توسلات امرأته ، أنه يرى حلقات الحصار تغلق واحدة بعد الأخرى ، آخرها تحلى حسان عنه ، لم يعد يهتم كشيئاً بابنه الأكبر ، أو المكان الذى يمضى فيه نهاره . أو أصحابه ، ما يشغل تفكيره طيلة اليومين الآخرين ، الطريقة المثلى التى سيتم بها استسلامه ، اتخذ قرار الاستسلام حرصاً على أرواح الآلاف من جنوده . فى نفس الوقت قرر ألا ينهى حياته ، لا تزال ملايين القلوب تتعلق به ، تؤمن بقدرته على تخليصهم من الشيخ وسيد أبو المعاطى وحلفائهما ، فى لحظة معينة سينطلق نداء من مكان ما ، فلول جيشه مبعثرة ستنهض من أركان الدنيا الأربعة ، لهذا قرر الاستسلام بأفضل الشروط الممكنة . أنه يرتدى ثيابه كاملة ، يعلق كل أوسمته ونياشينه ، صباح هذا اليوم طلب من امرأته المحافظة على أوراقه ، ورفض تسليمها إلى أى شخص ، سألته ، إلى أين ؟ قال إنها ستعرف كل شىء فيما بعد ، حاولت منعه لكنه أزاحها عن طريقه بعنف ، وهكذا شهد الزعفرانيون مشهداً غريباً فى بداية ذلك النهار عندما اخترقها حسن أنور مرتدياً زيه العسكرى القديم . ينظر إلى بعض المطلات من الشرفات . يرفع بيده التحية العسكرية ، أغرى منظره عدداً من صبية



على بقاء لحظاته الأخيرة مليئة بالكبرياء . رفض أن يمك . وسيمشى فى أى اتجاه يشاءون ، تذكر أن نابليون فى سانت هيلانة لم يحن رأسا حتى تعمدوا بناء باب منخفض فى الطريق الذى يمر به يوميا ، لكنه لحظة الاقتراب منه صار يثنى ساقيه قليلا ، وهكذا يعبر مرفوع الرأس ، سرى خبر قدوم حسن أنور بهذه الهيئة الغريبة بين الموظفين ، انزعج بعض الموظفين العجائز الذين زاملوه زمنا على عكس الآخرين الذين وجدوا فى الحدث كسرا لإيقاع يومهم الرتيب ، تجمع العجائز فى مكتب عبد العظيم أفندى ، أبدى كل منهم رأيه ، لكنهم أجمعوا على ضرورة توسط بعضهم لدى سيد بك حتى يتستروا على مرض زميلهم و يعيدوه إلى بيته ، قال أحدهم إنه ربما ارتكب أمرا فيه خطورة على المجتمع . قال آخر إنه يبدو وديعاً مسالماً وما لحقه سببه الأحوال الزعفرانية ، أجمعوا على توكيل عبد العظيم أفندى لما له من كفاءة ، والحقيقة أن الرجل لم يقصر ، مشى واثقاً . يميل جسمه إلى الخلف ، يبرز كرشه بشكل لم يلحظه زملاؤه إلا عندما حصل على جهاز التليفون الخاص به ، لم يقل ما دار بينه وبين سيد بك ، وقبل دخوله مكتب الأمن التفت إلى زملائه ، قال ، والله سيد بك رجل لا يعوض . قامت عربية خاصة بتوصيل حسن أنور ، صحبه عبد العظيم أفندى ، واثنين آخرين من الإدارة الفنية ، من النافذة خيل لحسن أفندى أنه يلمح ابنه سمير ماشيا على الأرصفة ، أو مستقلا عربية مقابلة ، لو اقترب منه سيد فى مشاعر الأبوة ، هروبه بداية الخيانة ، بداية الخطى نحو هذه النهاية المساق إليها الآن . وذلك الإذلال المتمثل فى مصاحبة عبد العظيم أفندى له بدلا من أبو المعاطى شخصياً ، ألقى اللوم على همسر رئيس المخبرات ، وروميل ، لأنها لم يحققاها معها بالاندفاع والتقدم حتى تخرج حسان طبيياً ، وسمير مهندساً ، أمام المقهى لم يخف الداطورى دموعه ، جاء اليوم الذى يسمع فيه البعض يصفون حسن أنور جار العمر بأنه ليس خطراً ، كأنه حيوان لا ضرر منه إذا اقتنى ، فى صمت صحبه إلى داخل المقهى ، استدار إلى المتجمهرين ، فهم الجرسون العجوز ما يريد ، زعق طالباً من الناس الانصراف

الزعفرانى ، طاردوه ، قذفة ببعض الأحجار ، تحمل الآمه ، مضى ، مر أمام مقهى الداطورى ، حاول بعض الغرباء مناقشته بالكلمات ، رجف قلبه ، خيل إليه أنه لمح ابنه حسان ، بعد لحظات أيقن تطلع ابنه إليه من بين جمع وقف للفرجة عليه ، اعتبره المارة حول المسجد أحد المجاذيب الجدد الذين يغطون صدورهم بالنياشين ، وأغطية الزجاجات ، فى نفس الوقت ، لن يتوقف عن تنفيذ ما قرره ، حتى لو ظهر سمير بنفسه وقبل يده وأعلن أنه سيواصل اتمام دراسته ، وأنه سيتخرج مهندساً ، كما رغب ابوه يوماً قرراً ألا يتوقف ، وشأن كبار القادة عند اجتيازهم اللحظات الحاسمة والخطيرة فى حياتهم ، والستوثر بالتالى فى حياة الآلاف والملايين ، فانهم يستدعون مواقف صغيرة تمت إلى حياتهم الخاصة ، تذكر بأسى ذهابه مع ولديه صباح الأعياد إلى المسجد ، عند عودتها يتوقفان لمصافحة الجيران والأحباب ، يتوقفان أمام دكان رأس الفجلة الذى يخرج من مخزنه مجموعة من لعب الأطفال والبالونات يعرضها فى متجره برغم أنه بقال ، ما أبعد الزمن ، نظر إليه الساعة بدهشة لحظة دخوله المؤسسة ، تقدم من مدير مكتب سيد أبو المعاطى ، طلب منه مقابلة البك فوراً ، نظر إليه السكرتير صامتاً ، عبر الحجر إلى الباب المعطى بالقטיפية الخضراء ، لم يتأخر كثيراً ، لابد أنه أخبر البك بهيئة حسن أفندى فاستثار فضوله ، عندما دخل رأى ثلاثة رجال ، أحدهم ملاحمه يابانية . أو صينية ، ووضح سيد بك أنه قطع اجتماعا ليستقبله ، أيقن أن الجالسين جاءوا خصيصاً لرؤية المشهد الأخير ، ابتسم أبو المعاطى ، تأمل غرابه ملابسه ، تحدث إلى ضيوفه بالإنجليزية ، حسن أنور يمر بأشد اللحظات إيلاماً ، لكن الشجاعة الحقيقية تتجلى فى احتمال لحظات الهزيمة ، نزع سيفه . تقدم به إلى أبى المعاطى ، قال « .. لقد سلمت لكم .. سلمت » ، ضغط سيد بك زرا ، طلب من السكرتير استدعاء مدير مكتب الأمن ، بعد لحظات جاء الرجل . بدأ حسن أنور يتنفس هواء الأسر ، ودع ماضيا معروفا ليبدأ مستقبلا مجهولاً ، ربما حكم عليه بالإعدام ، استدعى رئيس مكتب الأمن اثنين من رجاله . أمسك بذراعيه . صمم

ولا داعى للفضائح ، تأمل حسن أنور ما يحيطه ، إذا وقع اختيارهم على مقهى الداطورى لسجنه ، حاول تذكر مصير مماثل واجهه أحد الزعماء ، لم يستطيع ، حقا نهاية لم تخطر على بال منتقم ، عديدون يتطلعون ، شاب يتوقف ، يخرج من جيبه آلة تصوير صغيرة ، يضغط زراً عدة مرات ، جاءه الجرسون بصينية فوقها فنجان قهوة ، رفض أى مظاهر عناية مفتعلة حتى لا تستخدم كمادة للدعاية ضده ، هؤلاء السذج ، يريدون نشر صورهم وكأنه أسير حرب عادى يقدم له أسره كوب ماء . قال قبل أن يلفظ الداطورى أى كلمة إنه امتثل لكل ما يريدونه ، وبالطبع لن يستطيع فرض شروطه لكنه يطلب معاملة لائقة ومحكمة عادلة . أشار الداطورى طالباً منه الجلوس . قال إن الحى كله يعرف حسن بك الطيب الذى لم يسمع له حس أو صوت . ضاق بعبارات الداطورى . لقد جرده من رتبه وهذا طبيعى ، ناداه حسن بك فقط ، لكن أن يقول إنه عاش بلا حس أو صوت فهذا تزييف للتاريخ . بدأ مسخ الحقائق ، هل هى فضيلة أن يعيش الإنسان بلا حس أو صوت ؟ لكنها بداية الإهانات فليحتمل ، قال الداطورى إنه يرجو من حسن أفندى الذهاب معه ، كل ما سيطلبه سيجاب فوراً ، رفع حاجبى ، أى نهاية دبورها له ، زعق طالباً من الداطورى الصمت ، اتجه إلى الخارج ، لحقه الجرسون العجوز ، تراحم حوله الواقفون ، مد أحدهم يده يلمسه ، دفعه البعض ، سحب سيفه من جرابه الجلدى ، هاش به على وجوههم ، بدأ يعدو محاولاً الإفلات ، قذفه أحد الصبية بطوبة ، نهره رجل ، أسرع يدخل الزعفرانى ، رفض أن يحدث زواجه ، لم يفارق حجرته منذ رجوعه ، منذ بداية الليل لم تغادر الشرفة ، إنه يقرر الآن أمراً ، يعبر الصالة ، بجزر يفتح الباب ، يقطع الزعفرانى إلى الخارج ، يتجه إلى قسم البوليس ، يسأل جندى الحراسة ، هل قائده موجود ؟ تسرى حركة فى المبنى الحكومى القديم ، لقد صدر صباح اليوم أمر بالقبض على الجنرال الزعفرانى الخامس الذى خرج من الحارة بعد أن حير هيئات الأمن طويلاً ، لكن قبل وصول القوة المخصصة للقبض عليه دخل الزعفرانى من جديد ،

وها هوذا يصل بنفسه . ها هوذا يقف أخيراً أمام القائد العسكرى المعادى ، إنه يحبط خطة أبو المعاطى والشيخ فى معاملته بإهمال وازدراء .

« ها أناذا قد سلمت إليكم .. سلمت .. أطلب محاكمتى ، محاكمة عادلة » .

يبدأ بالتخلى عن سترته العسكرية . ليكن استسلامه حاسماً ، سيلتمس المؤرخون المنتصفون العذر له فيما بعد ، لقد فعل ما فعل رغبة فى إنهاء المعارك الدائرة الآن غير المتكافئة بين جنوده وأعدائهم . يسأله الضابط عن اسمه ، يتباطأ فى الرد ، يصفعه أحد الجنود على قفاه ، يتسم جندى آخر وكأن هذا عمل طيب ، من الممكن لأى منهم أن يأتى معه بأى تصرف ولكن يلقى رد الفعل الطبيعى ، برغم قسوة الإهانة يرد ...

« فيلد مارشال متقاعد ، وقائد أعلى القوات المتحالفة ضد الظلم ، حسن أنور ... »

الضحك صاخب ، ينتهى من خلع ثيابه العلوية ، يفك أزرار بنطلونه ، الجدران حوله كالحية ، تخفى ما تدور وراءها إنه عار الآن تماماً ، بينما يصيح الضابط فى التليفون مخاطباً جهة ما .

مع بداية النهار الزعفرانى الجديد ، أطلقت أم حسان صوتاً متصلاً ، عاطت عياطاً مؤلماً أعلنت من خلاله خراب بيتها ، إن جسد أم يوسف يقشعر فزعاً ، يتوقف طاحون عن مضغ لقمة ، يبدو ما جرى فظيماً ، ولا أحد بمنأى عنه فى الزعفرانى ، خلال الفترة الأخيرة لا يكف عن التفكير فى مشروعه الخاص بحفر شبكة ضخمة من الإنفاق . هل يعد هذا جنوناً ، نفى الفكرة ، إن مشروعه واقعى تماماً ، بل يفكر فى شراء بعض لوحات الورق الأبيض ليعد رسومات أولية

لفكرته . لم يتوقف نواح امرأة حسن أفندي ، يهمس خائفاً ، « اللهم احفظنا » ، إن أم سهير تمصمص شفيتها الماء ، تتساءل بصوت مرتفع عما جرى للدنيا والناس والزعفراني ؟ يملؤها غيظ ، يلاحظ الزعفرانيون تلميحاً إلى ما فعله الشيخ خاصة عندما أشارت إلى هدوء الزعفراني طوال عمرها ، في شرفها وقتت نبيلة المدرسة ، إن هدوءاً يحيط عليها ، لم تنم الليل كله ، ترتدى ثياب الخروج ، تمسك كشكول المحاضرات الذي تناولته قبل خروجها من الغرفة مباشرة ، تدس أصبعها بين الصفحات كيفما أتفق وليس حرصاً على إبقاء موضوع معين مفتوحاً ، حتى توحى للأهالي بانشغالها الدائم ، وإنها تضطر لقطع قراءتها أو دراستها لتظل من الشرفة ، وكأن في مجرد ظهورها دعوة لكي يصمتوا ، لم تستطع اليوم أن تطلب منهم السكوت حرصاً على توفير الجو الملائم للمذاكرة ، وذلك لعدة أسباب ، إن النهار مازال في بدايته ؛ إن الاضطراب البادي يعكس مصيبة أكبر حجماً . إن عاطف لا يقف في الشرفة ، والأهم شعورها بالسأم ، وأنه لا فائدة ، وإنها لم تتصرف أبداً على طبيعتها بل ارتدت دائماً أحوال غير أحوالها ، الست خديجة يعلو بكأؤها حزناً على الرجل الأمير وأحسن الجيران ، تعلن أم صبرى خلو الزعفراني من الرجال قبل الطلسم وبعده ، يصغى الجميع إليها ، يدركون على مهل أن الزعفراني تتعرض للشيخ نفسه . تقول إنه لا يوجد رجل في الزعفراني يملأ عينها ، وإلا ، فلماذا يسكتون ، هل سيجري لهم أكثر مما جرى ؟ تجاوزها أم يوسف مؤمنة على كلامها ، تقول إن بيوت الزعفراني ستخرب بيتا ، بيتا ، والكل يتفرجون ، ولا أحد يتكلم ، لا أحد يلفظ احتجاجاً ، تصرخ أم يوسف ، لماذا لا يتكلمون ، لماذا ؟ يطلب طاحون منها الكف ، لم تستجب ، يقسم بالطلاق أن تدخل ، تضرب النافذة ساخطة ، تسخر بصوت عال « طلاق .. أهلا ياسي طلاق » ، يشعر طاحون أنه صفع على قفاه وأنه مستسلم لا يأتي بأى رد فعل ، ألم تتأخر امرأته أكثر من مرة ولم يسألها أو يعارضها . يسرع حسان إلى القسم ، قالوا له إن حالة والده خطيرة ، تسلمه مندوب خاص من وزارة الصحة بعد ثبوت أنه

من أهالي الزعفراني وذلك لوضعه تحت فحوص ضرورية ، كما يشرف عليه ضباط من هيئة الأمن ، نصحوه بعدم استئناف بحثه أو محاولة لقائه لصعوبة ذلك ، لم يقتنع حسان ، اتصل بعبد العظيم أفندي ، أبدى الرجل انزعاجاً ، قال إنه سيرض الأمر على سيد بك ، ويطلب منه تدخله وإن بدا هذا صعباً نظراً لوصول الأمر إلى جهات رسمية أكثر تعقيداً ، اتصل حسان بعبده البرتقاني الذي أصبح عضواً برلمانياً لكنه لم يجده ، إنه يفكر غاضباً ، هذه المصائب كلها بدأت مع الطلسم ، عاد إلى الحى القديم متورماً ، لا يدري كيف سيحتمل خلو البيت ، تذكر حزينا ضيقه بوالده خلال الأسبوعين الأخيرين ، ليته استجاب إليه وبقي إلى جواره ، كيف كانت ستجري الأمور لو أن الطلسم لم يلحق الزعفراني ؟ كل المصائب جاءت معه ، ومازال المنذر الأول يبشر بسعادة آتية ، وعدل سيتحقق ، أغرب ما يقوله ، حب الشيخ للأهالي الذي سيحفظ لهم فضل الريادة في بناء العالم العادل ، أى حب ، أى عدل هذا ؟ ، هل يذهب إلى الشيخ نفسه ؟ يخبره بما جرى لوالده ؟ يسأله هل يرضى بما جرى له ؟ لكنه محتجب لا يقابل مخلوقاً ، بل تدور همسات كثيرة بعدم وجوده في تلك الحجرة ، وأن الصوت الذي سمعه الأهالي عندما ذهبوا في بداية زمن الطلسم ، وما يسمعه عويس وسلام ، إنما يتردد بدون مصدر ، قال آخرون إنها مؤامرة من عويس والصول سلام للتحكم في الزعفراني ، والخطوة التالية فرض أتاوات على السكان ، ومحاولة الاستيلاء على ثروة رأس الفجلة ، وبرغم وصول هذه الهمسات إلى رأس الفجلة إلا أنه لم يحرك ساكناً ، لم يتخل عن هيئته التي اعتادها الناس خلال الأيام الأخيرة . اطراقة رأسه الدائمة ، لعابه المستمر ، في الفترة الأخيرة سمع صراخ أمه كثيراً ، منذ ثلاثة أيام فاجأ رأس الفجلة كابوس مزعج ، كاد يحتق ولم يوقظه أحد ، فكر في استدعاء أمه من حجرتها فوق السطح لتشاركه البيت ، لكنه خشى ازعاجها له ، لن تدعه يخلو إلى نفسه . لن تسمح له بفرصة للتفكير في فريدة مرة واحدة . كما أنها ستزعجة باستيقاظها المبكر ودخولها الحمام في عز الشتاء ، أمس أمسكت به



لحظة خروجه ، لا يدري أحد من أين واتتها القوة التي جعلتها تطرحه أرضاً ؟ وتلكمه في ضلوعه . ثم تدس يدها في جيبه ، وتخرج خمس ورقات من فئة العشر جنيهات . لطمت وجهها . صاحت ليلحقها الناس ، ولينقذوا ابنها الخائب الذي لا حول له ولا قوة ، قالت إن العاهرة التي خربت بيتها واصطحبت ابنها إلى بيت عشيقها ترسل إليه وتطلب منه نقوداً ، آخر ما طلبته مصاريف المصيف . رفعت النقود ملوحة للنوافذ والشرفات ، مصصت خديجة الصعيدية — التي لم تر في حياتها خمسين جنيهاً — شفتيها ، تأسفت أم صابر على رجال هذا الزمان . والحقيقة أن رأس الفجلة يتزايد إحساسه بالراحة منذ ذهاب امرأته وابنته ، بل تمر به لحظات فكأنه لم يتزوج أبداً ، ولم ينجب قط . ظلت لحظات هجرها وخيانتها له أفكاراً وصوراً في مخيلته منذ زواجه حتى تحققت أخيراً ، غير أن خواطر مزعجة أفضت راحته وفت بجوار إحساسه بالخلاص ، تساءل ، أين تقييمان ؟ يتخيلها تنظر إلى المدرس . لا تبدى سخريه منه . تقبله في فمه ، تهمس « يا حبيبي » ، بعد بلوغها ذروة النشوة يسألها عما فعله رأس الفجلة معها ؟ خجل رأس الفجلة إذ تخيل سخريه المدرس بعد استماعه إلى ما جرى بعد الطلسم ، لم ينتظم في تناوله الطعام الزعفراني ، عندما وقف في الطابور بعد انقطاعه يومين لاحظ نظرات الزعفرانيين ، تمنى لو انشقت الأرض وابتلعته ، همست زنوبة المطلقة بكلمات ما إلى قرقر ، غرق رأس الفجلة في عرق غزير . عندما وصل إلى لولى ، الذي يتولى اليوم مسؤولية توزيع طعام الأظفار طبقاً للنظام الزعفراني الدوري . قال لولى ، لا تضايق نفسك ياسى حسن ، رفع عينيه المستديرتين ، غمغم غمغماً بسيطة ، تساءل بينه وبين نفسه ، هل وصل شيء مما تقوله فريدة عنه إلى الزعفراني ، إلى لولى ؟ عاد حاملاً طبقه مضطرب الخطى ، يود الاختفاء بسرعة ، ستحكي عنه فريدة . سيهدى السيف وبدلة مصارع الشيران إلى المدرس لا لكي يعيد امرأته إليه ، إنما ليكذبها إذا حكمت له عن خيبة زوجها القديم ، لا ، بل سيرسل إليها هي ، لا بد أن يسكتها ، فكر في

الذهاب إلى عويس راجياً منه إبلاغ الشيخ بخجله الذي يمنعه من الرقاد ، أن يعد طلسها يخرس فريدة إذا ما شرعت في السخريه منه أمام هذا المدرس ، فكر في كتابة خطاب إلى امرأته يذكرها فيه بطبيعته معها ، واستجابته لكل ما تمنته ، ولنزواتها الغربية ، ثم استقر به الحال على امدادها الدائم بالنقود . يتمنى الا يقدر المدرس على مصاريفها ، أن يطلب منها نقوداً ، لن تجد إلا رأس الفجلة تلجأ إليه ، سيشرط أمراً واحداً ، الا تسخر منه ، غير أن الخجل يتزايد به حتى ليكاد يوقف دقائق قلبه كلما تخيل لهجتها في الحديث معه . أثناء عودته أمس من الدكان قابله أحد الغرباء قال له إن سبب ما حل بالزعفراني رمانه السياسي ، وأنه أحدث حالة من الاضطراب حتى ينقض على المجتمع ، وفي نفس الليلة التقى عدد من الغرباء بالأهالي وأكدوا لهم ذلك ، لكن الزعفرانيين رفضوا ما قيل لهم ، وصاح طاحون في وجه محدثه طالبا منه السكوت والكف عن الفتن وقال إن رمانه من أكثر الزعفرانيين شهامة .. أوشك على التفوه بلفظ « ورجولة » لكنه خجل ، وفي الحارة زعق بسونى والد لولى أكثر من مرة لأمرأة ابنه وقال إن لولى مسئول عما جرى للزعفراني ، وراح يحرض عاطف وطاحون وعويس وسلام ولم يصدقه أحد ، قوبل بلا مبالاة ، عندئذ خرج إلى مقهى الداپورى وكتب بلاغاً جديداً بخصوص نشاط لولى الهدام ، لم يقتنع الزعفرانيون بما تردد ، لا يمكن ارجاع ما جرى إلى شخص واحد ، ثمة أفكار أخرى ترددت حول خراب الزعفراني ، دخول المصائب إلى البيوت ، اليوم بعد عودة حسان من تروده على عدد من المعارف ، بخصوص والده فوجيء بازدهام مقهى الداپورى ، رأى طاحون ، والبنان ، وزوج ابنة أم صابر ، سألوه عن والده ، قال إن كل شيء سيكتشف خلال الأيام القادمة . سكت ، ولكنه لم يخف دهشته ، تساءل ، هل صدرت تعليمات جديدة تسمح بتجاوزهم الحد المسموح به للسهر ؟ قال طاحون إنه لم تصدر تعليمات بخصوص هذا الشأن ، لكن تعليمات أخرى صدرت لا يمكن لعاقل تقبلها ، لو طال الصمت ستخرب البيوت كلها ، بدا حسان مرهقاً ،

مثقل القلب واللسان ، لا يدري ما سيفعل غداً أو بعد غد ، كيف سيسلك طريقه وسط هذه المتاهات من الإدارات ، والابواب الموصدة ، والحراس غلاظ القلوب ؟ ولا فتات المستشفيات ، وأقسام الشرطة ، لكن ما سمعه شد انتباهه ، شيئاً فشيئاً بدأ يدرك ما استجد في الزعفراني ، والحقيقة أن ثمة حركة دبت خلال الثلث الأخير من النهار بعد اجتماع المُنذر الأول سلام بعدد من الزعفرانيين وبعد نداء العصر الذي أعلنه عويس ، لقد تبادلوا الحديث حول نصوص غامضة تتحدث عن إتاحة فرصة الاختيار من جديد ، اختيار المهنة ، شريكة العمر ، الآمال والامكانيات ، اختيار أهداف الطموح من جديد ، احياء الآمال التي ماتت ، ثم أعلن عويس أنه سيتم تخصيص البيوت رقم ١ و ٣ و ٥ ، لرجال الحارة وأطفالها الذكور ، البيوت رقم ٢ ، ٦ ، ٨ ، للنساء الزعفرانيات ، وعند حد معين يبدأ كل منهم في ممارسة حرية إعادة الاختيار من جديد .

إن سكان الزعفراني يخرجون إلى شرفاتهم ونوافذهم . يبدو وقوفهم الجماعي وكأنه تحد لليل المقبل ، خاصة عندما أطلقت أم سهر صيححتها المشهورة « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر » ، لن تنتقل من شقتها شبراً ، ولو اقتضى الأمر ستقتحم حجرة هذا الشيخ الملعون وليفعل بها ما يشاء ، لن تخاف .

يندفع رأس الفجلة خارجاً ، تظهر أمه ، تتعثر خطواتها ، تعلن بكلمات ممزقة الحروف « راح لها » ، تعلقضجة لم تعرفها الزعفراني منذ فترة تمتد إلى أبعد من تاريخ بدء سريان مفعول الطلسم ، صخب لا يعلو إلا وقت الحوادث المفاجئة ، كأن ينهال زوج على امرأته ضرباً في تمام الثانية صباحاً ، يشهر في وجهها سكيناً ، مهدداً بذبحها ، عندئذ تجرى مندفعة ، تفتح الشباك ، يستيقظ الزعفرانيون ، يتساءلون عما يجري ؟ بعد أن يفهموا يقوم بعض العقلاء منهم بالتدخل ، يذهبون إلى منزل المشاجرة حيث يرفض الزوج في البداية فتح الباب . في هذا الوقت يتبادل الجيران الحديث عبر النوافذ . يطرقون موضوعات

بعيدة تماماً عن الخناقة ، لفترة تتصاعد أصوات مهمة يفلت منها بين الحين والحين عياط طفل ، أو كلمات معينة متفرقة كجبات سبحة انفرطت ، إن الضجة الزعفرانية الآن تشبه هذا الاستيقاظ المفاجيء للحارة ، صاحبها خروج البعض ، وسرت أخبار بظهور التكرلي أمام مقهى الداطوري محرضاً ومهيجاً ، وقيل إن امرأته هجرته إلى طالب أحبته ، لا يدري أحد كيف تستقى الزعفراني الأخبار لكن غالباً ما يصدق المتردد فيها ، أبدت زنوبة المطلقة اعجاباً بما أقدمت عليه امرأة التكرلي وتمنت لها الهناء ، وفكر طاحون لحظة سماع الخبر أن الحال لا يتبدل إذا ابتعد الزعفراني عن حارته .

تشهد خديجة الصعيدية أسفاً ، أين الست بثينة الآن ؟ ، تجيب أم صبري ، إنها تهرب من بلدة إلى أخرى خوفاً من الموت ، تمصمص شفيتها أسفاً ، مع نزول الليل تتزايد الضجة ، يشاهد رمانة مطلا ، قبل فيما بعد إنه لم يتخل عن ابتسامة غامضة بقيت معلقة إلى شفتيه . لا بد أن أحد الزعفرانيين نقل الخبر إلى جهات الأمن ، إذ أن مسئول مكافحة الأفكار الهدامة ، رفع مذكرة يصف فيها وقفة رمانة وصمته ، بالغ في ذكر التفاصيل التي نسبها إلى مصدر ما ، ربما أحد الأهالي ، أو حكايات سمعها المخبرون من الحى القديم ، وذلك بقصد اظهار بخاحه في إيجاد مصادر خاصة به في الحارة من ناحية ، وإسقاط أكبر قدر من المسؤولية على رمانة ثانياً .

حوالى العاشرة مساءً ، رأى الزعفرانيون الذين خرقوا كل القواعد رأس الفجلة عائداً من خارج الحارة . إنه يجوع على أربع ، يتلفت حوله ، قرب باب المخزن يقف ، يتلفت ، يكتم الزعفرانيون أنفاسهم ، ينزع العارضة الحديدية ، يختفى بعد إغلاق الباب بصوت مسموع ، يبدو أن أمه العجوز راقبته أو تتبعته ، إنها تظهر فجأة عند باب المخزن ، تطلق صرخات حادة ، لكن الباب بقى موصداً لا يفتح ، إن صوتها ييح بعد فترة ، تجلس أمام المخزن ، تسند الكيس الذي يتدلى

من عنقها أمامها ، تهز أصبعها وكأنها تخاطب شخصا يقف أمامها ، تقول بصوت  
باك ، بلهجة كالأطفال « .. قلبى لا يطمئنى أبدا .. »

تقرير رقم ( ١ ) عاجل مرفوع الى اللجنة العليا لمتابعة الأحوال  
الزعفرانية :

« .. أفادت التقارير بوقوع تمرد زعفرانى ، تم على الفور تدعيم القوات  
السرية المنتشرة بالحى القديم ، اصدر أمر إلى كافة المقاهى بالبقاء مفتوحة طوال  
الأربع وعشرين ساعة ، ومتابعة المراسلين الأجانب لعدم اقترابهم من الحى  
القديم . كما يقوم مكتب البحث والتحرى الآن بالبحث عن الصحفى حمدى  
عباس الذى بدأ ترده على الحى منذ فترة . وتمكن من توثيق علاقاته  
بالزعفرانيين ، ورفض التعاون مع كافة أجهزة الأمن . وأفاد رئيس تحرير  
الجريدة أنه ليس مسئولاً عن تردد الصحفى حمدى عباس على الحى القديم ،  
ويعتبر متغيباً منذ أربعة أيام بدون إذن . وتؤكد معلوماتنا عدم وجود علاقة بين  
الصحفى وتسرب الأنباء الزعفرانية إلى خارج البلاد . وتغذية هذه الضجة  
العالمية ، وباعتبارنا جهة مسئولة عن الأمن الأعلى ، نرجو من اللجنة الموافقة على  
ما قرنا أتباعه من إجراءات :

توجيه رسالة علنية من جانبنا إلى الزعفرانيين جميعاً ، نطالبهم باقتحام  
حجرة الشيخ ، والقبض عليه حياً .

نطلب منهم التأهب وإخلاء الحارة تماماً ، على أن تتولى المحافظة نقلهم  
إلى مساكنها .

يمكن رصد مبلغ من مصاريفنا السرية لمكافحة كل زعفرانى يساهم فى  
تسليم الشيخ ، والمناذى الخاص ، والمندى الأول . ويلاحظ أن معظم أهالى

الزعفرانى فقراء ، ويمكن أن يمثل مبلغ مائة جنيه إغراء شديدا لهم ، مع الوعد  
بشفائهم جميعاً ...

— المشرف على الأمن الأعلى —

\*\*\*

خبر عن مؤتمر شبابى فى باريس :

« .. عقد جمع ضخم من الشباب مؤتمراً كبيراً بالعاصمة الفرنسية ،  
ويبدو أن هذا الاجتماع أقيم كرد مسبق على الاجتماع الذى قرر أنصار  
« الزعفرانيزم » عقده صباح الغد . ندد الخطاب بهذا المشعوذ الآتى من الشرق ،  
أجمعوا على وصول الإنسانية إلى مرحلة لا يمكن معها تقبل هذه الأفكار . ولكى  
تسود العدالة حياة البشر ، ولكى تنتهى المنازعات والحروب فليأت هذا عن  
طريق التطور الطبيعى ، وليس بالحوارق المشكوك فيها . وأثناء الاجتماع وصل  
عدد جم من الزعفرانيين المؤيدين للشيخ ، وعلى الفور وقعت اشتباكات دامية  
بين الطرفين . من ناحية أخرى علقت صحيفة ( لوجريون ) قائلة أن الحضارة  
الأوروبية وصلت إلى حد من الميكانيكية بحيث أصبح الإنسان الأوروبى على  
استعداد لتصديق أى غيبيات أو أى قضايا لا عقلية .

ملحوظة .

« .. لم ينشر هذا الخبر ، شأن كل الأخبار الواردة من الخارج والتي  
تمس أحوالاً زعفرانية ... »



نص تقرير عاجل من المشرف على علاقات الجوار الحسن  
والصدقات الدائمة، الى رئيس اللجنة العليا للأحوال الزعفرانية.

«.. أرسل ممثلنا الدائم في موسكو تقريرا هاما، فقد أصدرت اللجنة الإعلامية العامة، بالحزب الشيوعي السوفيتي، بيانا نشر في الصفحة الأولى من «البرافدا - العمود الثالث»، ويبدو أن هذا البيان وزع على كواد الحزب قبل نشره وأشار البيان إلى وجود لغط في صفوف الجماهير حول ما يسمى بالزعفرانيزم، وما تتضمنه من طلسم العالم تمهيدا لآحداث عدد من المتغيرات، تؤدي إلى مساواة شاملة. ثم استعرض البيان المحاولات التي بذلها الإنسان من أجل إيجاد عالم خال من الفوارق الطبقة، وتسوده المساواة. إلى أن بلور كارل ماركس نظرية الصراع الطبقي مع وصول المجتمع الرأسمالي إلى درجة معينة من التطور، وتعد الماركسية هي السلاح النظري للطبقة العاملة في خوض آجر الصراعات الاجتماعية. وهذا هو التطور الطبيعي، وإذا ظهرت محاولات تستعين بقوى غيبية لتلاسرار بتطوير الصراعات الاجتماعية والإنسانية، فإنها تعتبر مرفوضة من وجهة النظر العلمية. لن نحسم الصراع إلا النضال المستمر ضد الطبقات المستغلة. والنضال من أجل تحقيق الاشتراكية. وإختتمت البرافدا مقالها - الذي يعد أول رد فعل من جانب الدول الاشتراكية - بقولها إن الصراعات لن تحسم بالوصفات السريعة أو الخوارق التي لا يدعيها إلا المجانين. وعلى هذا فإن الحزب الشيوعي السوفيتي سوف يناضل بلا هوادة ضد أي مروج للزعفرانيزم».

o o o

تعليق مسئول مكافحة الأفكار الهدامة على النسخة  
الخاصة به من التقرير

«.. يجب تناول ما كتبته «البرافدا» بحذر، إذ لا نستبعد أن يعد المقال كتغطية للدور الذي يقوم به رمانه من نشاط في الزعفراني، والتي تشير كل الدلائل إلى قيامه بذلك، وأهمها ثبات أعصابه وعدم مغادرته الحجيرة، وابتسامته التي أشار إليها ما وصلنا من التقارير، لهذا يجب الحذر...»

«تقرير رقم «٢» عاجل جدا»

«بمجرد وقوع الأحداث المشار إليها سابقا في الزعفراني قنا بتدعيم القوة المرابطة في الحى القديم، ونشطت الجماعات الخاصة في استخلاص المعلومات، ويمكن ايجاز أهم الأحداث فيما يلي:

• حتى ساعة إعداد هذا التقرير لم ترد أي أخبار عن رأس الفجلة، لا تزال أمه تجلس أمام المخزن، تبكي، وتردد الفاظا غامضة.

• سرت إشاعات حذرة في الزعفراني ملخصها أن ثمة حجرا وجد أسام بيت رأس الفجلة، حجر يشبه جزرة أو فجلة، ما هو إلا رأس الفجلة، مسخه الشيخ حجرا لا ينطق إنما يعي كل ما يدور حوله، وهذا انذار للاهالي وأن الشيخ في سبيله إلى أن يمسح الزعفرانيين كلهم، غير أن أحمد النجار أعلن بصوت عالال تفضيله المسخ على البقاء كما هو، ثم توجه إلى الحجر وتأمله قليلا ثم صفعه بقوة. على أثر ذلك تجمع عدد من الصبية الزعفرانيين، راحوا يصفعونه، يصفقون عليه. وقيل إن انينا سمع من الحجر، ولعابا سال منه، عندما قال البعض لأم رأس الفجلة إن ابنها مسخ حجرا. رفضت أن تصدق، أشارت إلى باب المخزن الموصل، قالت إنه اختفى هنا، وتنتظر خروجه.

واستغلال الحالة التي وصل إليها الأهالي . وتضمنت النداءات نصحا باقتحام حجرة الشيخ والقبض عليه ، وتسليمه .

« زعق أحمد النجار مطالبا الشخص الوحيد الذي استثناه الشيخ من الطلسم بالكشف عن حقيقة شخصيته حتى تهدأ الخواطر وتتكشف الحقائق . هذا ملخص باجمالى الموقف حتى الساعة الثالثة بعد الظهر » .

### تعليمات الهيئة العليا المشرفة على الاعلام .

« لوحظ خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة ورود أخبار كثيرة من مختلف أنحاء العالم بخصوص الأحوال الزعفرانية ، يراعى استمرار عدم النشر .

• • •

### تقرير رقم « ٣ » عاجل جدا .

« بعد العصر ، خرج وفد زعفرانى يضم الآتى اسماؤهم :

المعلم أحمد حسنى حنفى الداطورى .

طاحون غريب .

عاطف حسنين .

أبلغوا رجالنا أن أهالى الزعفرانى سمعوا كل ما وجه إليهم من نداءات ، ويعتبرون ما يجرى فى الزعفرانى أمراً يخصهم ، وهم بأنفسهم الذين سيتولون أمورهم مع الشيخ ، ولن يسمحوا إطلاقا لأى جهة مسئولة أو غير مسئولة بالتدخل ، وفيما يلى نص ما قاله طاحون غريب :

« لو أخذتم الشيخ فن يضمن لنا زوال الطلسم » :

« أشارت التقارير إلى أن عاطف حسنين لم يعد يقيم بمفرده ، لا نقصد بهذا روض التي ترددت عليه كثيراً منذ بدء الطلسم ، لكننا نشير إلى وجود شاب معه . لم يتحقق أحد مصادرتنا من شخصية هذا الساكن الذى يعتبر أول إنسان غريب يدخل إلى الزعفرانى ، كما لوحظ أن عاطف المذكور لا يخفى علاقته بجارته « روض » وشوهدا معا صباح اليوم ، يخرجان معا ، يمسك كل منهما بيد الآخر ، وباقتفاء أثرهما اتضح اتجاههما إلى حديقة الحرية ، جلسا فوق الحشائش فى الشمس ، وضحكا ، ولعبا معا ، وأكلا جبنا روميا ، وسميطا ، وبيضا ، ودفعت روض عاطف حسنين المذكور ثلاث مرات فى صدره ، كما قرصها مرة فى ذراعها .

« فى العاشرة صباحا طلب طاحون غريب بصوت عال من الأهالي حفر مجموعة من الأنفاق تؤدى إلى أسفل حجرة الشيخ حتى يمكن مهاجمته ، وابطال أثر الطلسم ، قال إن الانفاق ستنبى كل المشاكل .

« دار عبده البنان وامراته على جميع رواد المقاهى بالحى وتوسلوا إليهم لمنع ولدهما من دخول الزعفرانى لولحوه ، لأنه أرسل يخطرهما بقرب وصوله ، الآن لا يغادران مكانها الذى اتخذاه أمام الحارة لمنع ابنها .

« منذ ساعتين وصل إلى الحارة ، شخص مختل اسمه رضوان ، وبائع غزل بنات ، أعلن أنها سيلزمان الزعفرانى ، لأن الطلسم لحقهما .

« حتى الآن لم يتحرك المنذر الأول سلام ، كذلك لم يقم عويس بتوجيه نداءاته فى مواعيدها .

« قامت احدى مجموعاتنا بتركيب مكبر صوت وجهت من خلاله نداءات متوالية إلى أهالى الزعفرانى ، وذلك « لطرق الحديد الساخن » ،

وطوال اليوم استمر الراديو يذيع موسيقى جنسية وأغاني فاضحة لمساعدة الرجال» .

\*\*\*

### برقية من جالانشيا :

أعلنت منظمة الزعفرانيزم المشكلة حديثاً ، أن البلاد كلها سوف تخضع لتأثير الطلسم اعتباراً من اكتمال القمر بدراً ، وأن الأمور منذ الآن ستتخذ مسارا جديداً وعلى الإنسانية أن تفيق» .

### برقية من اصطفانديال :

« أغلقت الموانئ والمطارات ، بأمر من رئيس الجمهورية في محاولة لمنع الوباء الزعفراني» .

### نبا عاجل من عاصمة كيرليانا الهندية :

نظم أنصار « الزعفرانيزم » مسيرة ضخمة اتجهت إلى مركز المدينة ، قام شخص نحيل ، يتحدث إليهم واصفا نفسه بأنه المنذر الثاني ، وبعد أن تلا نصوصا من المناظير الزعفرانية المعروفة ، أعلن جزءاً من منظور جديد لم يعرف بعد ، يتضمن بشرى للمتزعفرين ، بأن الأوان حل ، وأن اللطمة قد وجهت إلى الانسان في كل مكان ليفيق إلى الأبد ، لتعدل الأوضاع ، لتصحح الأحوال ، في البداية ستضطرب الأمور ، كما يخلط العجان الدقيق ، واللبن ، والماء ، لتظهر الفطائر والكعكات . أو كما يتكوم الأثاث فيبدو بلا معنى قبل تنظيم البيت ، ثم تبتل القلوب برضى ، قال إن الدنيا ستقسم إلى سبعة أقسام ، يتولى كل منها منذر

وطلب قائد المجموعة من طاحون غريب مساعدته باعتباره موظفا رسميا ، لكن طاحون قال إن الأمر ليس بيده ، ومهما بلغت الاغراءات والوعود فالأهالي مصرون على معالجة الأمور بأنفسهم» .

\*\*\*

### برقية عاجلة لوكالة « رويتر » من بيونس ايرس .

« هرع آلاف من سكان العاصمة إلى الأطباء ، تجمهروا أمام العيادات ، والمستشفيات يشكون عجزا جنسيا غريبا» .

\*\*\*

### برقية عاجلة لوكالة « ١ . و. ن » من باريس .

« صرح مصدر مسئول بوزارة الصحة الفرنسية ، أن العجز الجنسي ظهر في البلاد بشكل وبائي ، صرح في بيان وجهه إلى الشعب الفرنسي أن الوباء يبحث بشكل علمي واسع . وحاول أن يطمئن الجماهير ، لكن هذا لم يمنع حالات الفوضى والاضطراب التي سادت ، امتلأت الشوارع برجال يحاولون إختبار قواهم مع أقرب النساء اليهم في الطرقات» .

\*\*\*

### برقية من مالا واندا ، وكالة أ . ب

« احتفت جميع المقويات والمنشطات الجنسية ، أصدرت المعارضة بياناً تتهم فيه الحكومة بالتهاون في شأن التصدي لهذا الوباء الذي يجتاح البلاد ،



## صدر للمؤلف

- اوراق شاب عاش منذ الف عام مجموعة قصصية — طبعة اولى ١٩٦٩ طبعة رابعة ١٩٨٠
- ارض — ارض مجموعة قصصية — طبعه اولى ١٩٧٢ طبعة ثانية ١٩٨٠
- الزينى بركات رواية — طبعة اولى ١٩٧٤ طبعة ثالثة ١٩٨٤
- الزويل قصص طبعة اولى ١٩٧٥ طبعة ثانية ١٩٨٠
- الحصار من ثلاث جهات مجموعة قصصية طبعة اولى ١٩٧٥ طبعة ثانية ١٩٨٠
- وقائع حارة الزعفرانى رواية طبعة اولى ١٩٧٦
- حكايات الغريب مجموعة قصصية طبعة اولى ١٩٧٦ طبعة ثانية ١٩٨٠
- ذكر ما جرى مجموعة قصصية طبعة اولى ١٩٧٧ طبعة ثانية ١٩٨١
- الرفاعى رواية طبعة اولى ١٩٧٨ طبعة ثانية ١٩٨١
- خطط الغيطانى رواية طبعة اولى ١٩٨١

يبلغ، ينبه، يشرح، يفسر، يوضح، ينظم العلاقات والمصائر، ويرتب الأحوال، قال إن كل شىء سيبدل تبديلا، وإن الأحوال الخاطئة ستصحح، وإن الجماد سيتكلم، وستضيق البحور بالحب، واليوم العظيم الذى تسود فيه العدالة آت لا ريب فيه. ثم ختم حديثه قائلاً: «وداعا للزمن القديم، لعصور الضلال، وتحريف الحقائق، والموت جوعا. والحب التعس، والأمل المحقق، والرغبة المكبوتة، والوعد الملوغ، والنظام الجائر، والعدالة النسبية، وتعقيد السهل، وتصعيب البسيط، لن يطول الانتظار.. فقد بدأ زمن الطلسم، ليتغير العالم».

## جمال الغيطانى ١٩٧٣ — ١٩٧٥

- كتاب التجليات ( السفر الأول ) طبعة اولى ١٩٨٣
- اتحاف الزمان بحكاية جليبي السلطان مجموعة قصصية طبعة اولى ١٩٨٤
- كتاب التجليات - السفر الثانى ١٩٨٥

#### ● دراسات ومشاهدات

- المصر يون والحرب ١٩٧٤
- حراس البوابة الشرقية ١٩٧٥
- نجيب محفوظ يتذكر ١٩٨٠
- مصطفى امين يتذكر ١٩٨٣
- ملامح القاهرة فى الف عام ١٩٨٣
- قاهر يات ( اسبله القاهرة ) ١٩٨٤

#### تحت الطبع

كتاب التجليات « السفر الثالث »

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٢٨٠ / ٨٥

الترقيم الدولى ٢ - ٠٣٢ - ١٣٣ - ٩٧٧